العرب الأسبوعي

ميشال أونفري يرد على منتقديه العرب

هيثم الزبيدي: أيها النقد لا تكن موضوعيا أبدا

جورج سيفيريس شاعر الإغريق في القرن العشرين

لطفية الدليمي: للقارئ بين الجندرية والخطاب المهيمن

أحمد برقاوي: أن تمشي هناك على تلك الأرض

هنري لانغلوا مؤسس السينماتيك الفرنسية ومفجر الثورة الطلابية

نوري الجراح: مراثي هابيل (قصيدة جديدة)

ص11 إلى 16 »

وجوه

اللواء محمد ناصيف خير بك ص 7 »
رحيل ثعلب النظام السوري

بريماكوف ص 8 »
رجل الظل الروسي في الشرق الأوسط

بشير السباعي ص 9 »
شاعر ومترجم اختار أن يكون تروبادور الصمت

علي بن الحسين ص 10 »
الأمير العربي الثائر على ديكتاتور الفيفا

العرب
alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2015/07/05 – الموافق لـ 18 رمضان 1436

السنة 38 العدد 9969

Sunday 05/07/2015

38th Year, Issue 9969

الأسد يمر إلى الخطة «ب» لإفشال مبادرة أممية ترتّب لتنحيته

● النظام يستنجد بحزب الله للسيطرة على الزبداني، ويتراجع كليا في حلب

❑ **بيروت** – قال مراقبون إن الهجوم الذي تشنه القوات السورية مدعومة بميليشيا حزب الله اللبناني على مدينة الزبداني هو رسالة من الرئيس السوري بشار الأسد إلى أطراف دولية تتحرك لترتيب تنحّيه من السلطة ونقلها إلى هيئة حكم انتقالية تجمع أطرافا من النظام والمعارضة.

ورسالة الأسد تحمل تلويحا بالانتقال إلى الخطة "ب" التي تعني الدفع باتجاه إقامة دولة علوية على الساحل والتشريع الفعلي لتقسيم سوريا والزج بها في صراعات طائفية وعرقية طويلة الأمد، وذلك في رد على صفقة لتنحيته تم تبنيها في قمة السبع الأخيرة بألمانيا وأصبحت روسيا من الداعمين لها.

وقادت قوات النظام السوري مدعومة بحزب الله اللبناني أمس عملية عسكرية على مدينة الزبداني في ريف دمشق، المدينة الأخيرة التي لا تزال تحت سيطرة مقاتلي المعارضة السورية في المنطقة الحدودية مع لبنان.

وأشار المرصد السوري لحقوق الإنسان إلى "اشتباكات عنيفة بين قوات النظام والمسلحين الموالين لها والفصائل المقاتلة من طرف آخر، إثر هجوم عنيف بدأه حزب الله اللبناني وعناصر الفرقة الرابعة في الجيش السوري على الزبداني".

وتعرضت هذه المناطق الجمعة لتسعين غارة "بالبراميل المتفجرة والصواريخ من طائرات النظام الحربية والمروحية"، حسب المرصد الذي رأى فيها "تمهيداً لبدء الهجوم اليوم (السبت)".

وفي حلب يتواصل تراجع قوات النظام وخسارتها لمواقع استراتيجية ما قد يسهّل على المعارضة السورية عملية حصار المناطق العلوية التي بلوح الأسد باللجوء إليها ردا على محاولات التضحية به.

وسيطر مقاتلو المعارضة ليل الجمعة السبت على مركز عسكري استراتيجي في غرب حلب، في أول تقدم نوعي لهم في هذه المنطقة منذ العام 2013.

وقال مدير المرصد السوري لحقوق الإنسان رامي عبدالرحمن إن سيطرة المعارضة على مركز البحوث العلمية الواقع عند الأطراف الغربية للمدينة تقدم استراتيجي بارز بالنسبة إلى معركة حلب خلال السنتين الماضيتين"، مشيرا إلى أن السيطرة على المركز "تعرض للخطر حي حلب الجديدة والأحياء الغربية الأخرى الواقعة تحت سيطرة النظام".

وتأتي صفقة تنحية الأسد في سياق توافق دولي على ضرورة إقامة تحالف إقليمي لمواجهة تمدد تنظيم داعش في العراق وسوريا. لكن متابعين للشأن السوري يقولون إن تنحية الأسد قد لا تكون منذ البداية وأنه قد يستمر على رأس السلطة لسنتين على أن يكون دوره ثانويا، وأن تعطى الصلاحيات الكاملة لهيئة الحكم الانتقالي في عملية التنسيق الإقليمية ضد داعش التي ينتظر أن تضم دولا في حالة عداء تام مع الرئيس السوري الحالي مثل السعودية.

وتقوم الخطة في جانب منها على تكليف حزب الله بمهمة السيطرة على مواقع حدودية سورية محسوبة على السنّة، وتهجير سكانها قسريا لتسهيل إقامة شريط يربط مواقع سيطرة حزب الله مع الدولة العلوية المنتظرة.

وقال عضو كتلة المستقبل النائب معين المرعبي، في تصريح سابق لـ"العرب" إن حزب الله يسعى إلى السيطرة على جرود عرسال واحتلالها في المرحلة المقبلة في انتظار زمن اقتسام الأراضي وضمها إلى الشريط الذي يحاول إقامته بدءا من لبنان وصولا إلى الساحل السوري.

وأضاف القيادي في تيار المستقبل الذي يرأسه سعد الحريري إن حزب الله يخطط للسيطرة على منطقة القلمون والزبداني وتهجير سكانها في سياق تهيئة الشروط لقيام الدولة العلوية في حال استعصى على الأسد الاحتفاظ بالعاصمة دمشق.

وتعرضت أحياء من مدينة حمص لعمليات تهجير جماعي خلال محاولة نظام الأسد السيطرة عليها عام 2013، وتسيطر قوات النظام حالياً على معظم أجزاء المدينة.

وكانت الزبداني تشكل قبل بدء النزاع ممرا للتهريب بين سوريا ولبنان، وهي من أولى المدن التي انتفضت ضد النظام في منتصف مارس 2011، ودخلت تحت السيطرة الكاملة لفصائل المعارضة منذ أواخر 2013.

وفي أبريل، نفّذ مقاتلو حزب الله والقوات النظامية عملية عسكرية واسعة طردوا خلالها مقاتلي المعارضة من منطقة القلمون الحدودية مع لبنان والتي تشكل الزبداني امتدادا لها.

وكانت تقارير دولية تحدثت عن عمليات نقل وتخزين للأسلحة الثقيلة والسلع الإستراتيجية في مناطق الساحل على مدى السنوات الأخيرة، لكن خبراء يقولون إن فرصة إقامة دولة على الساحل السوري أمر بالغ الصعوبة وإن الأسد الذي فشل في التصدي للمعارضة في مناطق مختلفة من سوريا قد لا يستطيع التصدي لهم وهو في منطقة محدودة الجغرافيا.

التحالف العربي يدمر مصنعا للصواريخ في صعدة

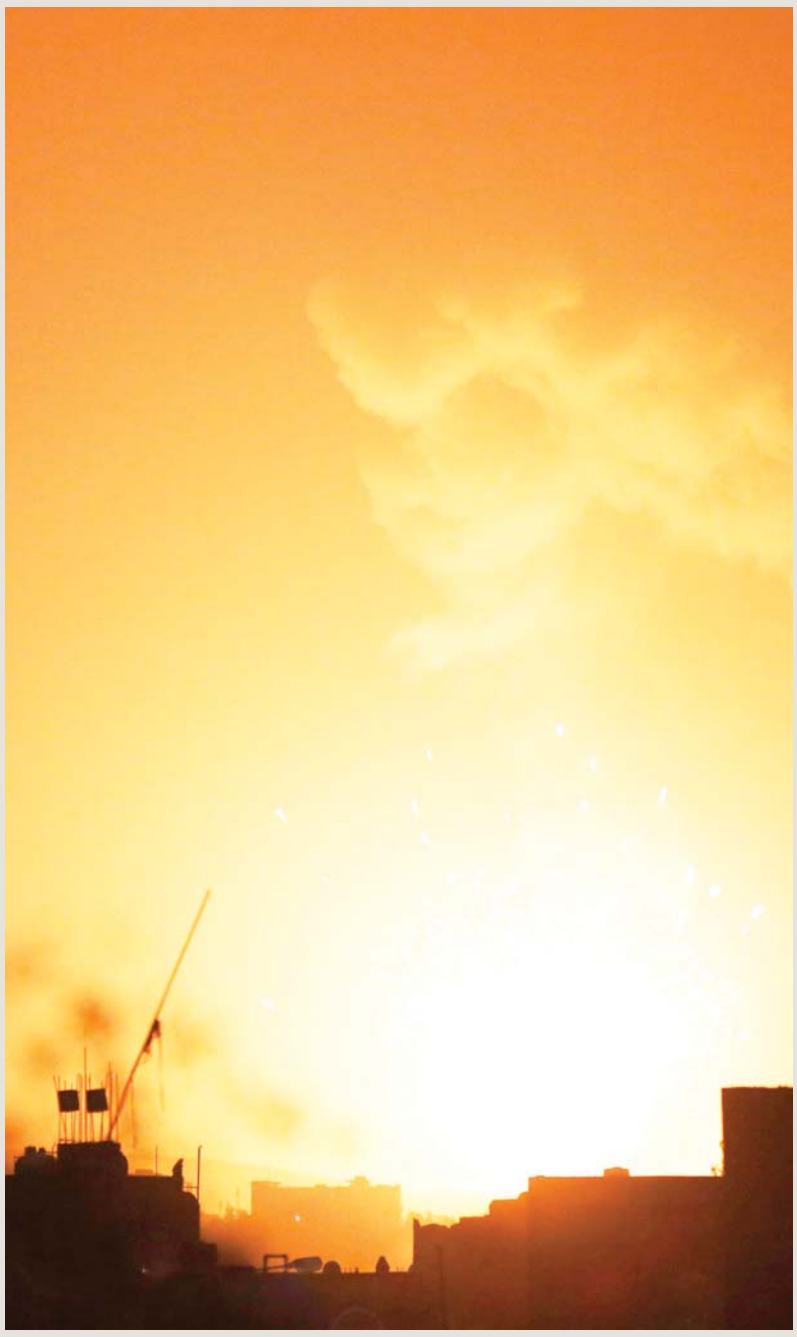

❑ قصفت طائرات التحالف العربي بقيادة السعودية ليل الجمعة السبت مصنعا للصواريخ والذخائر قرب صعدة (معقل الحوثيين)، مما أدى إلى مقتل 23 شخصا. كما شنت أربع غارات على مخزن للأسلحة في صنعاء، وخمس غارات على مقر قيادة الدفاع الجوي.

ويتزامن هذا القصف مع ضغوط أممية لدفع فرقاء الأزمة إلى وقف إطلاق النار والقبول بهدنة إنسانية نهاية شهر رمضان.

«أبو وائل» حصد ما زرعه

خيرالله خيرالله

ص 5 »

المبعوث الأممي يخيّر إخوان ليبيا بين اتفاق الوحدة أو العقوبات

❑ **الصخيرات (المغرب)** – قال مقرّبون من المبعوث الأممي إلى ليبيا برناردينو ليون إنه حذّر وفد المؤتمر الوطني المنتهية ولايته بأن الوقت ينفد أمامهم، وأن عليهم اللحاق بالصخيرات لإمضاء الاتفاق، ملوّحا بأن أيّ مقاطعة ستدفع إلى التعامل معهم تماما مثل داعش.

وبرر المؤتمر عدم لحاقه بالاجتماع إلى حد الآن بكونه ما يزال يدرس التعديلات الحاصلة على المسودة التي أرسلت إليه، لكن متابعين لأجواء الحوار الليبي يؤكدون أن جماعة المؤتمر، المرتبطين بجماعة الإخوان المسلمين في ليبيا، يرفضون المسودة، ولم يجرؤوا على رفضها خوفا من تلويح الأمم المتحدة بعقوبات عليهم.

وسعى المؤتمر إلى فرض شروطه خلال الجلسات السابقة، لكنه فقد الكثير من الأوراق التي كانت بيده، خاصة بعد انسحاب ميليشيات من مصراتة من فجر ليبيا ذراعه العسكرية، ودعمها للحوار والتقارب مع البرلمان الشرعي الموجود في طبرق.

وكان المبعوث الأممي قد اجتمع بقيادات عسكرية في مدينة مصراتة، الأسبوع قبل الماضي، لبحث مشاركتهم في مسار آمني ضمن مسارات الحوار الجاري حاليا في مدينة الصخيرات.

واستدعى هذا اللقاء شجبا من المؤتمر الوطني المنتهية ولايته في رسالة وجهها رئيسه نوري بوسهمين إلى المبعوث الأممي، يدعوه فيها إلى ضرورة التنسيق مع رئاسة أركان المؤتمر لعقد هذه المشاورات.

وقال مراقبون إن فجر ليبيا سيجد نفسه في مواجهة ليس فقط مع الجيش الليبي والمؤسسات الجديدة التي ينتظر أن يقرها لقاء الصخيرات (المجلس الرئاسي على وجه الخصوص)، ولكن في وجه الدول الأوروبية والولايات المتحدة التي سبق أن أعلنت أن أيّ رافض لنتائج الحوار ستسلط عليه عقوبات شديدة، وسيصنّف في خانة العاملين على إثارة الفوضى في ليبيا شأنه شأن داعش والمجموعات المتشددة القريبة منه.

وبدأت العشرات من القطع الحربية الأوروبية تتحرك نحو السواحل الليبية ضمن إطار عملية "يونافور- ميد" التي قد تتحول إلى تدخل عسكري مباشر ليس فقط لمنع قوارب الهجرة غير الشرعية كما هو معلن، وإنما قد يتوسع ليشمل الحرب على المجموعات المتشددة وبينها داعش، ولاحقا فجر ليبيا الرافضة لاتفاق الصخيرات.

وتقول الدول الأوروبية إن حشد هذه الترسانة قبالة السواحل الليبية يأتي تنفيذا لقرارات وزراء خارجية الدول الأعضاء في الذين أطلقوا رسميا، المرحلة الأولى من عملية عسكرية لملاحقة مهربي البشر وتدمير شبكات تنظيم رحلات الهجرة غير الشرعية.

النهضة تستنفر أذرعها لتعطيل إجراءات تجفيف منابع التشدد في تونس

❑ **تونس** – اتهم مراقبون أطرافا من داخل حركة النهضة الإسلامية بالوقوف وراء الاحتجاجات الرافضة لبسط الحكومة التونسية يدها على المساجد، وتعيين أئمة معتدلين، وحل جمعيات تحوم شكوك حول دعمها للإرهاب.

يأتي هذا في وضع أمني صعب يستدعي سرعة تنفيذ الإجراءات لخلق الأرضية الداعمة للحرب على الإرهاب، وهو ما دفع الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي أمس إلى إعلان حالة الطوارئ في البلاد.

وأحجمت الحركة عن تحديد موقف علني من الإجراءات الحكومية الأخيرة الهادفة لاجتثاث المنابع التي يتغذى منها الإرهاب، لكن حدث غليان كبير داخلها ضد هذه الإجراءات التي رأى فيها قياديون استهدافا مباشرا لمجال تحرك الحركة وشعبيتها.

وهاجم نشطاء محسوبون على الحركة أو مقرّبون منها الإجراءات الأخيرة وخاصة ما تعلق بتغيير الأئمة، وحل الجمعيات، وخاصة أنها مرت مباشرة إلى أئمة مقربين من الحركة أو ليس بينهم وبينها أيّ خلاف عقائدي أو سياسي مثل بشير بن حسن في مدنية مساكن من محافظة سوسة (شرق).

وتظاهر العشرات من الشباب ضد إعفاء بن حسن من الإمامة وتعيين إمام من وزارة الشؤون الدينية مكانه، وسط دعوات إلى مقاطعة صلاة التراويح بالجامع إلى حين عودة الإمام المعروف بمواقفه المتشددة والمتهم بتشجيع الشباب على الجهاد في سوريا.

ولا يستبعد متابعون للشأن التونسي أن تدعم أطراف من داخل النهضة هذه الاحتجاجات والضغط على الوزارة للتراجع، وذلك خوفا من أن تتوسع دائرة الإقالات في صفوف الأئمة لتشمل أئمة تابعين لها.

واستفادت الحركة من فترة الحكم لتغرق الوزارات والمؤسسات المختلفة بالمنتسبين إليها، وخاصة وزارة الشؤون الدينية، حيث نجح الوزير السابق نور الدين الخادمي في فرض مقربين منه وأصدقاء دراسته كمستشارين وأئمة وخطباء وأعضاء نافذين بهيئات التدريس في المؤسسات العلمية التابعة للوزارة.

وكان للخادمي دور بارز في توسع دائرة التعليم الموازي سواء أكان تحت لواء جامع الزيتونة، أو لواء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الذي هو عضو فيه، فضلا عن تعليم خاص تشرف عليه جمعيات ومنظمات غير معروفة.

ونجح التعليم الديني الموازي في استقطاب الشباب، وتهيئته لحمل أفكار متشددة تولّت طمس الخطاب الديني المتسامح الذي عملت الدولة خلال 60 عاما من الاستقلال على التأسيس له. وما يثير الاستغراب أن الخطاب المتشدد أصبح ناطقا باسم المؤسسات الدينية الرسمية مثل مؤسسة الإفتاء أو المجلس الإسلامي الأعلى.

وأعفى أمس رئيس الحكومة الحبيب الصيد رئيس المجلس الإسلامي الأعلى عبدالله الوصيف من مهامّه بعد رسالة مثيرة للاستغراب كان وجّهها ليوسف الصديق، أحد أبرز المفكرين التونسيين، مطالبا بإيقاف برنامج ديني له يحمل عنوان "عيال الله".

وقال المكلف بالإعلام في رئاسة الحكومة ظافر ناجي إن قرار الإقالة لم يكن سببه محتوى الرسالة فحسب، بل إنّ الوصيف قد تجاوز كل صلاحياته التي من بينها تقديم الاستشارة للحكومة في المسائل والقضايا التي تعرضها عليه، وبينها برامج التعليم في الجامعة الزيتونيّة وبرامج مادّة التربية الدّينيّة في المعاهد.

وأضاف ناجي أنّ الرسالة كانت اجتهادا شخصيا منه لم تقع مناقشته مع بقيّة الأعضاء خاصّة وأنّ الموضوع في غاية الحساسية.

واتهم الوصيف في رسالته للإذاعة الصديق بتعمد تحريف معاني القرآن كما شبهه بالكاتب الإيراني سلمان رشدي الصادرة بحقه فتوى إهدار دمه بسبب كتابه "آيات شيطانية".

لكن الهيئة العليا المستقلة للاتصال السمعي والبصري والمكلفة بإدارة شؤون الإعلام رفضت تدخل المجلس الإسلامي في الاعلام، وقالت إن إدراج اسم الصديق في دائرة أسماء سبق أن هدر دمها من قبل متطرفين ورصدت جوائز مالية لتصفيتهم تعد تحريضا صريحا ضده وهو ما قد يعرض حياته للخطر في ظل ظروف أمنية حرجة.

وطالب جامعيون وإعلاميون ونشطاء في المجتمع المدني في رسالة حصلت "العرب" على نسخة منها رئيس الحكومة بحلّ المجلس الإسلامي، أو بإعادة هيكلته وتوضيح أهدافه بما يخدم التّجديد والإصلاح.

شكرا جماعة الإخوان

أحمد عدنان

ص 6 »

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلس – الامارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWETZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

المخاوف من العمليات الإرهابية تدفع تونس إلى إعلان حالة الطوارئ

الباجي قائد السبسي: الأزمات الاجتماعية والاقتصادية عقدت مهمتنا في مواجهة الإرهاب

شكا الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي من أن ظروفا اجتماعية واقتصادية أربكت عمل حكومته، وقللت من فرص مواجهة الظاهرة الإرهابية التي تتطلب تركيزا شديدا عليها، وأن إعلان حالة الطوارئ خطوة ضرورية في هذه المواجهة.

السبسي يعلن حالة الطوارئ ويمنح حكومته المزيد من الصلاحيات تحسبا لأي تهديد إرهابي قادم

□ **تونس** – أعلن الرئيس التونسي الباجي قائد السبسي السبت حالة الطوارئ في البلاد بعد ثمانية أيام من الاعتداء الدامي الذي أسفر عن مقتل 38 سائحا في 26 يونيو الماضي في مدينة سوسة.

يأتي هذا في ظل اتساع دائرة المخاوف لدى التونسيين من أن تكون هذه الخطوة المفاجئة نتيجة معطيات استخبارية حول هجمات يمكن أن تتعرض لها البلاد على يد المتشددين.

وقال الرئيس التونسي في كلمة له ألقاها عبر التلفزيون الرسمي أن البلاد تمر بأزمات اجتماعية واقتصادية عقدت مهمتها في مواجهة الإرهاب، لافتا إلى أن بلاده تحتاج إلى دعم دولي للنجاح في معركتها مع هذه الظاهرة.

وأوضح المتحدث باسم الرئاسة معز السيناوي أن هذا الاجراء الاستثنائي سيطبق في كل أنحاء تونس لثلاثين يوما قابلة للتمديد.

وعاش التونسيون ثلاثة أعوام في ظل حالة الطوارئ التي أعلنت في يناير 2011 قبيل فرار الرئيس الأسبق زين العابدين بن علي في غمرة الاحتجاجات التي أطاحت به. وتم تمديد هذا التدبير من دون توقف قبل أن يرفع في مارس 2014.

وإعلان حالة الطوارئ يمنح قوات الشرطة والجيش سلطات استثنائية ويتيح للسلطات خصوصا حظر الإضرابات والاجتماعات التي من شأنها التسبب بالفوضى. كما يجيز للسلطات تنفيذ عمليات دهم بحثا عن المشتبه بهم في قضايا إرهابية.

وتونس التي تواجه منذ ثورتها تصاعدا لحركات متشددة مسؤولة عن مقتل عشرات من عناصر الشرطة والعسكريين، تعرضت لاعتداءين في ثلاثة أشهر تبناهما تنظيم الدولة الإسلامية.

وأسفر الهجومان عن مقتل 59 سائحا أجنبيا: 21 في الهجوم على متحف باردو في مارس و38 في اعتداء سوسة في 26 يونيو.

وإعلان حالة الطوارئ بعد أكثر من أسبوع على اعتداء مرسى القنطاوي أثار تساؤلات.

وتساءل المحلل التونسي المستقل سليم خراط "لماذا بعد ثمانية أيام؟ هل ثمة معلومات جديدة عن اعتداء جديد؟ وكيف سيطبق الإجراء على الأرض؟".

ونبه إلى أن "حالة الطوارئ قد تكون أداة قمع بامتياز. هذا يتوقف على الإرادة السياسية". لكن المتحدث باسم الرئاسة حرص على التذكير بأن البلاد عاشت لأكثر من ثلاثة أعوام في ظل حالة الطوارئ. وقال السيناوي "في الظروف الاستثنائية تتخذ إجراءات استثنائية. لكن ذلك سيتم ضمن احترام القانون ولفترة محددة".

وبعد الهجوم في مرسى القنطاوي، أعلنت السلطات أنها ستنشر عددا إضافيا من عناصر الأمن المسلحين لتأمين الشواطئ والمواقع السياحية.

وقال رئيس الوزراء الحبيب الصيد الجمعة للبي بي سي إنه سيتم نشر أكثر من 1400 شرطي في المناطق السياحية لحماية الفنادق والشواطئ.

وأقر بتباطؤ في تدخل الشرطة خلال هجوم استهدف الأسبوع الماضي فندقا في سوسة أسفر عن مقتل 38 سائحا أجنبيا بينهم 30 بريطانيا وتبناه تنظيم الدولة الإسلامية المتطرف.

وأفاد الصيد في مقابلة مع تلفزيون بي بي سي البريطاني "الوقت الذي استغرقه رد الفعل هو المشكلة" قائلا إن الشرطة "أصيبت بجمود في كل مكان" ذلك اليوم.

وهي المرة الأولى التي يقر فيها مسؤول تونسي بتباطؤ الشرطة في التدخل.

ولم تتدخل الشرطة وتقتل الرزقي إلا بعد نصف ساعة بحسب شهود عيان كانوا في الفندق ساعة تعرضه للهجوم.

وأكد شهود أن الرزقي قتل سياحا كانوا على الشاطئ وآخرين داخل الفندق ثم خرج دون أن يضايقه أحد. إلى ذلك، أعلنت السلطات اعتقال ثمانية أشخاص بينهم امرأه إثر الهجوم. وأوضح الصيد أنهم "أصدقاء" لمنفذ الاعتداء كانوا يقيمون معه في القيروان (وسط) حيث كان يدرس وقريبون من أفراد عائلته. ويشتبه بأنهم "تعاونوا معه في التحضير لعمله الإرهابي".

والسبت، نقلت إلى بريطانيا آخر خمس جثث لبريطانيين قضوا في الهجوم. وإضافة إلى الضحايا البريطانيين الثلاثين، قتل في الاعتداء ثلاثة إيرلنديين وألمانيان وبلجيكية وبرتغالية وروسية.

وأفادت السلطات أن منفذ الهجوم وهو طالب في الثالثة والعشرين تدرب على استخدام السلاح في أحد المعسكرات في ليبيا التي تسودها الفوضى.

التهديدات الأمنية تجر تونس للبحث عن نموذج سياحي جديد

□ **تونس** – أثّرت الهجمات الإرهابية، التي عاشت على وقعها مدينة سوسة التونسية الأسبوع الماضي، وأودت بحياة أكثر من 38 سائحا، بشكل كبير على سمعة البلاد السياحية التي فقدت بريقها ونقاط قوّتها، بما يتطلّب مراجعة ضرورية من قبل الدولة للبحث عن نموذج سياحي جديد يتخطى فكرة "الشاطئ والشمس" لرفد القطاع بدعائم سياحية متنوعة.

في ثلاثة أشهر، شهدت تونس هجومين داميين أسفرا عن مقتل 59 سائحا أجنبيا، 21 منهم في هجوم متحف باردو في العاصمة في شهر مارس، و38 في فندق على شاطئ في مرسى القنطاوي الأسبوع الماضي. وإضافة إلى ما أثارته هذه الهجمات من مشاعر غضب، فقد شكّلت ضربة قاسية للاقتصاد. ويخشى عاملون في هذا القطاع من تأثيرات كارثية لهجوم سوسة.

وقد شكّلت تونس بفضل موقعها وجهة سياحية عالمية يؤمّها ملايين السياح سنويا من مختلف أنحاء العالم، وبلغت نسبة الأوروبيين منهم نحو 85 بالمئة، قبل ثورة يناير 2011. ووفقا لإحصاءات رسمية زار 2.8 مليون سائح تونس العام الماضي ليتعافى عدد السياح باتجاه مستويات عام 2010 قبل الانتفاضة عندما بلغ 3.8 مليون.

وأسهم موقع تونس ومناخها في إعطائها أهمية خاصة، فشمسها المشرقة على مدار السنة وطقسها المتوسطي المعتدل وطبيعة أرضها المتنوعة جعل منها نقطة جذب سياحي. لكن، هذه المقوّمات لم تعد كافية لتحصين السياحة التونسية؛ فتحت وطأة التهديدات الإرهابية وغياب الأمن أصبحت تونس في حاجة إلى إعادة تقديم نموذجها السياحي في ما يتخطى فكرة "الشاطئ والشمس لجذب زوار جدد، بحسب ما يقول خبراء متخصصون في القطاع الذي يعتبر أحد أهم أعمدة الاقتصاد التونسي؛ إذ يشغل 400 ألف شخص بشكل مباشر وغير مباشر، ويساهم بنسبة 7 في المئة من إجمالي الناتج المحلي ويدر ما بين 18 و20 بالمئة من مداخيل تونس السنوية من العملات الأجنبية.

وفي مساع لإنقاذ الموسم، اتخذت السلطات التونسية إجراءات استثنائية لدعم السياحة في هذه الظروف منها، إلى جانب التعزيزات الأمنية في المناطق السياحية، إعادة جدولة ديون مؤسسات سياحية ومنحها قروضا جديدة استثنائية وإسناد منحة مالية لعمال المؤسسات الذين قد يحالون على البطالة الفنية.

لكن، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية يؤكد أن هذه الحلول لن تكون موضع إجماع لأنها "في سياق محدّد وعلى مدى قصير"؛ فيما يؤكّد الخبراء أن السياحة الشاطئية الجماعية التي تعتمد عليها تونس لم تعد مربحة.

وقال نائب رئيس الاتحاد التونسي للفنادق جلال هنشيري إن "نموذج السياحة التونسية أثبت جدارته حتى بداية الألفية الحالية". وأضاف أن السياحة ازدهرت في تونس في التسعينات، مع زيادة "سريعة وكبيرة" في قدرتها على الاستقبال، وبدأت البلاد بالاعتماد على السياحة الشاطئية. لكن بعد ذلك بدأ يتراجع، ووصل قمة الأزمة بعد ثورة يناير 2011 التي فقدت معها تونس كثيرا من مقوّمات الجذب السياحي.

وأشار نائب رئيس الاتحاد التونسي للفنادق إلى أنه قبل الثورة تمّ وضع تصور لإعادة هيكلة القطاع السياحي. لكن بعدما شهدت البلاد حراكا اجتماعيا وانتقالا سياسيا غلبت عليه الفوضى ذهب التصور أدراج الرياح.

وكتبت صحيفة "لا براس" التونسية "اليوم، وفي ظل التهديدات الأمنية، قد يكون من غير المناسب الاستمرار في دعم قطاع يحتضر ويتكبد خسائر. لذا على تونس أن تنقذ نفسها وتنتقل من نموذج سياحي قديم إلى آخر مبتكر وأكثر ربحا".

ويرى محللون وخبراء في القطاع أن على البلاد أن تقدم للسياح شكلا جديدا من العروض يتجاوز مجرد الإقامة في منتجعات وتغطية كل النفقات فيها. ويقول أستاذ الاقتصاد سامي سعودي إنه يمكن لتونس أن تراهن على السياحة "البيئة والرياضية والعلمية والطبية".

أما كبير الاقتصاديين في مكتب البنك الدولي في تونس جان لوك برناسكوني فيعتبر أن "السياحة الطبية قد تعطي القطاع اندفاعة جديدة".

السياحة التونسية تفقد تفوقها في معادلة «الساحل والشمس»

توتير العلاقة مع المغرب يعزز عزلة إيران الإقليمية

محمد بن امحمد العلوي

□ **الرباط** – اعتبر عبدالرحيم المنار السليمي، رئيس المركز المغاربي للدراسات الأمنية وتحليل السياسات في تصريحات مع "العرب"، أن إقدام وكالة أنباء إيرانية على مهاجمة الرباط وسياستها الخارجية، خطأ دبلوماسي كبير وغير محسوب، من شأنه أن يدفع بالعلاقة بين الجانبين إلى نقطة الصفر وهو ما سيزيد من عزلة إيران الإقليمية.

وكانت وكالة فارس التابعة للحرس الثوري الإيراني قد شنت في مقال نشرته مؤخرا هجوما على المغرب متهمة إياه بتنفيذ سياسات إسرائيلية.

وأثار هذا المقال ردود فعل مغربية غاضبة، حيث استدعت وزارة الخارجية المغربية، الجمعة 26 يونيو 2015، القائم بأعمال السفارة الإيرانية في الرباط وأبلغته احتجاج المغرب الشديد ورفضها المطلق مضامين "التقرير المغرض والمسيء لصورة المملكة المغربية"، معتبرة إياه خطيرا وذا أبعاد غير مقبولة تنم عن نية مبيتة للإساءة المقصودة لبلادنا.

وقال الخبير في الشؤون الإستراتيجية والأمنية، إن للمغرب تقييمه الخاص للسلوك الإيراني الأخير الذي لم يكن اعتباطيا.

وأضاف إن "المملكة كدولة محورية في شمال أفريقيا، بالإضافة إلى أنها قطب سني في شمال أفريقيا ومنطقة الساحل والصحراء، تدرك جيدا أن إيران لازالت دولة متمردة على النظام الدولي رغم كل المحاولات الجارية منذ سنوات لإعادة إدماجها في المجتمع الدولي ومحيطها الإقليمي بتوقيع الاتفاق النووي بشروط تضمن الأمن والسلم الدوليين في السنوات القادمة".

واعتبر السليمي أن المغرب يدرك أن إيران دولة بنت سياستها الخارجية على العداء للعالم الإسلامي السني.

وعادت العلاقات الدبلوماسية بين إيران والمغرب العام الماضي، بعد قطيعة دامت ست سنوات على خلفية هجوم طهران على البحرين واعتبارها المحافظة 14 لها.

واستبعد منار السليمي أن يكون الهجوم الإعلامي لإمبراطورية الحرس الثوري على المغرب له علاقة بدعم المغرب للمملكة العربية السعودية، مؤكدا أن إيران تدرك جيدا أن علاقة المغرب مع السعودية والإمارات العربية المتحدة تاريخية واستراتيجية.

الحشد الشعبي يخيّر أبناء العشائر بين القتل والتهجير

الحكومة العراقية غير معنية بملف المصالحة الوطنية

يعكس استمرار معاناة أبناء السنة في العراق عدم وجود رغبة حقيقية من الحكومة بالسير قدما في المصالحة الوطنية، ويربط محللون ذلك بضعفها وسيطرة الحشد الشعبي وداعمته إيران على الوضع السياسي كما الميداني في العراق.

الميليشيات الشيعية ترقص على جسد العراق المثخن بجراح الطائفية

□ **بغداد** – كشفت وحدة الجميلي، مستشارة سليم الجبوري، رئيس البرلمان العراقي، لشؤون المصالحة الوطنية، أمس السبت، أن 5 بالمئة فقط من العائلات النازحة من المناطق ذات الغالبية السنية التي خرجت عن سيطرة تنظيم داعش عادت إلى مناطقها، معتبرة أن تدني النسبة "يقود إلى تقويض مشروع المصالحة الوطنية".

يأتي ذلك في وقت تعالت فيه الأصوات المنددة بما يتعرض له المدنيون، الذين لم يبرحوا مناطقهم ضمن دائرة المعارك، من قصف أدّى إلى مقتل قرابة المئة منهم في الفلوجة التابعة لمحافظة الأنبار لوحدها خلال شهر رمضان.

وأرجعت الجميلي انخفاض عدد العائدين إلى الشروط التي تفرضها "بعض الجهات التي تنسب نفسها إلى الحشد الشعبي والقوات المسلحة".

وأضافت المسؤولية العراقية أن "هذا مؤشر يقوّض المصالحة الوطنية، ويؤثر على المصالحة المجتمعية، ويخلق فجوة كبيرة بين النازحين، والجهات الحكومية، سواء المحلية أو الحكومة الاتحادية".

وأوضحت الجميلي "بعد مرور قرابة 8 أشهر على تحرير بعض المناطق في حزام بغداد، وبعض مناطق محافظتي ديالى (شرق)، وصلاح الدين (شمال)، من داعش، أصبح لزاما على الحكومة أن تؤمن عودة النازحين بأمان، وتوفر كل البنى التحتية لهم، لإعادة دمجهم في المجتمع، لأنهم مواطنون عراقيون، كفل الدستور لهم حق الحياة الكريمة".

> مقتل 90 شخصا واصابة 100 آخرين من المدنيين، منذ بداية شهر رمضان، نتيجة القصف الذي تقوم به القوات العراقية على مدينة الفلوجة

وأعلنت المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، نهاية الشهر الماضي، عن ارتفاع أعداد النازحين في العراق إلى 4 ملايين شخص، بسبب تواصل الحرب ضد تنظيم "داعش"، الذي يسيطر على مساحات واسعة من مناطق شمال وغرب البلاد.

ورغم خسارة "داعش" للكثير من المناطق التي سيطر عليها العام الماضي في محافظات ديالى (شرق)، ونينوى وصلاح الدين (شمال)، لكنّه ما زال يسيطر على أغلب مدن ومناطق الأنبار التي يسيطر عليها منذ مطلع عام 2014.

ويرى متابعون أن ممارسات ميليشيات الحشد الشعبي وغياب حكومة قوية أمام الضغوطات الإيرانية تشكل حجر عثرة أمام المصالحة الوطنية.

ويرى متابعون أن وقوف الميليشيات الشيعية المدعومة إيرانيا أمام عودة النازحين لمدنهم وبلداتهم يخدم بالأساس تنظيم داعش الذي يعتمد في استقطابه للعراقيين على هفوات وأخطاء الحكومة المتكررة، في ترك أيادي الحشد الشعبي منفلتة دون أيّ رادع.

معاناة العراقيين خاصة من الطائفة السنية لم تقف عند حد منع العديد منهم من العودة إلى ديارهم بل طالت حتى الذين رفضوا الخروج خشية مصير مشابه لما يواجهه النازحون.

وأعلن أمس، ائتلاف الوطنية العراقي (ليبرالي، فيه نواب شيعة وسنة، يتزعمه نائب رئيس الجمهورية أياد علاوي)، مقتل 90 شخصا وإصابة 100 آخرين من المدنيين، منذ بداية شهر رمضان، نتيجة القصف الذي تقوم به القوات العراقية على مدينة الفلوجة، فيما قالت مصادر من المدينة إن 21 شخصا قتلوا السبت فقط نتيجة ذلك القصف.

وقال النائب حامد المطلك، في مؤتمر صحفي عقده في مبنى البرلمان إن "القصف الذي تقوم به القوات الأمنية على مدينة الفلوجة منذ مطلع شهر رمضان أسفر عن مقتل 90 مدنيًا وجرح 100 آخرين أغلبهم نساء وأطفال".

وأشار المطلك أن "الإرهاب لا يعالج بالبراميل الحارقة التي لا ترحم ولا تميز، وحرق البيوت، كما حدث في 'النخيب'، وإنما بالتسامح والتعاون واعتماد المعلومات الدقيقة وفق خطط علمية وتفعيل الجانب الاستخباري".

من جانبه أوضح أبو محمد الدليمي، أحد شيوخ ووجهاء مدينة الفلوجة، أن "مناطق الهيتاوين وقرى زوبع جنوب الفلوجة وجنوب شرقها، تعرضت لقصف عنيف من قوات الجيش".

ويتهم أبناء الفلوجة الحكومة العراقية والقوات المساندة لها بالتعامل مع المدينة من منطلق ثأري فلطالما كانت وجهة مقاومة الاحتلال الأميركي، وبعده الإيراني وإن كان بشكل مختلف.

ويقول محللون إن ممارسات القوات الحكومية والحشد الشعبي من شأنها أن تعطل الحرب على داعش واستعادة باقي المدن على غرار الموصل التي بدأت تقترب منها طبول الحرب بعد أكثر من عام من سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية عليها.

وأسقطت طائرات عراقية منشورات على مدينة الموصل تبلغ فيها السكان بأن مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية سيطردون قريبا من المدينة الواقعة بشمال العراق وإن تفاصيل عملية انتزاع السيطرة على المدينة ستبثها محطة إذاعية جديدة.

ويسيطر التنظيم المتشدد على المدينة منذ أن اجتاحها مقاتلوه في يونيو من العام الماضي وتوغلوا في معظم المحافظات السنية في العراق.

ووعدت الحكومة بعملية عسكرية لاستعادة الموصل لكن المتابعون يستبعدون قرب المعركة لأسباب من بينها مكاسب التنظيم المتشدد في أماكن أخرى.

حماس تهدد باستهداف أجهزة الأمن بالضفة

□ **رام الله** – هدد قيادي في حركة حماس الأجهزة الأمنية الفلسطينية في الضفة الغربية باستهدافها، في تصريح خطير يكشف عن نية الحركة زعزعة استقرار الضفة، تمهيدا لوضع يدها عليها.

وقال القيادي إسماعيل الأشقر إن أجهزة الأمن الفلسطينية قد تصبح "هدفا للمقاومة" بسبب الاعتقالات، محملا الرئيس الفلسطيني محمود عباس والسلطة الفلسطينية مسؤولية تداعيات حملة اعتقالات في أوساط نشطاء الحركة في الضفة.

وأضاف الأشقر أن "حماس لا يمكن أن تستسلم لمجموعة من 'الخونة' المرتزقة (...) نطالب عقلاء حركة فتح والكل الوطني بوقف مسلسل الاعتقالات، وندين بشدة الاعتقالات السياسية في الضفة ونحمل عباس و(رئيس حكومته رامي) الحمد لله تبعاتها الخطيرة وحماس لا يمكن أن تستسلم لهذه السياسة".

وشنت السلطة الفلسطينية في اليومين الماضيين حملة اعتقالات في صفوف نشطاء وقادة لحماس، متهمين بالعمل على أجندات تدميرية في الضفة كما في كامل المنطقة العربية، في الوقت الذي تسعى فيه حماس لترسيخ هدنة طويلة الأمد مع إسرائيل.

وأكد المتحدث باسم الأجهزة الأمنية في الضفة الغربية اللواء عدنان الضميري صحة الاعتقالات قائلا "نعم، صحيح هناك اعتقالات، ونحن نعتقل على الخلفية القانونية التي نواجه فيها الخارجين عن القانون".

وأوضح الضميري أن "لدى الأجهزة الأمنية الفلسطينية معلومات عن نية حماس والإخوان المسلمين جر الضفة الغربية إلى حرب، سواء مع الاحتلال أو حرب داخلية، والتوصل مع إسرائيل إلى اتفاق هدنة طويلة الأمد في غزة".

وأضاف "لذلك لن نسمح لحماس بأن تعمل على تغيير المشهد في الضفة الغربية، وجعله مثلما يحصل في الدول العربية المحيطة" في سوريا والعراق.

غير أن الناطق باسم حماس سامي أبو زهري اعتبر أن حملة الاعتقالات "بحق كوادر حماس تعتبر تصعيدا خطيرا يقوّض جهود المصالحة" المتعثرة بين فتح وحماس.

وأكد مصدر أمني فلسطيني لم يشأ ذكر اسمه، في وقت سابق، أن جميع الذين تمّ اعتقالهم "لديهم نوايا لتنفيذ عمليات عدائية ضد السلطة الفلسطينية، ونبحث معهم عن معلومات".

ويهدد هذا التطور الخطير بتفجر الساحة الفلسطينية، ويرى محللون أن حماس بدأت فعليا في مخطط السيطرة على الضفة، بالقوة على غرار ما تم في 2007 حينما أقدمت على ذلك في قطاع غزة.

ويستبعد المحللون نجاحها في ذلك خاصة وأن أجهزة السلطة الفلسطينية أقوى بكثير منها في القطاع، بالمقابل يخشى أن تشن الحركة حملة اعتقالات ثأرية في صفوف حركة فتح التي يقود زعيمها محمد عباس السلطة.

زيارة السيسي رسالة عنوانها سيناء تحت السيطرة

□ **القاهرة** – في زيارة مفاجئة تنطوي على جملة من الدلالات، تفقد الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي أمس السبت، مقر قيادة عناصر القوات المسلحة في شمال سيناء، لمتابعة تطورات عمليات ملاحقة بؤر المتطرفين، بعد العملية الإرهابية التي وقعت الأربعاء الماضي، وأدت إلى مصرع أكثر من مائة إرهابي، و17 مجندا وضابطا مصريا.

واستمع الرئيس المصري لخطط سير العمليات العسكرية في مركز العمليات، وتفقد جانبا من أسلحة الإرهابيين التي تم ضبطها، وقام بزيارة بعض الكمائن الأمنية، كما التقى عناصر من الشرطة المدنية.

وألقى الرئيس المصري كلمة أشاد فيها بعناصر القوات المسلحة والشرطة، ودورهم في التصدي للمخططات التي تتعرض لها البلاد، منوها إلى أن العالم أيقن أن أمن مصر هو الدعامة الحقيقية للأمن والاستقرار في المنطقة والعالم.

وقال السيسي إن المتشددين الذين هاجموا عددا من الكمائن العسكرية في شمال سيناء الأسبوع الماضي حاولوا إقامة ولاية إسلامية لكن الجيش تصدى لهم وكبدهم خسائر "غير متصورة".

> 205
> عدد العناصر الإرهابية التي تم القضاء عليها على يد الجيش المصري في شبه جزيرة سيناء

وخلال الزيارة ارتدى السيسي الزي العسكري لأول مرة منذ توليه الرئاسة العام الماضي، وكان السيسي وزيرا للدفاع قبل استقالته وترشحه للرئاسة ووفقا للدستور يشغل حاليا منصب القائد الأعلى للقوات المسلحة.

ووصف السيسي في كلمته نظام الرئيس السابق محمد مرسي المنتمي إلى جماعة الاخوان المسلمين بأنه كان "دينيا فاشيا" وأضاف إن رسالة المتشددين كانت "احنا .. بعد سنتين نعلن أن في ولاية إسلامية (بمفهومهم يعني) في سيناء، يعني إحنا هنفذ ده بالقوة".

وفي رسالة مباشرة للجنود في سيناء إن "التاريخ سيتوقف كثيرا أمام بطولات الجيش المصري، ودوره في الحفاظ على الوطن، وإنه يؤدي التحية العسكرية لأبطال القوات المسلحة لما يبذلونه من تضحيات من أجل شعب مصر العظيم".

وأكد اللواء هشام الحلبي مستشار أكاديمية ناصر العسكرية لـ"العرب" أن الزيارة تبعث برسالة دولية وإقليمية، مفادها أن سيناء آمنة وهي تحت سيطرة الدولة، والدليل زيارة رئيس الدولة لأرض العمليات، وما حدث الأربعاء الماضي لم يكن إلا مجرد عملية إرهابية، لكن استطعنا إفشال المخطط الكبير الذي كان يرمي إلى اقتطاع جزء من شبه الجزيرة.

وأشار اللواء عبدالمنعم سعيد رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة الأسبق لـ"العرب" إلى أن الزيارة إشارة قوية على فشل المخطط الذي كان يهدف لإعلان تأسيس ما يسمّى بولاية سيناء، وأن يقظة القوات المصرية تستطيع إجهاض المخططات، وتتصدى لأيّ محاولة لزعزعة الاستقرار، وتدافع وتحافظ على مصر، ولن يستطيع أحد أن يقتطع أي جزء من أرض مصر.

من جانبه اعتبر مدحت الشريف مستشار سياسات الأمن القومي لـ"العرب" أن الزيارة رسالة دعم للقوات المسلحة، ودليل على أن عمليات التمشيط وعمليات المطاردة مستمرة للعناصر التي تقوم بعمليات إرهابية في سيناء .

وأوضح اللواء محمود خلف قائد الحرس الجمهوري الأسبق لـ"العرب" أن السيسي أراد تأكيد أن سيناء تحت السيطرة، ولا يوجد خطر يمنع الرجل الأول في البلاد أن يصل لأبعد نقطة على الحدود ويزور الكمائن

السيسي يتابع من مركز العمليات شمال سيناء سير الحرب ضد الإرهاب

التي تعرضت لهجوم إرهابي ممّن يطلقون على أنفسهم أنصار بيت المقدس أو ولاية سيناء، وتوصيل رسالة بالاستعداد القتالي المرتفع.

يذكر أن الرئيس عبدالفتاح السيسي القائد الأعلى للقوات المسلحة، أول رئيس مصري، بعد الراحل أنور السادات الذي لقي مصرعه في 6 أكتوبر 1981، يرتدي الزي العسكري.

من جهة أخرى، واصلت الدوريات تنفيذ أعمال التمشيط والمداهمة للأوكار والبؤر الإرهابية التي يحتمل تجمع أو اختفاء العناصر التكفيرية الهاربة بها، في كل من العريش ورفح والشيخ زويد، بمساندة من طائرات الهليكوبتر التي نفذت عمليات استطلاع جوي متعددة، وقصفت عددا من الأوكار الإرهابية بالمنطقة الصحراوية المتاخمة لرفح والشيخ زويد.

وأسفرت العمليات الأخيرة عن مصرع وإصابة عشرات من العناصر التكفيرية التي احتمت داخل المناطق المأهولة بالسكان.

وبلغ إجمالي عدد العناصر المتطرفة التي تم تصفيتها والقضاء عليها في أعقاب الهجوم الإرهابي الذي تعرضت له بعض كمائن القوات المسلحة في شمال سيناء، إلى 205 خلال الأيام الثلاث الماضية.

وعن نشر صور المجرمين خلافا لما اعتاد عليه الجيش المصري، قال اللواء سامح سيف اليزل إن المنطقة بالكامل، وليس مصر فقط تواجه حرب وجود، وليس قتالا عاديا أو تهديد إقليمي معتاد، والرسالة المعنوية لنشر الصور على نطاق واسع "إن القوات المصرية لن تتهاون أو تأخذها رحمة بالمجرمين، وكل من يتجرأ على حدود مصر".

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977

أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام

محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
Kensington Centre
66 Hammersmith Road
London W14 8UD, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk
www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

فوضى أم عودة للتفاوض: ماذا سيحدث لليونان إذا رفضت شروط الدائنين

مستقبل أثينا صعب أيا كانت نتيجة الاستفتاء على برنامج الإنقاذ المالي

يتوجّه الناخبون اليونانيون اليوم الأحد إلى مراكز الاقتراع للتصويت في الاستفتاء على شروط ومقترحات الدائنين الدوليين مقابل استمرار برنامج الإنقاذ المالي، في عملية تبدو فيها جميع الخيارات "سيئة"، فالتصويت بـ"نعم" يضع اليونانيين في ورطة المزيد من إجراءات التقشف وتواصل سياسات الاقتطاعات، أما ورطة التصويت بـ"لا" فستكون مواجهة عواقب وخيمة على مستقبل البلاد.

اليونان تستعد لاستفتاء حاسم وسط تقارب بين مؤيدي مقترحات الدائنين ورافضيها

❑ أثينا – بدا رئيس وزراء اليونان ألكسيس تسيبراس واثقا عندما دعا اليونانيين إلى رفض مقترحات الدائنين والتصويت "بـ"لا"، في الاستفتاء المصيري حول مقترحات الدائنين المتعلقة بالإصلاح والتقشف. وقال تسيبراس إن "التصويت بـ'لا' لا يعني القطيعة مع أوروبا"، وإنما هي وسيلة قوية للضغط للحصول على "اتفاق أفضل". لكن يورن ديسلبلوم رئيس مجموعة اليورو رد بقوله إن "هذا ليس صحيحا". فهل هي مقامرة أم تفاؤل منقطع النظير؟

يقول هولغر شميدنغ، الاقتصادي لدى برنبرغ، إن الاحتمال محدود بأن تعود أثينا من موقع قوة في حال حصلت على تأييد الناخبين. ويضيف "إذا صوّت اليونانيون بلا، سيصبح التوصل إلى اتفاق مع الدائنين أكثر صعوبة بكثير".

وسياسة التقشف التي يرفضها ائتلاف اليسار الراديكالي في اليونان فرضتها الترويكا الأوروبية (صندوق النقد الدولي والبنك المركزي الأوروبي واللجنة الأوروبية). وتعد ألمانيا أكبر دائن لليونان وتليها فرنسا، فلهما 80 بالمئة من الديون.

وأدى هذا التقشف إلى انهيار كامل في الخدمات الاجتماعية وتراجع التعليم والصحة والقيام بطرد 20 ألف عامل سنويا منذ عام 2011 وإلى الآن، وتفهقر الطبقة المتوسطة وهروب آلاف المعامل الصغيرة إلى بلدان أخرى.

وقد ساعد في ذلك التهرب الضريبي الكبير للشركات اليونانية الكبرى، وحدث بالتوافق والتلاعب مع الاتحاد الأوروبي، والذي صار يتحكم باليونان بدءا من 2010، مع بداية الأزمة الاقتصادية الكبرى.

وباتت اليونان منذ الثلاثاء متخلفة عن تسديد ديونها بعد عجزها عن تسديد دفعة مستحقة لصندوق النقد الدولي من 1.5 مليار يورو. ويفترض أن تسدد 3.5 مليارات يورو للبنك المركزي الأوروبي في 20 يوليو.

> التصويت بـ«نعم» يعني الاستمرار في مواجهة الاقتطاعات التقشفية، أما التصويت بـ«لا» فيعني مواجهة عواقب وخيمة على مستقبل البلاد في منطقة اليورو

وقالت آنييس بيناسي كيري، من كلية الاقتصاد في باريس، إن "أثينا في وضع معقد جدا. وهي تحتاج لتمويل خارجي لتسديد ديونها ولكن كذلك لدفع رواتب موظفيها الآن مع تدهور اقتصادها مجددا".

ويؤمّن البنك المركزي الأوروبي وحده حاليا استمرارية القطاع المصرفي اليوناني عبر دعم البنوك التي فرغت خزائنها تقريبا. والأربعاء الماضي قرر حكام المصرف الإبقاء على سقف المساعدة الطارئة مؤجلين اتخاذ قرار بوقفها، بانتظار انتهاء الاستفتاء.

ولكن ما إن يجرى الاستفتاء، قد يتغير الأمر. فقد يتم الإبقاء على المساعدة الطارئة كما هي لبضعة أيام، لكن "بعد 20 يوليو، وإذا لم يحصل البنك المركزي الأوروبي على المال، سيصبح الأمر مستحيلا تقريبا" وفق أنييس بيناسي كيريه.

وماذا سيحل بالاقتصاد اليوناني عندما يحرم من التمويل الخارجي؟ وكالة ستاندارد أند بورز للتصنيف قالت إنه "من دون دعم نظام اليورو، سيصبح نظام الدفع معطلا ولن تكون بنوكها قادرة على العمل".

ومع تعطل أجهزة الصرف الآلي ووقف العمل ببطاقات الائتمان قد تعمد الحكومة لتيسير الأمور إلى عملة "موازية" مثل الأوراق التجارية أو الكمبيالات التي يتم من خلالها الاعتراف بالديون، وما إن تضعها الحكومة في التداول يمكن أن تنتشر في القطاع الخاص.

> ولكن إذا تم إصدارها بموازاة اليورو، فقد تفقد هذه الأوراق التجارية المؤقتة قيمتها سريعا. عندها قد تشهد البلاد تضخما متسارعا وانهيارا لنظام الادخار. وستبقى الفواتير غير مسددة والمرتبات غير مدفوعة، وقد يصاب الاقتصاد كله بالشلل.

لا لأوروبا

أمام استراتيجية ألكسيس تسيبراس باعتماد سياسة التصالح تارة والمواجهة تارة أخرى، برزت الانقسامات بين مناصري الخط المتشدد مثل ألمانيا ودول البلطيق ودول شرق أوروبا والمعتدلين مثل فرنسا.

بدا نائب رئيس المفوضية الأوروبية فلاديس دومبروفسكيس مطمئنا بحديثه عن "إمكانية التوصل لاتفاق" قبل 20 يوليو في حين بدا رئيس المفوضية جان كلود يونكر جازما بقوله إن التصويت بلا في الاستفتاء يعني "لا لأوروبا". وقال إن التصويت بـ"لا" في استفتاء اليونان على شروط برنامج الإنقاذ المالي الدولي، سيجعل من "الصعب للغاية" استمرارها في منطقة اليورو.

وقال هولغر شميدنغ "هل سيجعل التصويت بلا خروج اليونان من اليورو حتميا؟ هناك أمور قليلة مؤكدة مئة بالمئة. ولكن خطر حدوث ذلك في هذه الحالة سيكون كبيرا جدا"، متسائلا حول المساعدة التي ستقدمها أوروبا حينها لليونانيين "لتخفيف الصدمة".

ولم يستبعد وزير المالية الألماني فولفجانج شويبله خروج اليونان من منطقة اليورو. وقال شويبله، في تصريحات لصحيفة "بيلد" الألمانية أمس السبت، "سواء مع اليورو أو دونه مؤقتا، فهذا السؤال يجيب عليه اليونانيون وحدهم". وفي إشارة إلى استمرار عضوية اليونان داخل الاتحاد الأوروبي في كل الأحوال، أضاف شويبله "بديهي أيضا أننا لن نتخلى عن الناس في اليونان".

وأصر الوزير الألماني على مراعاة دول اليورو لقواعد العملة الموحدة بشكل صارم، وقال إن "أيّ وحدة يمكنها أن تنجح فقط في حال تمسك الأعضاء بالقواعد، ومن باب نقد الذات علينا أن نعترف أننا كنا، نحن الألمان والفرنسيين، أول من كسر قواعد استقرار اليورو في عام 2003 وكانت تلك هي الخطيئة".

وتظهر استطلاعات الرأي تقاربا في معسكري "نعم" و"لا"، بما يعكس حالة الانقسام والتذبذب التي يعاني منها اليونانيون، وأيضا هذا بدوره يبيّن أن النتيجة في كل حالاتها لن تكون مخرجا جيّدا. وقد أظهر استطلاع أجرته" مؤسسة إبسوس" أن اليونانيين المؤيدين للموافقة على الشروط الصارمة لاتفاق الإنقاذ المالي في الاستفتاء يتقدمون بفارق نقطة مئوية واحدة على معسكر الرافضين. وقالت "إبسوس" إن حوالي 12 في المئة ممن شملهم الاستطلاع لم يتوصلوا إلى قرار بعد، وهو ما يبرز إمكانية كبيرة لتغيير النتيجة.

ورطة الـ«نعم» وورطة الـ«لا»

يواجه اليونانيون الأمرّين حيث أن التصويت بـ"نعم" يعني الاستمرار في مواجهة الاقتطاعات التقشفية، أما التصويت بـ"لا" فيعني مواجهة عواقب وخيمة على مستقبل البلاد في منطقة اليورو. ومن بين المؤيدين للتصويت بـ"نعم" رؤساء وزراء سابقون والكتلة الرئيسية في المعارضة التي ترى في "لا" خطرا على وضع اليونان في الاتحاد الأوروبي.

وتعني "نعم" الدخول في مفاوضات جديدة مع الدائنين لإنقاذ الاقتصاد المترهّل، لكن المفاوضات قد تستغرق وقتا طويلا، ما يعني استمرار القيود الحالية على عمليات سحب ونقل الأموال.

ومن المتوقع في تلك الحالة أيضا استقالة الحكومة الحالية المؤيدة للتصويت بـ"لا" وهي قد ألمحت إلى ذلك بالفعل، وقد تضطر إلى تشكيل ائتلاف حكومي جديد، لكن ليس واضحا عما إذا كانت البلاد ستشهد انتخابات جديدة. وليس واضحا أيضا انعكاس التصويت بـ"نعم" على إعادة حياة المواطنين إلى طبيعتها وفتح البنوك، إذ يتوقع أن ينتظر البنك الأوروبي لحين التوصل لاتفاق جديد.

> انقسامات بين مناصري الخط المتشدد مثل ألمانيا ودول البلطيق ودول شرق أوروبا والمعتدلين مثل فرنسا تجاه استراتيجية رئيس حكومة اليونان باعتماد سياسة التصالح تارة والمواجهة تارة أخرى

وبالنسبة إلى حزب سيريزا اليساري فإن فوز التصويت بـ"نعم" قد يعني الدخول في مرحلة من عدم الاستقرار السياسي، الأمر الذي لا يمكن للاقتصاد اليوناني أو النظام المصرفي أن يسمح به حتى وإن كان لفترة قصيرة. وعلى المدى المتوسط، سيدخل هذا الأمر اليونان في مرحلة تقشف جديدة.

أما فوز الـ"لا" في الاستفتاء فقد يدخل اليونان في المجهول، بحسب عدد من المراقبين، وحتى وإن كانت حكومة تسيبراس وعدت بالتوصل إلى اتفاق بعد أيام على الاستفتاء إذ أنها تعتقد أن من شأن ذلك أن يقوّي موقفها خلال المحادثات مع الدائنين. وفي النهاية، يتعلق الأمر أساسا بموقف الأوروبيين من الأمر، وهو متباعد.

ورغم تأكيدات الحكومة أن التصويت بـ"لا" لا يعني الخروج من منطقة اليورو، إلا أن هناك مخاوف حقيقية لدى قطاع من المسؤولين والمستثمرين والمواطنين العاديين من عواقب ذلك. ويشعر المستثمرون بمخاوف حقيقة من إمكانية حدوث ما يعرف باسم "غريكزيت"، أي خروج اليونان من منطقة اليورو. بدوره، التصويت بـ"لا" لن يعني العودة التلقائية لاستخدام العملة المحلية، لكن من دون التوصل لاتفاق وضخ أموال في الاقتصاد، سترضخ اليونان في أعباء سداد ديونها ورواتب الموظفين.

فهل ستبقى اليونان في هذه الحالة عضوا في منطقة اليورو؟ في الواقع، لا. ولكن "طالما لا توجد آلية قانونية للخروج من اليورو، فالخطر كبير بشأن ما سيحدث في أوروبا كلها في ما بعد"، وفق هنريك أنرلين من معهد جاك دولور.

وترى آنييس بيناسي كيريه أن "ما سيحدث في اليونان في حال فوز الـ"لا" لن يتمثل فقط بحدوث سلسلة من الأحداث الاقتصادية وإنما سيتوقف على المفاوضات السياسية. نحن في وضع لم يسبق له مثيل، لا أحد يعلم إلى أين ستفضي الأمور".

وعندما سئل وزير المالية اليوناني يانيس فاروفاكيس لماذا هو واثق من أنه سيتم التوصل إلى اتفاق حتى إذا صوت اليونانيون بـ"لا" على شروط اتفاق إنقاذ جديد محتمل قال إن عدم الموافقة سيكون باهظ التكاليف للجانبين. وقد يقرر التصويت مستقبل اليونان كعضو في منطقة العملة الأوروبية الموحدة.

وأضاف فاروفاكيس، الذي وصف الإجراء الذي تتخذه أوروبا نحو بلاده بـ"الإرهاب"، "يوجد الكثير عرضة للخطر بالنسبة إلى اليونان مثلما هو لأوروبا فإنني لديّ ثقة. إذا انهارت اليونان فإن تريليون يورو (ما يعادل الناتج المحلي الإجمالي لأسبانيا) ستضيع. إنه مبلغ كبير للغاية ولا أعتقد أن أوروبا يمكن أن تسمح بذلك".

أحزاب أوروبا المتشددة من اليسار واليمين تدعم حكومة أثينا

❑ روما – تستغل الأحزاب المعارضة للاتحاد الأوروبي من التيارات المتشددة اليسارية واليمينية الاستفتاء الذي ينظم اليوم في اليونان لصالح أجندتها السياسية الرافضة لنظام العملة الموحدة.

ودعت الحكومة اليونانية اليسارية برئاسة ألكسيس تسيبراس اليونانيين إلى التصويت بـ"لا" رفضا لخطة المساعدة التي عرضها الدائنون (الاتحاد الأوروبي والبنك المركزي الأوروبي وصندوق النقد الدولي) وتتضمن إجراءات تقشف جديدة.

وأعرب سياسيون أوروبيون من اليسار المعارض للتقشف عن تضامنهم مع الحكومة اليونانية كما أن البعض منهم سافر إلى أثينا لمواكبة يوم الاستفتاء.

وتعهد نيشي فيندولا، زعيم المعارضة اليسارية الإيطالية المتمثلة في حزب الخضر والحرية، بأن "يظهر تضامنا مع الشعب اليوناني في مواجهة المجزرة الاجتماعية (في إشارة إلى خطة المساعدة) التي أمرت بها بروكسل وباركتها برلين"، والتي يرى فيندولا أنها تتضارب مع مبادئ الوحدة الأوروبية.

أما في اسبانيا فيعتزم حزب "بوديموس" اليساري الراديكالي إرسال مسؤول العلاقات الدولية بابلو بوستيندوي إلى أثينا. وقال أنيغو إيريخون، الرجل الثاني في حزب "بوديموس"، إن "المشكلة ليست يونانية بل أوروبية (...) يسعى البعض إلى استغلال الشعب اليوناني لإظهار أنه من الممكن تنفيذ سياسات بديلة في أوروبا وخصوصا في الجنوب".

وفي فرنسا، انتقد مؤسس حزب اليسار جان لوك ميلانشون المحاولة "الممنهجة والمنظمة لخنق اليونان من قبل اليورو غروب لكي تكون بمثابة نموذج لدول أخرى لتتفادى أيّ كارثة مالية".

أما الناشط السياسي الإيطالي بيبي غريللو فوعد أيضا بزيارة أثينا ودعا إلى التصويت بـ"لا" في الاستفتاء.

وهذا الدعم لتسيبراس لا يأتي فقط من الأحزاب اليسارية الأوروبية، بل ترى فيه الأحزاب اليمينية أيضا خطوة أولى أمام استعادة الدول لسيادتها من سيطرة بروكسل.

وفي هذا الصدد قال مسؤول في حزب "فورتسا إيطاليا" اليميني ريناتو برونيتا "أدعم تسيبراس وإن كنت لا أتفق مع رؤيته السياسية وسياساته الاقتصادية"، مضيفا "لقد سئمنا من أوروبا البيروقراطية هذه، وتعبنا من أوروبا الألمانية"، في إشارة إلى نفوذ برلين الواسع.

ومن بين الأحزاب اليمينية المتشددة أيضا، حزب الجبهة الوطنية في فرنسا الذي يدعو إلى الخروج من نظام العملة الموحدة، إذ قال نائب رئيسته فلوريان فيليبو إن بروكسل "لعبت باليونانيين وكأنهم حقل تجارب لسياسة التقشف القاسية".

وفي بريطانيا، اعتبر رئيس حزب استقلال المملكة المتحدة (يوكيب) نايجل فراج أن من شأن الاستفتاء أن يتيح لليونانيين فضح "احتيال" رئيس المفوضية الأوروبية جان كلود يونكر ليستعيدوا استقلالهم وعملتهم.

وكتب فراج على حسابه على موقع تويتر أنه "لفترة طويلة تضعف عضوية اليونان في منطقة اليورو، ولذلك فإن الأزمة الحالية هي بمثابة فرصة، فالشعب اليوناني بحاجة لحريته حتى يزدهر".

وفي إيطاليا، قال ماتيو سالفيني من حزب رابطة الشمال اليميني "إذا كنت يونانيا لصوت بلا، لأنه لا يجدر بأحد إهانة الشعب"، مهددا بدعوة مناصريه للتوجه إلى أجهزة الصرف الآلي وسحب الأموال كما يفعل اليونانيون وذلك للقول "إننا لسنا بعبيد للبنك المركزي الأوروبي".

وتابع سالفيني إن "أوروبا بحد ذاتها كارثة، فالقوانين الأوروبية كارثية ويجب مراجعة المعاهدات الأوروبية كل على حدة، كما أن العملة الموحدة نظام خاطئ. ولذلك وقبل أن نموت من الجوع والبطالة، يجدر علينا التوقف ومراجعة كل هذا، والعودة الى البداية".

اليونان: استفتاء 5 يوليو

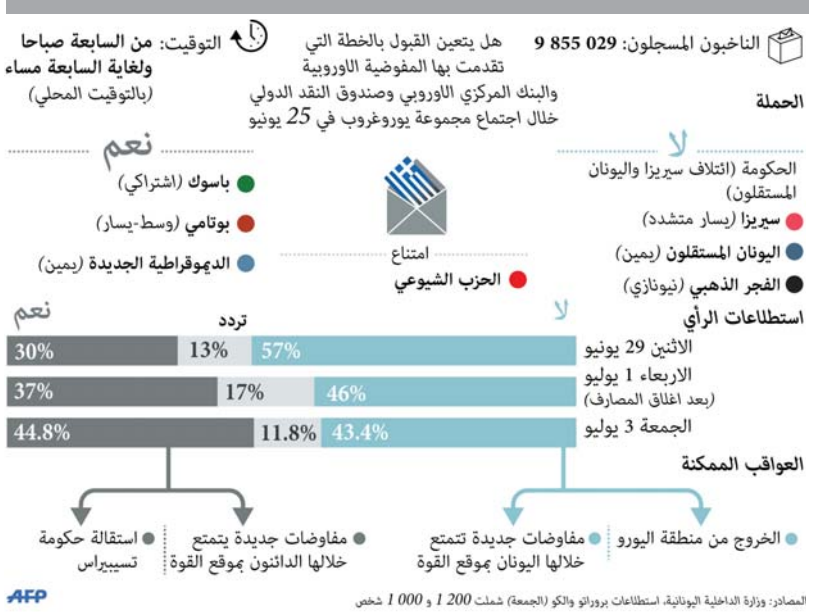

«أبو وائل» حصد ما زرعه

خيرالله خيرالله

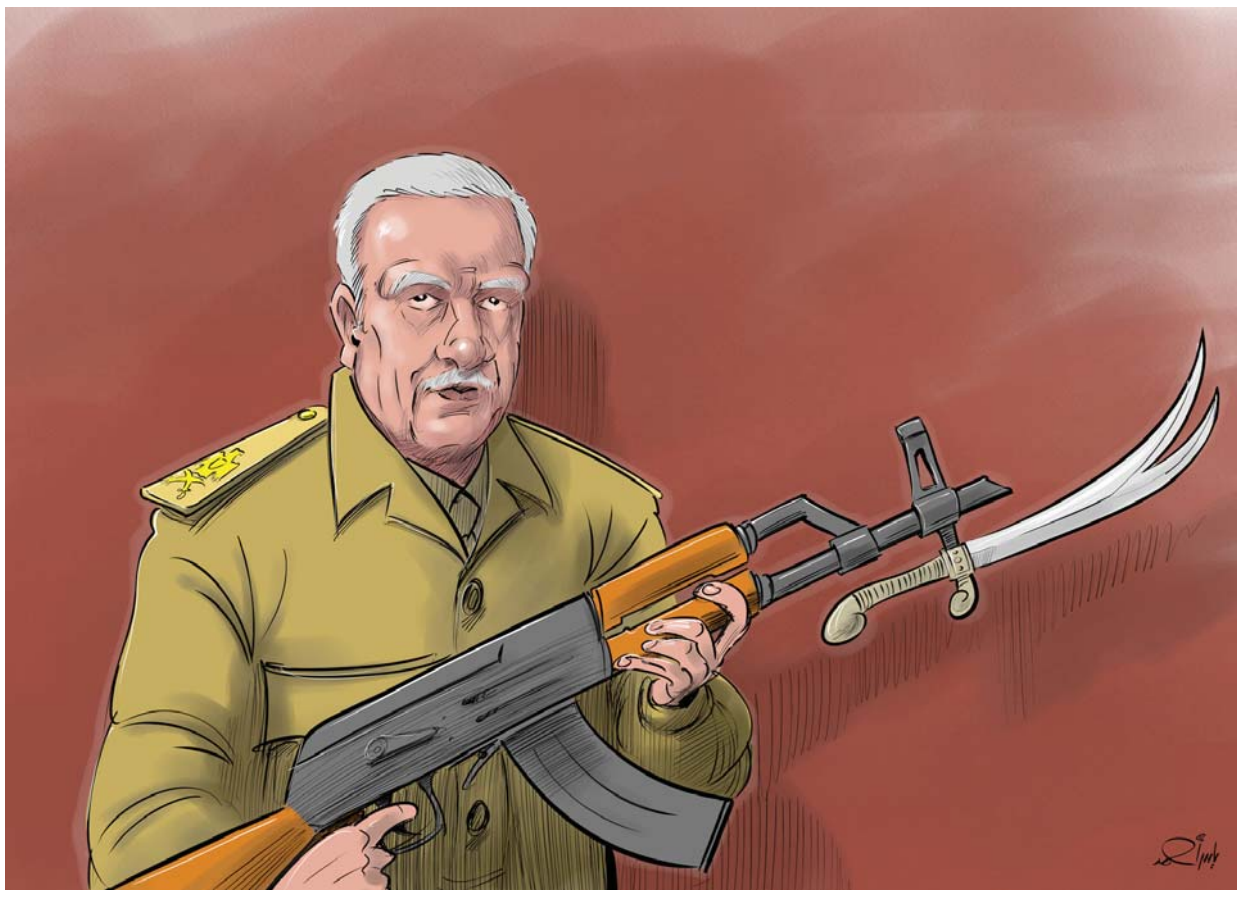

❑ كان اللواء محمّد ناصيف (أبو وائل)، الضابط العلوي الذي توفّيَ قبل أيام عن واحد وثمانين عاما، الرمز الأخير الصادق لما كان عليه نظام حافظ الأسد. كان رمزا لما كان يطمح إليه هذا النظام الذي أتقن تغطية طائفيته بشعارات حزب البعث التي لم تكن يوما سوى عناوين فارغة تستخدم في عملية ترييف المدن العراقية والسورية. كان محمد ناصيف خير بك الآتي من ريف حماة نموذجا لذلك العقل الشيطاني الذي أراد إقامة حكم علوي يهيمن علىٰ جزء من المشرق العربي وحتّىٰ المشرق كله عن طريق حلف الأقليات وعن طريق علاقة في العمق مع إيران.

كان ملف العلاقات الإيرانية السورية من اختصاص "أبو وائل" الذي سعىٰ إلىٰ نوع من التوازن بين طهران ودمشق وذلك عبر تخصّصه ملف شيعة العراق أيضا وحتّىٰ بأكراده. ولد الهلال الشيعي في رأس حافظ الأسد قبل أن يولد في رأس النظام الذي أقامه آية الله الخميني في إيران.

في أساس هذا الحلف الذي لعب "أبو وائل" دورا أساسيا في محاولة تشكيله، برعاية مباشرة من حافظ الأسد طبعا، تدجين مسيحيي لبنان من جهة وتغيير طبيعة الطائفة الشيعية من جهة أخرى.

ترافق ذلك مع استمالة الأقليات، خصوصا الدروز والإسماعيليين، داخل سوريا نفسها.. والمعاداة التامة لكل ما له علاقة بسنّة المدن من قريب أو بعيد، أكان ذلك في لبنان أو سوريا. أمّا أمر المسيحيين السوريين، خصوصا الروم الأرثوذكس منهم، فترك للرئاسة السورية مباشرة. كانت علاقات البطريرك الأرثوذكسي، وهو بطريرك أنطاكية وسائر المشرق الذي كرسيه في دمشق، مرتبطة بحافظ الأسد مباشرة.

لدى الكلام عن محمّد ناصيف، من المفيد التفريق بين دوره إبان حكم حافظ الأسد ودوره بعد رحيل الأخير عن عالمنا في العام 2000. لم يكن بشّار الأسد حريصا حرص والده علىٰ الدور المهيمن للعلويين وعلىٰ تغطية هذا الدور بتحالفات من نوع تلك التي ساعد "أبو وائل" حافظ الأسد في إقامتها. كان بشّار الأسد، ولا يزال أقل علوية من والده، هو الذي تربّىٰ في دمشق وبات يتطلع إلىٰ أن يكون سنيا من سنّة المدن الذين ينتمون إلىٰ عائلات البورجوازية الجديدة الغنيّة التي نشأت بفضل شبكة العلاقات المتنوّعة التي أقامتها مع العائلة الحاكمة والعلويين الدائرين في فلكها.. من أمثال آل مخلوف وآل شاليش.

فقد "أبو وائل" دوره الأساسي بشكل تدريجي في عهد بشّار الأسد، لكنه بقي، بفضل التأثير الإيراني، أحدى مرجعيات شيعة لبنان، كما بقي يشرف علىٰ العلاقات مع الدروز والإسماعيليين والشيعة في سوريا وعلىٰ جانب من العلاقة مع إيران.

> محمد ناصيف خير بك الآتي من ريف حماة نموذجا لذلك العقل الشيطاني الذي أراد إقامة حكم علوي يهيمن على جزء من المشرق العربي وحتى المشرق كله عن طريق حلف الأقليات وعن طريق علاقة في العمق مع إيران

في عهد بشّار الأسد، تضاءل التأثير السوري علىٰ شيعة لبنان إلىٰ حدٍ كبير. جاء ذلك لمصلحة إيران التي كان ملف العلاقات السورية معها تتحكّم به توازنات معيّنة راحت تختل شيئا فشيئا.

انتهىٰ الدور الأمني المركزي لمحمّد ناصيف مع وفاة حافظ الأسد. بقي الرجل يتمتّع بنفوذ واسع بسبب قربه من العائلة وعلاقته بإيران. لكنّ الحاجة إليه خفّت، خصوصا أن "حزب الله" صار لديه مدخل مباشر علىٰ بشّار الأسد المعجب بحسن نصرالله. أكثر من ذلك، تطوّرت الأحداث في لبنان وسوريا بطريقة دراماتيكية جعلت النظام السوري تحت رحمة إيران وليس العكس. لم تعد هناك حتّىٰ من حاجة إلىٰ محمد ناصيف بعدما قدّمت الولايات المتّحدة العراق علىٰ صحن من فضة إلىٰ إيران في العام 2003.

بعد 2003، لم تعد سوريا موجودة في العراق سوى عبر الإرهاب السنّي الذي تمثّله "القاعدة". بات المعارضون الذين آوتهم دمشق، أكانوا من الشيعة أو الأكراد يمتلكون حسابات وأجندات خاصة بهم خارج إطار حسابات النظام السوري وأجندته.

لكنّ الضربة الإيرانية الأكبر التي تلقّاها مشروع حافظ الأسد، فكانت في لبنان حيث استطاعت إيران، عبر ميليشيا "حزب الله" ملء الفراغ الأمني الذي نجم عن انسحاب الجيش السوري والأجهزة الأمنية في أبريل 2005 نتيجة اغتيال الرئيس رفيق الحريري ورفاقه. صحيح أن النظام السوري شارك في تغطية الجريمة والإعداد لها، لكن الصحيح أيضا أنّ التنفيذ علىٰ الأرض، وهذا ما تشير إليه الإتهامات الصادرة عن المحكمة الدولية، تولاه "حزب الله" أو عناصر مرتبطة به.

انتهىٰ الأمر بلعب بشّار الأسد، الحاقد علىٰ رفيق الحريري، الدور المطلوب منه أن يلعبه، وهو دور رسمت خطوطه العريضة في طهران وليس في دمشق.

انتهىٰ "أبو وائل" يوم انتهىٰ حافظ الأسد الذي سقط مشروعه في سوريا قبل أن يسقط في لبنان. خرّب سوريا ثمّ خرّب لبنان. كان مما لا شكّ فيه ضابط أمن ناجحا إن في مجال القمع الداخلي وإن علىٰ صعيد العلاقات مع بعض القوى المعروفة الإقليمية. لكنّه كان ضابطا لم يستطع يوما التخلّص من طائفيته.

نجح "أبو وائل" في أمرين. أولهما مساهمته في إقامة نظام أمني يسيطر عليه الضبّاط العلويون. حكم النظام سوريا بالحديد والنار وحوّلها إلىٰ سجن كبير طوال ما يزيد علىٰ أربعة عقود. أمّا الأمر الآخر، الذي نجح فيه، فهو تمهيد الطريق أمام سقوط نظام بشّار الأسد تحت السيطرة الإيرانية الكاملة.

لم يحصل هذا السقوط بين ليلة وضحاها. لكنّه جاء نتيجة طبيعية للعلاقة التي أقامها حافظ الأسد مع إيران بعد نجاح ثورة الخميني في العام 1979 وانضمام سوريا إلىٰ دعم إيران في حربها مع العراق بين العامين 1980 و1988. استفاد حافظ الأسد من كلّ الغباء الذي كان يتمتّع به عدوّه اللدود، البعثي الآخر، صدّام حسين. لم يترك صدّام خطأً إلاّ وارتكبه منذ توليه الرئاسة في صيف العام 1979، أي بعد أشهر قليلة من وضع الخميني يده علىٰ إيران.

أسّس "أبو وائل"، بإشراف الأسد الأب، طبعا، الحلف غير المقدّس الذي قام بين طهران ودمشق من منطلق مذهبي بحت. أسّس لخراب لبنان عندما لعب دورا في إغراقه بالأسلحة والمسلّحين الفلسطينيين وفي التدخل في كل كبيرة وصغيرة تخصّ أيّ شيعي لبناني. أسّس لتراجع الدور المسيحي في لبنان بدءا بتوريط المسيحيين في حروب مع المنظمات الفلسطينية. ترافق ذلك مع مجازر طالت الوجود المسيحي في الأطراف اللبنانية. لعلّ ما تعرّضت له بلدة القاع علىٰ يد السوريين في منتصف السبعينات من القرن الماضي خير دليل علىٰ ذلك..

> الضربة الإيرانية الأكبر التي تلقاها مشروع حافظ الأسد، كانت في لبنان حيث استطاعت إيران، عبر ميليشيا «حزب الله» ملء الفراغ الأمني الذي نجم عن انسحاب الجيش السوري والأجهزة الأمنية

لا يمكن إحصاء أفضال "أبو وائل" لا علىٰ سوريا ولا علىٰ لبنان ولا علىٰ العراق ولا حتّىٰ علىٰ الأردن في مرحلة معيّنة. لكن كلّ ما يمكن قوله إنّ الرجل قليل الكلام الطائفي في العمق والمتقشّف ظاهرا، حصد ما زرعه. حصد المشهد السوري الذي يمرّ أمام أعيننا اليوم. فصل قصير يختزل كلّ المشهد. سوريا التي عرفناها لم تعد موجودة. لم يعد من سؤال سوى هل تنجح إيران في إقامة دولة علوية تابعة لها ذات امتداد في لبنان؟

مثل هذه الدولة، التي لا يمكن أن ترى النور يوما، نهاية لحلف الأقلّيات الذي نادى به محمد ناصيف وعمل من أجله حافظ الأسد رافعا شعاري "المقاومة" و"الممانعة" في حين ليس مسموحا بتحليق عصفور في الجولان منذ العام 1974..

* إعلامي لبناني

اللواء محمد ناصيف خير بك ورحيل ثعلب النظام السوري

ص 7 »

لقاح لا بد منه

د. سالم حميد

❑ ليست مصادفة أن يتلقىٰ تنظيم داعش الإرهابي هزيمة في مكان ما من الوطن العربي، وفي ذات الوقت يحقق مفاجآت مأساوية مدويّة في موقع أخرى لا يتوقعها الآخرون. فما إن يتم الإعلان عن هزيمته في جزء من الأراضي التي احتلها حتىٰ يعود الإعلام سريعا للترويج عن احتلاله أجزاء مؤثّرة في مناطق أخرى. وليست مصادفة أن تعلن العديد من الدول الغربية تصدّيها لداعش بينما القراءات الميدانية تضع المراقبين والمحللين في حالات من التشويش التحليلي حول صدق تلك الدول في ما تعلنه، وحتىٰ الكثير من وسائل الإعلام بدأت بشكل متعمد في الإشارة للتنظيم الإرهابي باسم "دولة الخلافة الإسلامية"، وكأنما الأمر صار واقعا يجب الركون له والتعاطي معه، وكأنما التنظيم بأفعاله علىٰ الأرض يمثّل دولة للخلافة الإسلامية!

الأخطر في الأمر أن هذا التنظيم الإرهابي بدأ في نقل معاركه إلىٰ المناطق الأكثر أمنا في الوطن العربي، فاستراتيجية تفجير المساجد في السعودية وتفجير مسجد الإمام الصادق بالكويت، وما تردد عن تحركات التنظيم في عدد من دول الخليج يدل دلالة واضحة علىٰ أن التنظيم الإرهابي يسعىٰ لتخفيف ضغط التحالف العربي علىٰ الحوثيين في اليمن، بالرغم من أنه في الظاهر يستهدف فصائل ليست سنية، غير أن متوالية الأحداث الداعشية عند قراءتها بتروّ تفاجئنا بأن المواجهة بين تنظيم داعش الإرهابي والتنظيمات غير السنية التابعة لإيران لا تستهدف الجيوش بقدر ما تستهدف الآمنين بطرق تسعىٰ لإيجاد مبررات لتقاسم المواقع بين داعش وإيران عبر أذرعها المختلفة.

ومن الملاحظ أيضا بأن تنظيم داعش الإرهابي بدأ ينشط بصورة أكبر بعدما بدأت المحادثات النووية بين إيران والغرب، وهو أمر يدعو للحيرة والتعجب، فقبل بداية المحادثات النووية الإيرانية مع الغرب ما كان للتنظيم هذه القوة التي يتحرك بها بعد بداية المفاوضات، وإعلان الغرب عن مواجهته لداعش لم يزامنه إعلان مقنع عن مواجهته لإيران وفصائلها باستثناء الإدانات الخجولة التي مسّت بعض الأفراد في تلك المجموعات وتحاشت إدانة المجموعات رغم أفعالها الإرهابية الواضحة والتي لم تتورع عن نشرها بنفسها في مختلف وسائل التواصل الاجتماعي.

> لا بد أن تدرك المجتمعات بأن محاربة داعش هي محاربة فكر مغلوط قبل أن تكون مواجهة جيوش، وأن التوعية المدروسة تمثل أفتك الأسلحة التي ستقضي على هذا النبت الشيطاني

وبالرغم من أن التنظيم الإرهابي هدّد بابتلاع قطاع غزّة، إلا أن غزّة تحوّلت بقدرة قادر إلىٰ سيناء المصرية التي حدثت بها المجزرة المروعة التي ستشكل دون شك فاصلا في تاريخ مواجهة الإرهاب، فمقتل النائب العام في مصر، وما تلاه من أحداث لا يمكن بأيّ حال أن يتم إدراجه في قوائم المصادفات، ولا يمكن لتنظيم داعش أن يتحرك في تلك المناطق بتلك الطريقة التي هاجم بها الجنود المصريين دون عون لوجستي كبير من بعض الفصائل الفلسطينية الحاكمة وغير الحاكمة في قطاع غزة.

ودون شك تندرج أحداث مصر الإرهابية التي ارتكبها تنظيم داعش في إطار التنسيق بينه وبين تنظيم الإخوان المتأسلمين، خاصة وأن ارتفاع وتيرة المواجهات في مصر بدأت بعد إصرار القضاء والشعب المصري علىٰ التّخلص من تنظيم الإخوان، وقرار العدالة المصرية بإعدام مجموعة من قادته علىٰ رأسهم مرسي وبديع.

بعض أجهزة الاستخبارات الدولية، وتنظيم الإخوان المنهزم في مختلف أرجاء المنطقة العربية، وإيران الساعية لتمديد الصفوية بمختلف الوسائل، إضافة لتنظيم داعش الإرهابي وما فرّخه من مسميات مختلفة، أعمدة رباعية لا يمكن قراءة الأحداث دون الربط الواضح بينها رغم إعلان العداوة والمواجهة في الظاهر، فتفجير مساجد الشيعة في مختلف المناطق لا يعفي الصفويين من المسؤولية، لأن التّفجير يُقصد منه دائماً إيجاد مبررات التدخل، وإبعاد التهمة عن الفاعل، وإيجاد ذرائع لشق الصفوف الداخلية للدول المستهدفة لتسهيل عملية التّمكّن منها، فمختلف الدول التي حدثت فيها تفجيرات للمساجد، تعيش حالة سلام ذاتي بين مختلف طوائف المسلمين، ومخطط الجهات الأربعة يهدف بالأساس لخلق الفتنة الطائفية والمذهبية التي تجعل كل مجتمع يأكل بعضه بعضا مما يجعل اختراقه والسيطرة عليه وعلىٰ دولته أقلّ سهولة.

وليس هناك مجتمع في مأمن من العبث الداعشي المسنود من إيران وأجهزة الاستخبارات وفصائل الإخوان، فالإرهاب ليس له وطن أو جواز سفر أو عنوان، ووسائل التواصل الاجتماعي غدت من أخطر النوافذ التي يصل الإرهاب منها لمختلف المجتمعات، ولا بد من تقنين القوانين الخاصة بالتعاطي مع هذه الوسائل لحماية المجتمعات التي لازالت آمنة، فتسرّب هذا العدد الكبير من المقاتلين الإرهابيين إلىٰ سيناء المصرية وتفجيرات تونس وما يحدث في ليبيا وتفجير مساجد السعودية ومسجد الإمام الصادق بالكويت وما يحدث بسوريا والعراق ولبنان والبحرين، وما يحدث من محاولات فاشلة لجرجرة الأردن وغيرها من الدول التي لا زالت تعيش حالة الأمان، وزحف الشباب العربي والأوروبي المراهق إلىٰ مقار التنظيم في هجرة لا تختلف عن هجرات قوارب الموت التي يقوم بها الكثيرون من ضحايا العبث الإرهابي في المنطقة، وكون أن الاستخبارات الغربية بكامل خبرتها وعتادها ووسائلها لا تتمكن من اكتشاف أولئك المهاجرين من أبنائها لداعش إلا بعد وصولهم، كلها أمور تدعو للتّعجب والاستغراب والحيرة، فالإحصائيات التي ترددت عن عدد المراهقين الغربيين الذين انضموا لصفوف داعش، تؤكّد أن الأمر لا يمكن له أن يكتمل من وراء أعين الأجهزة الاستخباراتية التي تستطيع رصد دبيب النملة بفضل ما يتوفر لها من تقنيات ووسائل، وعبور المراهقين الأوروبيين كل تلك المسافات حتىٰ الوصول لداعش عبر البوابات التركية لا يمكن أن يكون مصادفة.

> المواجهة بين تنظيم داعش والتنظيمات التابعة لإيران لا تستهدف الجيوش بقدر ما تستهدف الآمنين بطرق تسعى لإيجاد مبررات لتقاسم المواقع بين داعش وإيران عبر أذرعها المختلفة

تكثيف التوعية الداخلية للمجتمعات التي عافاها الله من التلوّث الداعشي واجب لا بد من القيام به، فداعش يستغل غياب برامج التوعية الفعالة، ويغرر من خلال وسائل التواصل الاجتماعي بمراهقين لم يأخذوا التحصينات واللقاحات التوعوية الكافية ضد أطروحات التنظيم المغلوطة، ولا بد من أن تدرك المجتمعات بأن محاربة داعش هي محاربة فكر مغلوط قبل أن تكون مواجهة جيوش، وأن التوعية المدروسة تمثّل أفتك الأسلحة التي ستقضي علىٰ هذا النبت الشيطاني الذي تمت صناعته ودعمه لإعادة تقسيم المنطقة.

* كاتب من الإمارات

شكرا جماعة الإخوان

أحمد عدنان

❑ إن حوادث الإرهاب التي ضربت مصر مجددا في ذكرى ثورة الثلاثين من يونيو أعادت –دون قصد المعتدين– التلاحم العربي والدولي مع الحكومة المصرية في حربها ضد الإرهابيين.

وكانت رسالة العاهل السعودي، الملك سلمان، إلى الرئيس المصري، تضمنت عبارات حاسمة تؤكد دعم المملكة الكامل لمصر في مواجهة الإرهاب، والأهم من ذلك الامتنان لدور القوات المسلحة في إنقاذ مصر من براثن الحكم الإخواني البائد.

إن الرسالة السعودية إلى مصر، تزامنت مع قيام الملك سلمان، بإيقاف برنامج تلفزيوني وتحويل مقدّمه وضيفه إلى المحاكمة بتهمة الإساءة إلى الملك عبدالله، وتلك دلالة أخرى على أن عهود الملوك السعوديين متصلة يكمل بعضها بعضا خصوصا في المجال السياسي، أي أن سلمان يؤكد نهج عبدالله في محاربة الإرهاب الإسلاموي والتطرف الديني، ومن أهم صوره، جماعة الإخوان المسلمين، التي حاول رموزها خليجيا وعربيا تأجيج الفتنة بين السعودية ومصر، وبين عهد الملك عبدالله وعهد الملك سلمان.

قبل حوادث الإرهاب المصرية، صرح الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، بأنه لا مانع من قبول الإخوان إذا أرادوا العيش بسلام، لكن الإخوان ردوا عمليا بأنهم لا يريدون سلاما، فإما التسلط أو الفوضى والدم.

منذ ثورة الثلاثين من يونيو المباركة، المكمّلة لثورة يناير المجيدة، والإخوان يقدّمون كل يوم سببا تلو آخر يشرع محاربتهم وعزلهم ونبذهم، والأهم هو ظهور الوجه الحقيقي لخطابهم البشع الذي كانوا يغطونه بقناع التقية الديمقراطية.

بدأت الفضائح الإخوانية تتكشف، منذ روّجوا "تهم" باطلة وكاذبة، بأن الرئيس المؤقت عدلي "محمود" منصور قبطي، وأن وزير الدفاع (السيسي) والسياسي عمرو موسى من أمّين يهوديتين، كما أن رئيس الحكومة الانتقالية حازم الببلاوي شيوعي، ونائب رئيس الجمهورية حينها د. محمد البرادعي شيعي، وفوق هذا كله أبدوا استياءهم من تحسن وضع الأقباط بعد الثورة.

المآخذ الإخوانية اعلان صريح من الجماعة بأنها ضد قيمة المواطنة، وأن موقفها من الآخر المسلم وغير المسلم هو التكفير والإلغاء، وهذا يتناقض مع خطابها الذي روّجته خلال حكمها وقبيل ثورة يناير. والأسوأ من ذلك أنها لا تتورع عن الكذب وإهدار الدم لمغالبة الخصوم.

وفي مصادفة مريبة، تزامن سقوط الحكم الإخواني مع اندلاع أعمال العنف والإرهاب في طول مصر وعرضها، والقيادي الإخواني محمد البلتاجي صرح بأن سيناء لن تهدأ ما لم يعد الرئيس محمد مرسي إلى سدة الحكم، علما بأن نار الإرهاب خلال حكمهم كانت ضعيفة الجذوة باستثناء ما يصبّ لمصلحة الإخوان، كحادثة سيناء التي اتخذها الرئيس محمد مرسي ذريعة لإقالة وزير الدفاع (المشير محمد طنطاوي) ومجلسه العسكري.

كنت أعتقد واهما بأن جماعة الإخوان بريئة من فكر الإرهاب واتكأت في ذلك، على انشقاق العناصر المتطرفة عن الجماعة وانضمامها أو تأسيسها لجماعات أخرى متطرفة ومسلحة، كالجهاديين والتكفيريين والقاعدة، أمثال أيمن الظواهري وشكري مصطفى، لكن ثورة يونيو وما تلاها، أثبتت أولا أن فكر الإخوان وممارساتهم مماثل لفكر بقية جماعات الإرهاب وسلوكياتها، وأثبتت ثانيا أن جماعة الإخوان هي الحاضن الأم لفصائل الإرهاب، وأن التنسيق بينهم دائم ومستمر.

من جهة أخرى، أكد رفض الإخوان لثورة الثلاثين من يونيو، كذب دعوى إيمانهم بالديمقراطية، فالانتخابات ليست بيعة أبدية، والشعب الذي اختار مرسي رئيسا من حقه أن يعزله، لكن مرسي وجماعته رفضوا الانتخابات المبكرة، فكان تلاحم الجيش والشعب لرفض الأمر الواقع وتغييره.

أبدى الإخوان أيضا، امتعاضهم من دعم الرموز الفنية للسيسي، وأبدوا أيضا إدانتهم لأيّ مكاسب تسير نحو تمكين المرأة، وهذا يدلل مجددا على موقفهم السلبي من التحضر ومن حقوق المرأة بعد أن كانوا يظهرون العكس سابقا.

سبح الإخوان في الوهم، وظنوا أن نقد السيسي أو انتقاده دعوة لعودتهم

> سلمان يؤكد نهج عبدالله في محاربة الإرهاب الإسلاموي والتطرف الديني، ومن أهم صوره، جماعة الإخوان المسلمين، التي حاول رموزها خليجيا وعربيا تأجيج الفتنة بين السعودية ومصر، وبين عهد الملك عبدالله وعهد الملك سلمان

> قبل حوادث الإرهاب المصرية، صرح الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، بأنه لا مانع من قبول الإخوان إذا أرادوا العيش بسلام، لكن الإخوان ردوا عمليا بأنهم لا يريدون سلاما، فإما التسلط أو الفوضى والدم

إلى الحكم، وهذا غير صحيح، لأن الشعب المصري الذي يختلف مع السيسي أحيانا، يتفق معه مطلقا في محاربة الإخوان والإرهاب، بل إن الأصوات الشعبية المرصودة إعلاميا وإلكترونيا تجزم بتفضيل نار السيسي على جنّة الإخوان.

إن المآخذ على حكم الرئيس السيسي لم تتغير، فتجاهله للإصلاح السياسي كدرة التاج في مشروع الإصلاح الشامل، وتصادمه مع القوى الشبابية، وعدم ثقته بالمدنيين واعتماده على العسكر والحرس القديم في الدولة العميقة، وغياب الرؤية التخطيطية لحاضر مصر ومستقبلها، وتخبطه في السياسة الخارجية، ومنطقه الأمني الجامد والكلاسيكي، كلها عوامل تضعف مصر في حربها ضد الإخوان والإرهاب، والتصريح عن هذه المآخذ لمصلحة مصر لا لمصلحة الإرهابيين.

ومن أجل مصر أيضا، وجب التحذير من مغبّة الانزلاق إلى الهاوية المكارثية، والخطورة هنا مكمنها تحويل المعارضة السياسية إلى انشقاق سياسي، فيتحول النظام إلى سلطة بلا سند وطني، وتصبح الحرب على الإرهاب صراعا سياسيا بين حزبين، أحدهم يمارس الاستبداد الزمني والآخر يمارس الاستبداد الديني، فتتهاوى قيمة الدولة ويتلاشى معنى الوطن، كما أن الفجور في الخصومة من استهداف الإرهابيين إلى استهداف غيرهم باب للظلم الذي يهدم الاستقرار ويعيق التنمية ويقوّض العدالة والحق.

إن الدولة المصرية، أيا كان رئيسها، تستحق كل الدعم في حربها ضد الإرهاب المتمثل في جماعة الإخوان وداعش والقاعدة وغيرها، وعلى الرئيس الذي حظي بالتفاف شعبي وعربي غير مسبوق، أن يرتقي إلى أعلى مستويات المسؤولية والطموح، فالحرب على الإرهاب ليست أمنية فحسب، بل سياسية وفكرية وثقافية واقتصادية أيضا. وما رأيناه في مصر خلال عام مضى قريب من التشاؤم أكثر من التفاؤل.

الشعب المصري الذي يختلف مع السيسي أحيانا، يتفق معه مطلقا في محاربة الإخوان والإرهاب

إن توجيه الشكر لجماعة الإخوان واجب ومستحق، فسياساتها وجرائمها بعد ثورة الثلاثين من يونيو أسقطت أقنعتها المزيفة، وأكدت صواب ثورة الشعب المصري على حكمهم ووجودهم، وطمأنت النخب إلى صحة خيارها في مواجهتهم ونبذهم، وحسمت الصورة السوداء التي كانت تتربص بالمصريين والعرب لو استمروا في الحكم، تخيلوا أن هؤلاء كانوا على رأس السلطة. تحيا مصر.

* صحافي سعودي

أشباه دول في شمال سوريا

باسل العودات

❑ يشهد الشمال السوري حالة من الفوضى والتنافس والانتهازية من ثلاث قوى رئيسية، تسعى كل واحدة منها لتصبح شبه دولة، أو تفرض نفسها كدويلة، بدءا من العلم والنشيد الوطني وصولا للحكومة والمؤسسات، ويتخلل هذا التنافس توافق مصالح في الكثير من الأحيان ينعكس بما يشبه التنسيق بينها إلى درجة تثير الارتياب.

ثلاثة كيانات من أشباه الدولة هي: الدولة الإسلامية وخلافتها، ودولة كردستان بغربها وكانتوناتها، ودولة يحاول النظام السوري المترنح الحفاظ على بعض من ملامحها، ثلاثتها تتسابق لتحقيق هدفها قبل الآخر، ولا تتصارع لتحقيق ذلك، ويتخلل هذا التنافس توافق مصالح وتعاون تفرضه الضرورة في الكثير من الأحيان، فهي لا تتقاتل على نفس الأرض إلا نادرا، وتتقاسم الموارد الطبيعية وثروات الأرض والبترول، وتشترك بعدائها للجيش السوري الحر أو بقاياه، كما تشترك بأنها تعتمد على السلاح لا السياسة لتحقيق أهدافها.

تنظيم الدولة الإسلامية، الممول بشكل جيد والمسلّح دون حساب وصاحب العقيدة العسكرية المتهورة التكفيرية، انتشر في سوريا خلال سنة واحدة انتشار النار بالهشيم، وسيطر على نحو نصف مساحة سورية أو أوشك، وأدخل عشرات آلاف المقاتلين الأجانب ليقاتلوا إلى جانبه، وهو يخطط لإقامة دولة خلافة إسلامية في شمال سوريا ثم في كل البلاد، أو بالأصح نواة لـ"دولة إسلامية" تمتد إلى العالم العربي كله وربما لأوسع من ذلك.

ولتحقيق ذلك بدأ بتصفية منافسيه المحتملين، وهم في الحقيقة كافة المجموعات الثورية المقاتلة المعارضة للنظام، أما النظام فهو منافس مؤجّل طالما أن هناك فرصة للتفاهم معه والتنسيق، حيث لم تشهد الساحة السورية أي حرب أو شبه حرب أو حتى معركة مباشرة بين التنظيم وبين قوات النظام، وبات هناك قناعة شبه مطلقة لدى السوريين بوجود علاقة عضوية متينة بين هذا التنظيم والنظام.

حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري، صاحب السمعة الملتبسة بمقاييس عرب سوريا وأكرادها، أعلن قبل سنتين إقامة (كانتون) الإدارة الذاتيّة في شمال سويا تحت اسم (روج آفا) وهي تعني بالعربية (غرب كردستان)، وقام بتشكيل حكومة وبرلمان ووضع دستورا لهذا (الكانتون)، واحتكر السلاح والسلطة والقضاء ولم يقبل التشاركية، واستقدم آلاف المقاتلين من جبال قنديل وهم غير سوريين، وامتلأت خزائنه بإيرادات كبيرة (بعضها من آبار نفط يسيطر عليها)، واتهمته العديد من القوى الكردية بأنه يقمع كل كردي لا يوافق على سياساته، واتهمه تيار المستقبل الكردي بالتواطؤ مع (داعش) ضد الجيش السوري الحر، واتهمته المعارضة السورية بالعلاقة مع النظام، وقال الجيش السوري الحر إنه يتعاون مع حزب الله اللبناني، ومؤخرا اتّهمه كثير من السوريين بأنه يقوم بتغيير ديموغرافية شمال سورية تمهيداً لإعلان دويلته، كونفدراليته أو فيدراليته، فالتسمية لا تهمه بقدر أهمية تحقيق هدف الحكم الذاتي.

أما النظام السوري الذي فقد كثيرا من قواه العسكرية والقمعية، وكسب خلال أربع سنوات كره وحقد غالبية الشعب، يحاول بأي وسيلة أن يبقى في شمال سوريا ولو حتى كـ (مسمار جحا)، ليقول لأنصاره وللغرب إنه هو الدولة في تلك الرقعة من سوريا، ولم يتخلّ عنها، ويتآمر مع هذا ضد هذا، مع داعش ضد الثوار، ومع الأكراد ضد داعش، ومع الثوار ضد الأكراد، ومع أيا كان ضد أيا كان، ويُسلح ميليشيات من كل دين ومذهب، ويستعين بمقاتلين من كل حدب وصوب، ولا يمانع بالتعامل مع الشيطان ليُبقي هذا (المسمار) مُخترقا قلب سورية، مجسّدا سياسة المؤامرات الاستخباراتية التي حكم فيها سوريا لعقود، ومتناسيا أنه صاحب قوى منهارة وشعبية معدومة، وأن لا مستقبل له لا في شمال سوريا ولا في أي شمال آخر.

تتعزز قناعة لدى السوريين بأن تنظيم الدولة الإسلامية ما هو إلا حصان طروادة استخدمه النظام السوري لإرعاب الغرب، وتخويف أقليات الداخل من الموت القادم من الشرق، عفريت القمقم الذي انفلت من قمقمه وبدأ يشاكس مولاه، مشاكسة بحدود، فلا النظام يلقي عليه براميل الموت ولا يقصفه بسلاح الجو، ولا هو يقترب من النظام ولا من مراكزه الحساسة، وهذا يسلّم منطقة لذاك، ليرد عليه هذا الخير بمعروف في منطقة أخرى وطريقة أخرى، وهو تعاون تحكمه المصالح المؤقتة، قابل للانفجار فجأة، تماما كما انفجرت الثورة السورية، دون مقدمات ودون تمهيد.

كذلك تتعزز لدى السوريين قناعة بأنه ليس حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري وحده، وإنما غالبية القوى السياسية الكردية عموما، لم تحسم بعد خيارتها بشكل نهائي من الأزمة والنظام، فالحركة الكردية السورية ترى من الأفضل لها أن تنتزع حقوقا ومكاسب قومية وسياسية للأكراد من نظام ضعيف مأزوم متهالك، ومن معارضة مهلهلة، والأزمة السورية فرصتهم ليرسموا حدودا متخيّلة لدويلتهم بدلا من الانتظار إلى أجل غير مسمّى والمراهنة على حل قد لا يضمن لهم ما يحلمون به، حتى لو كان الطريق معبّدا بمئات الضحايا الأكراد البسطاء، فالهدف أسمى وأكبر وأهم من حياة هؤلاء المساكين.

أما بالنسبة للنظام فلا حاجة لسرد الكثير لوصف مبادئه وأخلاقه ومنهجه، فوحدها البراميل المتفجرة التي يلقيها فوق رؤوس المدنيين كافية لتدل على مدى وضاعته الأخلاقية والسياسية والإيديولوجية، وهي بالطبع واحدة من المؤشرات الكثيرة جداً والتي تدل على هذه الصفة.

تترافق غالبية العمليات العسكرية لهذه القوى الثلاث مع عمليات تهجير وتطهير عرقي وقتل عشوائي ومجازر، ويستقوي الجميع على السوري المسكين الفقير صاحب الحق والأرض، الذي شارك في الثورة عن طيب نيّة بحثا عن كرامة هدرها النظام وحريّة قيّدها ورزق سرقه، السوري المسكين الذي لم يجد مكاناً ينزح أو يهاجر إليه، والذي لا يملك سوى قوت يومه.

> شمال سوريا يشهد تنافسا بين ثلاثة كيانات من أشباه الدول، الدولة الإسلامية والدولة الكردستانية ودولة النظام السوري المترنحة

المعارك التي تقوم بين هذه القوى في بعض الأحيان هنا وهناك، تتوقف في الغالب فجأة، ويتوقف تمدد أي طرف دون سبب واضح، ويقول البعض إن الهدف تحقق، عندما يصل كل طرف إلى حدود خارطة الكيان أو الدويلة التي تكفيه مرحلياً، وكل من يحاول أن يقرأ تسلسل الأحداث ونتائجها منذ سنة على الأقل يُدرك أن هؤلاء متفقون على اللعب في الوقت الضائع ريثما تنهار الدولة السورية، ليخطف عندها كل واحد دويلته (المُرقّعة) التي يريد.

* كاتب سوري

صندوق أسود ومحرك أعلى للدائرة الأمنية الضيقة حول الأسد

اللواء محمد ناصيف خير بك ورحيل ثعلب النظام السوري

خالد سميسم

❑ **واشنطن** – رحل محمد ناصيف خير بك إلى جوار ربه، كما ورد في الخبر الرئاسي، الذي أرسل من القصر الجمهوري في دمشق إلى وكالة سانا الرسمية، و لا يمكن أن نقول هنا، رغم تاريخ الرجل، إنه كان قد مال إلى الاهتراء في سنوات عمره الأخيرة، كما بعض أركان النظام ووجوهه "السياسية"، إذ بقي "الحارس" الوفي على تركة حافظ الأسد، وهو المعروف بقربه منه.

وكان الأسد الأب قد استعاض في تاريخه كله، عن مراكز الدراسات التي اشتهرت بها الدول المتحضرة، واستبدلها بأشخاص في أحيان قليلة، كان من بينهم محمد ناصيف، الذي تخرج من كلية الحقوق ومن ثمة دخل إلى الكلية الحربية في حمص وهو بعمر لا يتجاوز الثلاثين، ليتسلم بعد ذلك الفرع الداخلي للأمن أي فرع 251 أو ما عرف بفرع الخطيب نسبة للمنطقة التي يوجد فيها المبنى بدمشق و ذلك من العام 1972 حتى عام 2002.

> الولايات المتحدة يبدأ محمد ناصيف بزيارتها اعتبارا من العام 2005 قبل آنذاك إنه يزور أميركا بقصد العلاج، ولكن الحقيقة التي كشفتها الأوساط الأميركية، أن زيارات ناصيف كانت لوضع الإدارة بصورة رؤية النظام للوضع في لبنان بعد مقتل الحريري، وأن دمشق ستتعاون مع أي تحقيق كان، وقيل إن ناصيف نجح من تحت «طاولة» الخطاب الرسمي مع الولايات المتحدة في انتزاع «تطمينات» أميركية للأسد

رحيل أحد أهم أركان النظام هنا، وفي حالة رجل الأمن "الأول" في سوريا بفعل المرض والجلطات المتتالية يأتي على عكس آخرين من رجالات النظام، ساهمت الثورة بالنيل منهم بطريقة أو بأخرى أثناء المواجهات.

حارس النظام

ناصيف عيّن بعد فرع الخطيب معاون مدير إدارة المخابرات العامة، ثم معاون نائب رئيس الجمهورية أي معاون فاروق الشرع، لأن النظام السوري لم يكن يريد أن يعيد تجربة نائب الرئيس عبدالحليم خدام وانشقاقه وانقلابه على حكم بشار الأسد، فكان فاروق الشرع تحت عين الرجل المقرب جدا من عائلة الأسد والرجل "المفتاح" كما كان يسمى، سواء للأب أو للأبن، الذي لجأ إليه مؤخرا ليساعد بطرقه الناجعة في وقف الانتفاضة وامتدادها في سوريا، لأن ناصيف ينتمي إلى مدرسة حافظ الأسد القمعية وكان له دور كبير في إنهاء التمرد الشعبي في الثمانينات وزج بأنصار الإسلاميين وبالطبع آخرين من غير أنصارهم في السجون.

في عهد حافظ الأسد، أمسك محمد ناصيف بملف العلاقات السورية الأميركية والسورية الإيرانية أيضا من خلف الواجهات، حيث كان يساهم في رسم سياسة تلك العلاقات، ويؤثر فيها بشكل بالغ، حتى أنه كما قيل كان يملي على الوزراء أو المسؤولين السوريين الذين يعملون في الولايات المتحدة أو إيران ما يجب فعله وربما قوله.

دولة ناصيف الخمينية

نسج محمد ناصيف خير بك علاقات جيدة مع "ثورة" الخميني ثم مع "دولته" وكان مع خيار حافظ الأسد بالوقوف إلى جانب إيران في حربها مع العراق و"الخليج العربي" في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، وكان مع خيار حزب الله الشيعي الإيراني في لبنان وكما يردد عدد كبير من المراقبين أن خير بك دعم فكرة التشيع في سوريا بطريقة سرية إلى أبعد الحدود من خلال إيجاد "موطئ قدم" للإيرانيين في سوريا ودعم كل نشاطاتهم العلنية والسرية.

لعب ناصيف دورا هاما في لبنان في فترة "الوصاية السورية" على هذا البلد، وساهم كرجل أمن في تطويق المقاومة الفلسطينية من خلال إنشاء جبهات "بديلة" عن منظمة التحرير كمنظمة الصاعقة أو الجبهة الشعبية القيادة العامة، وله دور في انشقاق "أبو موسى" عن حركة فتح العريضة بعد الاجتياح الإسرائيلي.

حركة "التفتيت" التي شهدتها المقاومة الفلسطينية واللبنانية، ترجع إلى الدور الكبير لمحمد ناصيف الذي عمل على استبدال كل القوى التي كانت تقاتل إسرائيل بحزب الله المدعوم إيرانيا وقبله حركة أمل، فالمقاومة أصبحت بدعمه "شيعية" وشرعية أيضا وأغلب القوى الأخرى زج بها في السجون أو اغتيلت "بهندسة" سورية تنتهي دوما باتهام إسرائيل بعمليات الاغتيال.

رجل الأمن المثقف

فرع الخطيب الذي كان يترأسه محمد ناصيف خير بك ومن بعده بهجت سليمان كان "متخصصاً" في كل شيء، أي التدخل بحياة المواطنين اقتصاديا و سياسيا واجتماعيا ولكن أهم ما عرف عن هذا الفرع أنه نسج علاقات طيبة مع عدد من المحسوبين على سلك الصحافة والإعلام في سوريا، إذ يعتبر الكاتب نبيل فياض محمد ناصيف رجل أمن "مثقفا" فهو كما يقول "قارئ كتاب" جيد.

الفرع المرعب ساهم بالدعم المالي والسلطوي للعديد من المواقع الإلكترونية و"النشرات" الإخبارية، ومع الزمن تشكلت طبقة من مثقفي السلطة تأخذ تعليماتها وأفكارها من رؤساء الأفرع الأمنية وأهمها فرع الخطيب.

"الصندوق الأسود" للنظام السوري، هكذا يوصف ناصيف الذي يحوي كل الأسرار وخطط الاغتيالات وألغاز موت الضباط والمسؤولين، بمن فيهم المتهمون باغتيال رئيس وزراء لبنان الأسبق الراحل رفيق الحريري، بدءاً من علاقته بباسل الأسد ومساهمته بتجهيزه لخلافة حافظ الأسد، ثم دوره ذاته مع أخيه بشار وصولاً إلى أنه كان المحرك "للماكينة" الأمنية الضيقة داخل العائلة والقصر الجمهوري.

بالإضافة إلى منصبه كمعاون لنائب الرئيس، كان "الثعلب" يعتبر من المستشارين "الناصحين" لبشار الأسد في الشؤون الأمنية، وكانت له اليد الطولى في رسم سياسة النظام القمعية منذ بداية الثورة السورية ضد النظام، وقد أدرج الاتحاد الأوروبي في العام 2011 اسمه على لائحة المسؤولين السوريين الذين فرض عليهم عقوبات لدورهم في قمع الثورة الشعبية في سوريا.

في أروقة واشنطن

تردد محمد ناصيف إلى الولايات المتحدة مرارا، زارها بدءا من العام 2005 وقيل آنذاك إنه يزور أميركا قصد العلاج، لتبرير الزيارات التي كانت "رسمية"، لا سيما وأن نظامه كان يجاهر بالعداء لأميركا التي كانت تعلن الأمر ذاته، ولكنّ الحقيقة التي كشفتها أكثر من وسيلة إعلامية أميركية، أن زيارات ناصيف لأميركا كانت لوضع الإدارة بصورة رؤية النظام للوضع في لبنان بعد مقتل الحريري، وأن دمشق ستتعاون مع أيّ تحقيق كان، وقيل إن ناصيف "نسج" علاقات جيدة ومن تحت "طاولة" الخطاب الرسمي مع الولايات المتحدة وانتزع "تطمينات" أميركية للنظام، ومع ذلك فإنه في العام 2007، تم وضع اسمه على لائحة الشخصيات المستهدفة بعقوبات من الولايات المتحدة بسبب دوره في "الانتقاص من الديمقراطية اللبنانية" كما قيل.

موقع مرآة سوريا الإخباري، وبعد موت ناصيف نشر برقية كان قد سربها موقع ويكيليكس تتعلق بناصيف ذاته، والبرقية موجهة لوزارة الخارجية السعودية، وتتحدث عن تورط محمد ناصيف في عمليات أمنية جرت في لبنان ضد معارضين لنظام الأسد.

وقال الموقع إن البرقية أوضحت أن اللواء ناصيف اجتمع في دمشق بتاريخ العاشر من مارس 2012 مع عدد من قيادات الأحزاب والحركات اللبنانية الموالية للأسد، من بينهم الوزير اللبناني السابق وئام وهاب الذي يقوم في هذه الأيام بتحريض أبناء طائفته في محافظة السويداء

> موقع ويكيليكس يكشف قبل أيام أن اللواء ناصيف كان قد اجتمع في دمشق بتاريخ العاشر من مارس 2012 مع عدد من قيادات الأحزاب والحركات اللبنانية الموالية للأسد، من بينهم الوزير اللبناني السابق وئام وهاب، وكان الهدف من الاجتماع، تكليفهم بمهام أمنية ضد ما يقال عنهم «المجموعات السلفية» في بيروت

ضد الثورة السورية وزرع الفتنة بين أبناء سهل حوران وجبل العرب، وكان الهدف من الاجتماع، تكليفهم بمهام أمنية ضد ما يقال عنهم "المجموعات السلفية " التي تتخذ من بيروت مقراً لها، والمتهمة بتورطها فيما يدور في سوريا، حسبما تذكر البرقية المسربة.

وكشفت البرقية أيضا أن "الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين – القيادة العامة " التي يرأسها أحمد جبريل، ستتولى تزويد الأحزاب والحركات اللبنانية بالسلاح.

أوراق باتريك سيل

قال عنه الكاتب البريطاني باتريك سيل الذي كتب كتابين حول حياة وحكم حافظ الأسد "محمد ناصيف كان متكتماً أكثر من الجميع إلى درجة أنه كان يعيش في مكتبه، وكان واحداً من القليلين جداً من الناس المسموح لهم بالمبادرة إلى التحدث مع الرئيس الأسد هاتفياً في أيّ وقت. فبالإضافة إلى ترؤسه لما كان في واقع الأمر بوليساً سياسياً، كان واحداً من أهم مستشاري الأسد في شؤون الشيعة سواء في لبنان أو في إيران. وكان مقرباً من السيد موسى الصدر والقادة الإيرانيين مثل صادق قطب زادة، وحسين الطباطبائي وكان غالباً ما يسافر من دمشق إلى بون وسويسرا اللتين كانتا قطبي الشبكات الإيرانية في الغرب".

مات محمد ناصيف خير بك وأخذ معه "أسرار" النظام "القذرة" المتعلقة بالقمع والقتل والإرهاب والخوف، مات ولم يحاكم وكأن "النظام" يرحل إلى جوار ربه "بالتقسيط"، مات ونعاه النظام الذي حرسه بنفسه طويلا بسطرين اثنين فقط. "نعت رئاسة الجمهورية العربية السورية الرفيق اللواء المتقاعد محمد ناصيف خير بك معاون نائب رئيس الجمهورية الذي انتقل إلى جوار ربه صباح الأحد إثر معاناة مع مرض عضال".

مستشرق ورجل مخابرات ودبلوماسي خاض جولاته على ظهور الحمير

بريماكوف رجل الظل الروسي في الشرق الأوسط

عبدالله مكسور

❑ تابوتٌ خشبيٌّ مكشوفٌ وبعضُ الورود الحمراء والبيضاء وكثيرٌ من الشموع، كلماتٌ قليلة أيضا بعيون دامعة ألقاها الرئيس الروسيُّ فلاديمير بوتين أمام جثمان الرجل الذي وقف رفاقٌ دربه ومعاونوهُ و تلامذتُهُ على مقربة منه يراقبون الرحيل الأخير لمن عُرف في أروقة السياسة الروسية المغلقة في مناصبَ عدَّةٍ ومهام أكثرَ تقلدَها في ظروف استثنائيَّةٍ مَرَّ بها العالمُ والدبُّ الروسيُّ على وجه الخصوص.

يونا فينلكشتين أو ما سيُعرَف لاحقاً طيلة عمره الذي استمر خمسةً وثمانين عاماً وانتهى في السادس والعشرين من الشهر الماضي بيفغيني ماكسيموفتش بريماكوف منتسباً إلى عائلة أمِّه، بريماكوف الاسم الذي تردَّدَ مراراً في قصور الرئاسة العربية ومؤسسات الحكم بين بغداد والقاهرة ودمشق وفلسطين والخليج العربي كرَجُل مخابرات ووزير للخارجية رحل بهدوء مُقاتلَ جاول مرارا إيقافَ الحروب ورُغمَ فشلهِ الدائمِ إلا أنَّهُ ظل وفياً للسلام كما قال عارفوه عقبَ موته.

يومَ التاسع والعشرين من تشرين الأوَّل، أكتوبر من عام 1929 في إحدى ضواحي العاصمة الأوكرانيَّة كييف وُلِدَ بريماكوف، لينتقل مع عائلته في طفولته إلى تبليسي على حافةِ الشرق في جورجيا حيث كانت ضمن أراضي الاتحاد السوفييتي، وتحت ضغط الوضع الاقتصادي المتدهور لعائلته، التحقَ بالكليَّة البحرية في باكو عاصمة أذربيجان حيثُ قضى فيها عامين انتهيا باكتشاف القائمين على المدرسة إصابتَهُ بمرض الدرن الرئوي في مراحله البدائية، ليعود عندها إلى جورجيا حيثُ تَعافى تماماً وأكملَ مشوارهُ التعليمي قبلَ أن يلتحقَ عام 1948 بالقسم العربي لمعهد الاستشراق في موسكو.

أنهى مساقاتَهُ الدراسيَّةَ بتفوُّق مشهود بين أقرانه عام 1953 ليكون هذا التفوُّقُ جسراً لهُ للحصول على درجة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة موسكو، وليبدأ عملهُ الصحفي في القسم العربي لإذاعة البث الخارجي في روسيا حَيثُ تدرَّجَ فيها حتى أصبحَ مديراً عاماً لها، طبيعةُ عمله مراسلاً في القاهرة وبغداد ودمشق جعلتهُ أكثر اتقاناً للعربية بعد دراسته الأكاديمية لقواعدها ما دفعَ كثيرين للقول إنَّهُ باتَ يُفكِّرُ بطريقة عربيَّةٍ خلال أدائه السياسي في وقتٍ لاحق.

المصارع الروماني

لم تكن حياةُ بريماكوف مقتصرة على حافةِ الشرق في المدن التي عبرَها مع عائلته أو وحيداً، بل حملَتهُ الأقدارُ عندما كانت طبولَ الحرب تدقُ في الخليج العربي عقبَ الغزو العراقي للكويت عام 1990 إلى بغداد حيث تحرَّكت الدبلوماسيَّةُ الروسيَّةُ لمنع وقوع "عاصفة الصحراء" ففكر الرئيس الروسي ميخائيل غورباتشوف بالرجل الأقدَر على إدارة الأزمة في الشرق، وكان يفغيني بريماكوف هو الخيار الأوَّل لتلك المهمَّة التي كان محكوماً عليها منذُ لحظتها الأولى بالفشل، لأنَّ زعيم الكرملين آنذاك نصَبَ شباكَهُ على أكثر من حبل بين بغداد وواشنطن، ففي اللحظة التي كان فيها بريماكوف يطوف الجبال في أرض الرافدين كان وزير الخارجية الروسي يضعُ اللمسات الأخيرة في العاصمة الأميركية مع إدارة البيت الأبيض لبدء المعركة.

بعدَ الحرب بسنواتٍ أطيحَ بغورباتشوف و اعتلى يلتسين سدَّةَ الحكم في بلاد الشيوعيَّة وأمام اشتداد الأزمة السياسيَّةَ في موسكو أمَرَ الرئيسُ العجوزُ في سابقةٍ تاريخيَّةٍ بقصف الكرملين رمزَ الحكم في البلاد وأطاحَ بالحكومة كلها وأتى بيريماكوف وزيراً للخارجيَّة فذكرتهُ كثيرٌ من المصادر بأنَّهُ المصارعُ الرومانيّ ذو الوزن الثقيل في حكومة مُترهلة أتت لخروج نظام الحكم في موسكو من عُنُق الزجاجة.

قبل الولوج في مرحلة تصدِّيه للملفات الدولية ذات الشأن الروسي سواء قبل أو بعد توليه حقيبة وزارة الخارجية في عهد يلتسين، لا بدَّ من ذكر شهادة المستعرب الروسي أليكسي فاسيليف في مقارنته بين بريماكوف وقرينه الروسي كوزيريف من جهة ومع نظيره الأميركي وورن كريستوفر من جهة ثانية، فحادثة المقارنة تعودُ بحسب فاسيليف إلى المرحلة التي تلت حرب القرم "التي جرت بين روسيا وتركيا العثمانية بالتحالف مع فرنسا بين عامي 1853م و1856م، فخلال لقاء جمعَ بين الأمير ألكسندر غورتشاكوف وزير خارجية روسيا الخاسرة للحرب مع نظيره البريطاني، سقطَ منديل جيب الوزير البريطاني على الأرض فما كان من الوزير الروسي إلا أن داسَ المنديل بحذائه، لتدورَ السنون وتقع حادثة مشابهة بعد مَا يقارب مئة وأربعين عاماً حينَ سقطَ منديل جيب وزير الخارجية الأميركي كريستوفر فانحنى مباشرةً الوزير الروسي على الأرض حاملا المنديل معيداً إيَّاهُ إلى يد الأميركي، ويتابعُ فاسيليف قولَهُ "بريماكوف يأبى أن يدوس المنديل بحذائه ولكنَّهُ يرفض الانحناء لالتقاطه، إنَّهُ يحافظ على ماء وجه روسيا الشاحب".

مهمات شائكة

المحافظ على ماء وجه روسيا الشاحب كان قد استقر في القاهرة مراسلاً صحفياً لشؤون الشرق الأوسط لصحيفة برافدا السوفييتية، أتاحَ لهُ هذا العمل التواصل مع مراكز صناعة القرار في مراكزَ الحكم في العواصم العربية، حركتُهُ ضمنَ القضايا التي تعصف بالشرق الأوسط قادتهُ راكباً على حمار في جبال العراق قاطعاً المسافةَ الوَعِرَةَ في شمال البلاد ذهاباً ورجوعاً مُلتَقياً الزعيمَ الكردي آنذاك مصطفى البارزاني بتكليف من اللجنة المركزيَّة والمكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي في سعيه للتقارب مع حكومة بغداد المركزية حيثُ شكَّلَ الحكمُ الجديد في العاصمة العراقية قلقاً للقيادة السوفييتية في عام 1968 فكان بريماكوف وسيطاً لإزالة هذا القلق من خلال لقاءاته العديدة المُكثفة مع الرئيس العراقي صدام حسين حيثُ أفضت هذه الاجتماعات بين حسين والبارزاني إلى توقيع اتفاقية السلام بين بغداد والأكراد عام 1970.

ظروف نشأة الاتفاق وحصوله أمراً واقعاً يحكيها بريماكوف في مؤلَّفاتِه الصادرة باللغة العربية واصفاً أدقَّ التفاصيل التي تتعلَّقُ بإدارة موسكو للملفات حاكياً عن علاقته بطارق عزيز الذي كان يتولى آنذاك رئاسةَ تحرير صحيفة الثورة الناطقة باسم النظام العراقي.

ربَّما كان العراقُ هو المكان الذي ظهر فيه بريماكوف أكثر من مرة ليتميَّزَ في الإدارة الروسية بحُسن علاقاته مع النظام الحاكم ورئيسه صدام حسين، فمعَ نهاية الثمانينات كان يُهندسُ اللمسات الأخيرة على اتفاق الإدارة الذاتية الخاص بالمناطق الكردية وفي مطلع التسعينات عادَ مُحاولا إيقاف المكنة الحربيَّة الأميركية في منطقة الخليج العربي ورغمَ فشله بسبب تخبُّط إدارة غورباتشوف إلا أنَّهُ عاد مع مطلع عام 2003 إلى بغداد بعدَ أن أوفدَهُ الرئيس الروسي فلاديمير بوتين لإيجاد حل للأزمة التي أنهَتها الولايات المتحدة الأميركية في أبريل من العام ذاته، بإسقاط النظام العراقي واعتقال رموزه وإعدامهم في وقت لاحق، فالوثائق تشير إلى تصريحات بريماكوف العلنيَّة المعبِّرة عن جهوده لإيقاف طبول الحرب التي بدأتها واشنطن بعد أيام قليلة من وصوله إلى بغداد.

رئيس الكي جي بي

أدواره المتعدِّدة في الشرق الأوسط في مراحلهَ المختلفة تكشف خطورة دور هذا الرجل، الذي ترأس جهاز المخابرات "كي جي بي" الذي يعدُّ من أقوى أجهزة المخابرات في العالم، حاولَ البحث عن مخرج يَقي المصالح الروسيَّة شرَّ الشباك الأميركية، ماسكاً العصا من المُنتصَف مراراً لكنَّ السياسة لا تكتفي بالكلام المعسول الذي لا يطهو الجزَرَ الأبيض لذلك توقفَ الرجلُ عن أداء مهامِّه في الشرق الأوسَط بعد ما تمَّ ترويجُهُ عن صفقاتِ فسادٍ تورَّط بها في الماضي.

تلك الاتِّهامات التي لم تجد لها دليلاً ملموساً واحداً يجعلُها أمراً واقعاً لتُطيحَ به خلف القضبان فظل رجل الظل الذي خرجَ من سراديب جهاز الاستخبارات الروسي إلى كرسيِّ رئاسة الوزراء في أشدِّ أزمات روسيا السياسية والاقتصادية فاستخدَمَ مخزونَهُ المعرفي التراكمي لإيقاف الانهيار حيثُ تولى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قيادةَ دفة السفينة الروسية المتهالكة.

دمشق لم تكن بعيدةً عن بغداد في مخيِّلة بريماكوف الذي زارَها مراراً حيث كانَ الصحفيَّ الأجنبي الأوَّل الذي التقى برئيس الوزراء السوري يوسف زعين الذي وصَل إلى السلطة عبر انقلاب عسكري في البلاد، ومن تلك اللحظة بدأ بريماكوف بالعمل حثيثاً على صقل العلاقات الروسية السوريَّةَ وصولاً إلى ذروتها في عهد رئيس النظام الحاكم حافظ الأسد حيث وصفَ بريماكوف

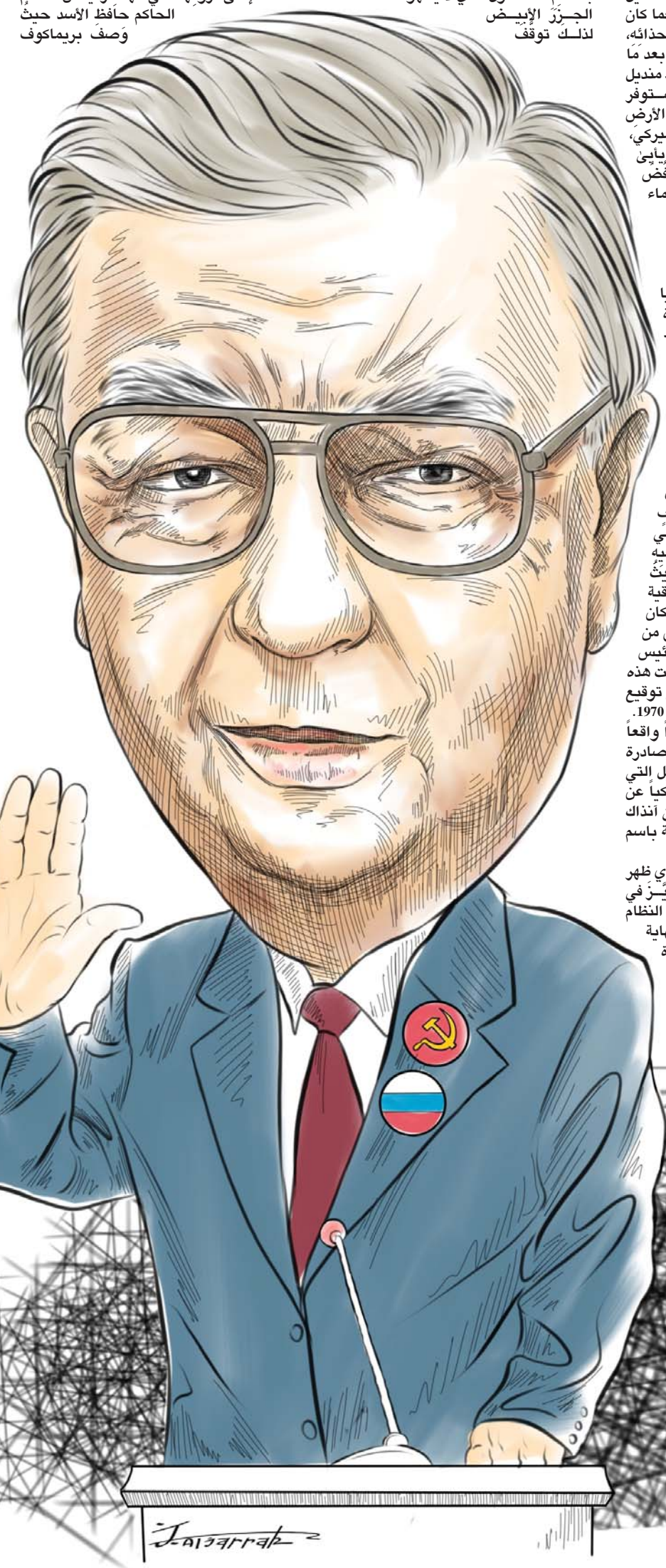

يونا فينلكشتين أو ما سيعرف لاحقا طيلة عمره الذي استمر خمسة وثمانين عاما وانتهى في السادس والعشرين من الشهر الماضي بيفغيني ماكسيموفتش بريماكوف، يتردد اسمه كثيرا في مؤسسات الحكم بين بغداد والقاهرة ودمشق وفلسطين كرجل حاول مرارا إيقاف الحروب

مراراً علاقتَهُ بالأسد بأنَّها تقومُ على الثقة المتبادلة والصراحة حيثُ كانَ عرَّابَ الاتفاقاتَ العسكرية بين موسكو ودمشق، فضلاً عن دوره في إدارة ملف تسوية الصراع في الشرق الأوسط، فالحديثُ عن ملف الصراع العربي الإسرائيلي يُحيلُنا للحديث عن علاقة بريماكوف برئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات وقادة إسرائيل، حيثُ تمتَّعَ رجل روسيا في الشرق بعلاقات طيِّبة مع الجميع، تلك العلاقاتُ الوديَّةُ أعادتْ روسيا لاعباً رئيساً في ملف السلام بعد أن تفرَّدَ الوسيط الأميركي ببناء جسور الثقة بين أطراف النزاع لسنوات طويلة.

مسيرةُ عمله أيضاً في الشرق قادتهُ إلى لقاء الرئيسَ السوداني السابق جعفر النميريَ عقبَ وصوله بانقلاب عسكريٍّ للحكم في الخرطوم، حيثُ أتاحَتْ للرجل علاقاتُهُ المتشعِّبة في حوض النيل من خلال إقامته سنوات طويلة في القاهرة مطلعَ شبابه دوراً هامَّاً وكبيراً في تعزيز الحضور الروسي في المنطقة عموماً، تلكَ الفترةُ كانت عاملاً حاسماً لتأسيس علاقات مستدامة مع النظام الحاكم في مصر خلال عهدِ الرئيسِ المخلوع حسني مبارك.

الرحيل الأخير

هذه العلاقاتُ الواسعةُ عربيَّاً أتاحَت لهُ قدرةً على المناورة سياسياً مع القيادات العربية لخدمة مصالح بلاده للوقوف في وجه المدِّ الأميركي في دائرة الصراع بين قطبي العالم في تلك الفترة، و إن كانَ بَروزُهُ الأهم روسياً على الأقل أتى عقبَ سقوط الاتحاد السوفييتي ونشوء دولة روسيا الفدرالية الذي كانَ لهُ دورٌ بارزٌ على صعيدها السياسي في مرحلة التعافي.

إلا أنَّ بريماكوف كان لاعباً أساسياً في رسم خطوط العلاقات الروسيَّة مع العالم العربي من خلال رؤوس تلك الأنظمة التي حكَمَت البلادَ عقوداً متتالية قبلَ أن تُطيحَ ببعضها ثوراتٌ شعبية، وهنا من المهم الإشارة إلى أنَّ بريماكوف كان قد قال في دراسة نشرها أحدُ أهمِّ مراكز الأبحاث في موسكو حول أحداث الربيع العربي حيثُ وصفَ موقفَ موسكو من الثورة السورية بأنَّهُ موقفٌ أخلاقيٌّ جداً.

يفغيني بريماكوف لم يكن أحدُ الساسة المخضرمين في روسيا فقط بل كان أيضاً أكاديمياً وباحثاً وصحفيَّاً من الطراز الرفيع، برزَ نجمُهُ في مجالات عدَّة خوَّلتهُ لإصدار العديد من الدراسات والكُتُب حول الشرق الأوسط و قضاياه السياسية والتنموية والتاريخية ولهذا بمراجعة عامَّة نجدُ أنَّهُ حاز العديد من الجوائزَ العالمية لأبحاثه الأكاديمية والسياسية.

بريماكوف رحلَ بهدوء بعد جولات من خيبات الحروب التي عاشَ على هامشها بينما ظلَّ وفيَّاً لأهداف بلاده التي رسَمَها في الزوايا المُظلمَة من القصور الرئاسية العربية خدمةً لمصالح روسيا التي حملَ فيها حقائبَ المسؤوليات المتعدِّدة بين سراديب المخابرات وصولاً إلى كرسيِّ الوزارة، رحل بريماكوف الروسي العنيد الذي شهدَ في سنواته الأخيرة ثورةَ أطاحَت بالهيبة الروسيَّة بمسقط رأسه في أوكرانيا، رحلَ هكذا بكثير من الشموع والموسيقى الكلاسيكية وورود بيضاء وذاكرة مُتعبَة مُرهَقة بملفات الشرقِ والغرب.

> حركته ضمن القضايا التي تعصف بالشرق الأوسط تقود بريماكوف إلى اجتياز جبال شمال العراق راكبا على ظهر حمار، قاطعا المسافات الوعرة ذهابا وإيابا ملتقيا الزعيم الكردي الملا مصطفى البارزاني، في سعيه للتقارب مع حكومة بغداد المركزية، فكان بريماكوف وسيطا مهد مع الرئيس العراقي صدام حسين لتوقيع اتفاقية الحكم الذاتي عام 1970

شاعر ومترجم اختار أن يكون «تروبادور الصمت»

بشير السباعي الذي يؤمن بمصر «مبدّدةً كل يأس وكل أمل»

محمود قرني

❏ ذات ظهيرة، قبل أكثر من عشرين سنة، كنت أجلس بتحفظ ريفي قديم على مقهى" زهرة البستان" بالقاهرة، في قلب عاصمة مخيفة ومتضخمة تستحث خائفا على اختراقها، غير أن ذلك كان حلما ينأى عن قطوف طالما حلمت بأنها باتت بين أصابعي.

كانت جلستي إلى جوار رجل أخشى جديته وضحكته المتحفظة وكلامه المسرف في قلته، كان يضاعف خوفي وتحفظي أن ميراثا هائلا من المعرفة التي تتوزع بين الشعر والترجمة والتأريخ والنضال يتجسد أمامي في هيئة بشرية، أستطيع، بكل هذا الحذر، الاقتراب منها والتحدث إليها.

اقتربت فعلا فرأيته ودودا باشا، إنه بشير السباعي وثلة من شعراء جيلنا "جيل الثمانينات"، كما يطلق عليه في مصر، يقرأون عليه قصائدهم وسرعان ما شجعني بإيماءة راضية فقرأت مثلهم، كانت تعليقاته تشبهه في ابتسارها وخبرتها وطبقاتها المعرفية، وهو واحد من المعلمين الأوائل لجيلنا، رغم أنه لم يقدّم نفسه أبدا على أنه كذلك.

> السباعي يبقى معلم الأجيال الشعرية الجديدة، والرائد الذي دفع كثيرين لإعادة النظر في موقفهم من الآخر، وزلزل رواسخ الأفكار التي اعتاشت عليها ذاكرتنا الحجرية

قرأت قصيدة قصيرة أقول في مطلعها "نحن الذين مع المجد والثمار المغلية نكبر يوما بعد يوم" وبعد أن أثنى الرجل علي القصيدة ثناءه الشحيح المتحسب الدقيق، قال لي: عليك بحذف كلمة "المجد"، لم أسأله عن الأسباب ولم أحذف المفردة التي اقترح حذفها وطبعت ديواني "هواء لشجرات العام " وهي بين ثناياه، لكنني كلما مررت بها تذكرت أنه كان يتوجب عليّ حذفها.

أدركت فيما بعد أسباب بشير السباعي، فهو واحد من أعداء القيم المطلقة، فضلا عن أنه واحد ممن أسهموا في الدفاع المستبسل عن القيم الجمالية الجديدة لقصيدة النثر التي تكره بدورها القيم المطلقة، وتحتقر القضايا الكلية أيضا، المجد هنا شعور استعراضي يعبر عن نوستالجيا ليست في صالح الشعر الجديد، المحتفي بحاضره بأكثر من احتفائه بماضيه، كما أن شاعره أيضا أقل يقينا بنفسه، ومن ثمة فهو أقل خيلاء، إذن ليس ثمة مجد، المجد هنا قطعا يقوم على دماء آخرين.

الشعر أضعف وأنبل من أن يفعل ذلك، بشير يقول ذلك لأنه شاعر قبل كل شيء، شاعر قدم لنا ديوانا مهما ورائدا هو "تروبادور الصمت" قرأناه في منتصف تسعينات القرن الماضي بشغف الأبناء الذين يبحثون عن طوق للنجاة، ولم يكن ذلك هو العلامة الوحيدة علي انحيازات بشير الجمالية، فقد ترجم لنا واحدا من أهم دواوين قصيدة النثر الفرنسية هو "سأم باريس" لشارل بودلير، وكانت تلك الترجمة مطلبا للحركة الشعرية العربية قاطبة، بعد أن شاعت ترجمة ديوان "أزهار الشر" لبودلير، بينما لم ينتبه كثيرون لديوان سأم باريس رغم أصدائه الواسعة في أوروبا، باعتباره ديوانا مؤسسا في تاريخ قصيدة النثر العالمية، كذلك ترجم "بلاء السديم" لمؤسس الحركة السوريالية المصرية جورج حنين.

> «تروبادور الصمت» ديوان بشير السباعي يأخذ موقعه من وعي الجيل الشعري المصري، مع أنه لم يكن ذلك العلامة الوحيدة على انحيازات السباعي الجمالية، فقد ترجم واحدا من أهم دواوين قصيدة النثر الفرنسية هو «سأم باريس» لشارل بودلير

لم تقتصر معارف بشير على الشعر بل ترجم عشرات الكتب حول أهم وأحدث الأفكار، فقد ترجم لتيموثي ميتشل وحده ثلاثة كتب مهمة هي "استعمار مصر"، و"مصر في الخطاب الأميركي"، و"الدولة والديمقراطية في العالم العربي"، كما ترجم واحدا من أهم كتب تزفيتان تودروف هو "فتح أميركا.. مسألة الآخر"، وترجم أيضا لهنري لورنس أكثر من أربعة أعمال مهمة، منها "الحملة الفرنسية في مصر"، وكتابه عن فرنسا والعالم العربي الذي حمل عنوان "المملكة المستحيلة"، وثمة قائمة طويلة لن يتسع المكان لإحصائها.

مرايا الإنتلجنسيا

لم تخل ترجمات السباعي من توسع وتعميق دائمين لمعارف شتى، هذا بالإضافة إلى كتابه المهم "مرايا الإنتلجنسيا"، وقد رفض بشير الأبوة، لكنه ارتضى أن يكون حارسا من بعيد، ربما كي لا يترك ظلاله الكثيفة على تلامذة يسعون إلى التحرر، كما كان يحلم لهم، فحياته ومواقفه واحدة من أعلى تمثيلات الاستقلال، وكره أن يكون داخل جيتو أو تيار، رفض الأبوة سوى في الحدود التي تسمح له بأن يكون نفسه، كما رفض أيضا التورط في العمل داخل مؤسسات الدولة واحتفظ معها دائما بمسافة آمنة تسمح له بأن يمارس حرية غير منقوصة.

كان موقفه هنا يتميز بدرجة واضحة من النضج والإيجابية، دون مزايدات ودون تورط في أيّ انحيازات، ربما لكل ذلك عندما يُذكر اسم بشير السباعي فثمة منظومة من القيم العلمية والأخلاقية تعود إلى الوجود، فالرجل معلم لعدة أجيال من الشعراء، رائد دفع كثيرين لإعادة النظر في موقفهم من الآخر، زلزل رواسخ الأفكار التي اعتاشت عليها ذاكرتنا الحجرية، عبر عصور من الأحادية، التي تعددت طواطمها وتعاظمت نواهيها يوما إثر يوم، هو شاعر في الأصل لكنه امتهن الترجمة والتأريخ، فقدم للثقافة العربية ما يربو على السبعين كتابا من أخطر وأهم الكتب والمراجع في التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع والسياسة والفنون.

كنا الجيل الذي شهد تراجع مؤسسات الدولة ونكوصها على كافة المستويات، وكانت صعوبات النشر جمة وكاسرة ، والمنابر على ما هي عليه، محصنة بأسماء مجرمين عتاة ينتسبون للنظام السياسي عبر منظومة الفساد الثقافي. وكان الرجل أول من دفع حركة الثقافة المستقلة للتحرر من أسر تلك المؤسسة إلى الإمام، دعمه لم ينقطع، وشجع كافة محاولات الاستقلال منذ صدور مجلة "الكتابة السوداء" التي أصدرتها جماعة أصوات السبعينية وكذلك مجلة "إضاءة" التي حملت اسم الفريق السبعيني المناوئ.

ثم دعم بكل قوة، وعلى مدار أكثر من عشرين عاما، مجلة "الكتابة الأخرى" التي أصدرها الشاعر هشام قشطة في بداية التسعينات من القرن الماضي بمشاركة أقرانه من شعراء جيل الثمانينات، وهي المجلة التي قدمت جيلين على الأقل من الشعراء والروائيين والباحثين، وكان بشير وراء ملفات شديدة الأهمية أصدرتها المجلة.

كان انفتاح السباعي على الآخر أقدم من تصوراتنا كلها، حيث كان حفيا بحركات التمرد التي قادها فنانون كبار في الثقافة العالمية، فقدم المدرسة السوريالية عبر أنصع نماذجها، حيث ترجم بيانات السوريالية و"بلاء السديم"، لجورج حنين أحد مؤسسي الحركة السوريالية التاريخية في فرنسا التي كان على رأسها الشاعر الفرنسي أندريه بروتون، وكان حنين واحدا من أكبر داعمي حركة السوريالية المصرية، حيث هو من أطلقها بكرّاستين مهمّتين صدرت أولاهما عام 1934 ثم أسس جماعة الفن والحرية التي تجاوزت نشاطاتها الواسعة أزمة المركز الفرنسي للحركة الأم، عقب الحرب العالمية الثانية، وربما كانت العلاقة الوثيقة التي ربطت بين تروتسكي وبروتون، على خلفية احتفاء السوريالية بالاشتراكية الثورية واحدة من الأسباب التي جعلت من بشير السباعي أحد أهم مشايعيها والمحتفين بها.

النبي المسلح

لا أريد التوقف طويلا هنا أمام الانتماء السياسي للسباعي، فهذا ما جر عليه متاعب لا تنتهي، لكنه ظل قويا مقاوما متماسكا ومصارعا لأنواء شتى، لذلك أشعر بحاجة لأن أستعير من "إسحق دويتشر" اسما من أسماء كثيرة أطلقها على تروتسكي، وهو "النبي المسلح" فالسباعي هنا رمز لمثقف محسوب بدرجة ما على جيل السبعينات في مصر ولاقى ما لاقاه هذا الجيل من عنت واستبعاد بسبب نفوره في معظم أطيافه من المؤسسة الرسمية ، غير أن بشير كان أكثر التصاقا بالسياسة في أكثر مفاصلها تشددا وجذرية، حيث كان انتماؤه يتضاعف يوما بعد يوم للاشتراكية الثورية، لذلك كان ولا زال يرفض أيّ تحالفات مع التيارات الإصلاحية، لأنها عادة ما تنتهي بهزيمة اليسار لصالح البرجوازية والقوى المعادية للشعب.

هذا موقفه بعد ثورة 25 يناير 2011، ولا زال على الموقف نفسه، من هنا لم تنقطع دعوته لهؤلاء إلى العمل بجوار الناس ومعهم بعيدا عن الأشكال الفوقية للسلطة فهذا مما يمكن من خلق الظهير الشعبي القادر على إنضاج الثورة وإنجازها من أسفل، وليس من أعلى قمة الهرم.

وقد تابعنا موقف بشير السباعي بعد ثورة 25 يناير، وهو يحذر من استمرار "المباركية من دون مبارك"، وهذا أمر لا زالت عوارضه تفاجئنا بشكل يومي، لذلك ليس مدهشا أن ينقل أن جورج حنين قوله: إن مصر قادرة على تبديد كل يأس وكل أمل ".

> ترجمات السباعي لا تخلو من توسع وتعميق دائمين لمعارف شتى، وبالإضافة إلى كتابه المهم «مرايا الإنتلجنسيا»، فقد رفض بشير الأبوة ، لكنه ارتضى أن يكون حارسا من بعيد، ربما كي لا يترك ظلاله الكثيفة على تلامذة يسعون إلى التحرر

كره السباعي الفاشية في كل صورها وأخذه معتقده السياسي إلى الإدانة الكاملة لفكرة الحرب أيّا كانت، كما أدان حكم العسكر على مدار عمره وفي كل بقاع العالم وكان تحذيره قاطعا للمصريين بعد ثورة 25 يناير، وقد كان موقف اليسار الثوري سبّاقا في إدانة الفاشية والعنصرية، بداية من الحرب الأولى حتى أيامنا، وهنا نلحظ أن تعامل بشير السباعي مع المركزية الأوروبية كان قاصرا على من قدموا أطروحات عدة لنقدها ونقضها، لا سيما من الطليعة اليسارية من مفكري الحداثة وما بعدها، وكان وعيه هنا ناجزا في تشكيل صورة كلية لمنجزه تتوافق وتعزز معتقداته السياسية والعقائدية .

ها هو السباعي وقد تجاوز السبعين بقليل، حيث ولد في الخامس عشر من يناير عام 1944 بمحافظة الشرقية في دلتا مصر، بعد أن راكم منجزا هائلا سيظل ملمحا من ملامح الثقافتين المصرية والعربية لمدى غير منظور، غير أن المؤسسة الثقافية التي تبحث كل عام عن خيول متهاوية العقل هرمة الروح كي تمنحها جوائزها، لم تفكر أبدا في أن تكرم بشير السباعي كما يليق بأمّة تحترم كتابها وفنانيها ومفكريها.

مرشح ميشيل بلاتيني والشفافية الحائز على ثقة المرأة

علي بن الحسين الأمير العربي الثائر على ديكتاتور الفيفا

باسل الحمدو

❏ ليس غريباً أن يتصدر اسمه فجأة دون سابق إنذار عناوين الصحف الرياضية العالمية ومحركات البحث في الشبكة العنكبوتية لأن ما فعله كان غير اعتيادي، بمقارعته ديكتاتور الفيفا العجوز السويسري بلاتر وهو الذي اعتاد التربع على عرش الإمبراطورية الأكبر في المعمورة الفيفا، دون أن يجد من ينازعه على كرسي الرئاسة أحد.

لمَ لا؟ فالجميع انتظر أن ينتشل ذلك الشاب الشجاع أكبر منظمة رياضية في العالم من الفساد المستشري فيها وهو الذي أي -الأمير علي بن الحسين- جعل من "النزاهة والشفافية" عنواناً لملف ترشحه، لقد كان ذلك حلماً بالنسبة للكثير من الغيورين على سمعة الكرة المستديرة.

ولد الأمير علي بن الحسين في العام 1975، وهو الابن الثالث للملك الراحل حسين بن طلال من زوجته الملكة علياء، التي توفيت بحادث طائرة هليكوبتر عام 1977، وكان يبلغ من العمر 23 عاماً عندما توفي والده واختير الملك عبد الله الثاني الأخ غير الشقيق له ملكاً للأردن، درس الأمير في الكلية العلمية الإسلامية في عمان، وتابع تحصيله الدراسي في كلية ساليسبيري في كونيكتيكت في الولايات المتحدة الأميركية، وكان عليه أن يسير على نهج أسرته وتقاليدها عندما غادر البلاد إلى بريطانيا ليلتحق بالأكاديمية العسكرية الملكية في ساندهيرست في بريطانيا، ثم التحق بالقوات المسلحة الأردنية عام 1994 وعين بعدها في الحرس الملكي الأردني قبل أن ينتقل بعد أربعة أعوام مرة أخرى إلى الولايات المتحدة الأميركية للدراسة في جامعة برنستون.

الأمير علي بن الحسين متزوج من الصحفية الجزائرية ريم الإبراهيمي ابنة الأخضر الإبراهيمي الذي شغل سابقاً منصب وزير الخارجية الجزائري والمبعوث الدبلوماسي الأممي إلى سوريا، وكانت زوجته قد عملت في المؤسستين الإعلاميتين "بي بي سي" البريطانية و"سي إن إن" الأميركية .

الأمير والكرة والحجاب

لم يكن الأمير الشاب من هواة السياسة ومرتدي البزة العسكرية بل كان أكثر ميولاً للرياضة ولم تكن تستهويه الكرة المستديرة والمستطيل الأخضر بقدر ما استهوته لعبة المصارعة في شبابه، لكنه تزعم عرش الاتحاد الأردني لكرة القدم عام 1999، وامتد طموحه إلى ما هو أبعد من ذلك حين أسس في العام ذاته اتحاد غرب آسيا لكرة القدم (واف) الذي ضم وقتها في عضويته اتحادات الأردن و إيران والعراق ولبنان وسوريا وفلسطين.

سعى الأمير جاهداً لتطوير منتخبات تلك الدور ليصبح لها شأن على مستوى القارة الآسيوية، فاقترح تنظيم بطولة كروية كل عامين وأطلقت بالتنسيق مع شركة التسويق الآسيوية بضيافة الاتحاد الأردني عام 2000 أول بطولة بمشاركة الدول الأعضاء بالإضافة الى كازخستان وقرغيزستان، وأحرزت إيران اللقب على حساب المنتخب السوري، وأطلق على جائزتها اسم كأس الملك الحسين، وتم اختيار الأردن ليكون مقراً دائماً للاتحاد ويكون الرئيس والأمين العام من بلد المقر، وتم انتخاب صاحب الفكرة، الأمير علي بن الحسين، رئيساً للاتحاد، وبعد عدة سنوات بدأت فكرته تلاقي رواجاً بين اتحادات المنطقة فقررت عدة دول الانضمام للاتحاد كان أبرزها الإمارات والكويت وقطر والسعودية.

بعد خمسة أعوام من انطلاقة صافرة البداية لأول بطولة كروية لرجال غرب آسيا

> أيام قليلة تمضي بعد انتصاره، فيعلن بلاتر استقالته من منصبه فجأة، لتؤكد الفيفا أن جمعية عمومية غير عادية ستعقد بين ديسمبر 2015 ومارس 2016 لانتخاب رئيس جديد، وحتى ذلك الحين يبدو الأمير علي بن الحسين الأكثر استعدادا لخوض المنافسات

وجه الأمير أنظاره نحو المرأة الرياضية، لتقام برعاية زوجته الأميرة ريم البطولة النسوية الأولى لغرب آسيا في عمّان عام 2005 بمشاركة الأردن وسوريا وإيران وفلسطين والبحرين، ولعب الأمير دوراً هاماً في حث الفيفا على استصدار قرار يسمح بغطاء الرأس للنسوة الراغبات في ذلك بما لا يتعارض مع سلامة اللاعبات ولا يمس معتقداتهن الدينية، خلال اجتماع المجلس المسؤول عن سن قوانين كرة القدم (ايفاب) في لندن عام 2012، وجاء ذلك القرار بعد أن دقت القضية ناقوس الخطر باعتراض لاعبات المنتخب الإيراني على قانون منع الحجاب في دورة الألعاب الأولمبية في سنغافورة 2010، وأراد الأمير بذلك إزالة العوائق أمام ممارسة المرأة المحجبة لكرة القدم اللعبة الشعبية الأولى في العالم.

شرارة الحرب الباردة

بدأت طموحات الأمير علي بن الحسين ترتفع شيئاً فشيئاً وبدا ذلك واضحاً عندما قرر الخروج من الإطار العربي والإقليمي إلى الإطار العالمي، فرشح نفسه لمنصب نائب رئيس الاتحاد الدولي عن القارة الآسيوية وقلب التوقعات حينما أطاح بمنافسه الكوري الجنوبي تشونغ مونغ جوون في انتخابات الجمعية العمومية للاتحاد الآسيوي لكرة القدم التي أقيمت في قطر مطلع شهر يناير من العام 2011، لقد كان وصوله بمثابة مفاجأة لمن رأى في طموحه مجرد شاب مندفع لا يعي أين يضع قدميه، فهو الأصغر سناً من بين أقرانه ممن جلسوا على ذات الكرسي منذ تأسيس الفيفا، كان منافسه تشونغ يشغل منصب نائب رئيس الاتحاد الدولي منذ 16 عاماً، وكان مرشحاً فوق العادة لخلافة بلاتر ومن هنا جاءت علامات الدهشة، فتخطي الأمير علي كان بالنسبة إليه مسألة وقت وإجراءات روتينية.

وفور تسلمه المنصب جدد الأمير علي وعوده التي قطعها في برنامجه الانتخابي بحل مشكلات الكرة الآسيوية وقال إن اللعبة في قارة آسيا الأكبر والأكثر نمواً في العالم، وأتبع كلامه بالقول "الدول الآسيوية تبحث عن دماء جديدة تمثلها في الاتحاد الدولي وأنا سعيد بانتخابي".

وبعد تسلم الشيخ سلمان بن إبراهيم آل خليفة منصب رئاسة الاتحاد الآسيوي لكرة القدم خلفاً للقطري محمد بن همام، لوّح الشيخ سلمان بفكرة دمج مقعد نائب رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم ومقعد رئاسة الاتحاد الآسيوي بمقعد واحد، هنا شعر الأمير علي بن الحسين بأن منصبه قد بات في مهب الريح فوجه أنظاره باتجاه كرسي

> اتحاد الكرة الآسيوية يختار الأمير علي بن الحسين بالانتخاب رئيسا له، ولأنه صاحب الفكرة فقد سعى بعد عدة سنوات لترويج مشروعه بين اتحادات المنطقة فقررت عدة دول الانضمام إليه، كان أبرزها الإمارات والكويت وقطر والسعودية

رئاسة الاتحاد الدولي لكرة القدم مستغلاً أسوأ أزمة فساد مرت بها امبراطورية الفيفا على الإطلاق منذ 111 عاماً وكذلك استغل الاستياء العام من تمسك السويسري جوزيف سيب بلاتر بمنصبه بعد أن كان قد وعد بعدم التجديد لولاية خامسة ولم يفِ بوعده .

في الثاني عشر من شهر ديسمبر العام الماضي استقال مايكل غارسيا المحقق في لجنة القيم للفيفا احتجاجاً على ما وصفه تعامل الاتحاد الدولي مع تقريره عن ملفات الترشح لاستضافة بطولتي كأس العالم 2018 في روسيا و2022 في قطر، كانت استقالة غارسيا تعني إغلاق الملف قبل أن يظهر الأمير كمطالب بنشر التقرير وهو ما يمثل تدخلا صريحاً بعمل العجوز السويسري بلاتر الذي لم يعتد أن يناقشه أحد بما يفعل.

الطريق إلى عرش بلاتر

مطلع شهر فبراير الماضي، تصدّرت عناوين الصحف والمواقع الإلكترونية خبر ترشح الأمير علي بن الحسين لرئاسة الفيفا بحملة جعلت الشفافية والنزاهة عنواناً عريضاً لها، وصرح الأمير حينها "يجب أن تكون العناوين عن كرة القدم، وليس عن الفيفا".

لم يبدُ الأمر سهلاً فكل التجارب السابقة لخصوم بلاتر كانت تبوء بالفشل، وعلى الأمير مراجعة سيناريوهات الخصوم السابقين، بداية من الولاية الأولى لبلاتر عام 1998، وكيف تهاوى أمامه رئيس الاتحاد الأوروبي آنذاك السويدي لينارت يوهانسون، مروراً بالأفريقي عيسى حياتو في انتخابات 2002، ووصولاً بتزكيته للمنصب دون خصوم عام 2007 وانتهاءً بالقطري بن همام، الصديق الذي أطاح به بقضية فساد أجبرته على الانسحاب من الانتخابات، وأتبعها بلاتر بضربة قاضية له بعد أن أصدرت لجنة القيم التابعةُ للفيفا قراراً بحرمان بن همام من العمل الرياضي مدى الحياة ليجعل منه عبرة لخصومه في المعارك التالية.

الأمير كان يراهن على القارة الأوروبية وداعمه القوي ميشيل بلاتيني الذي يتربع على عرش الاتحاد الأوروبي لكرة القدم، لكنه أخطأ في بعض تقديراته كما يبدو، لأنهم فشلوا في معركتهم مع بلاتر منذ ولايته الأولى عام 1998، كما أن بلاتر يراهن على المستفيدين من مشروع الهدف في الاتحادات الفقيرة لقارتي آسيا وأفريقيا إضافة للأميركيتين.

أطلق علي بن الحسين العنان لتصريحات ارتفعت وتيرتها بشدة فقال "أسعى للفوز برئاسة الاتحاد الدولي لأني أعتقد أن الوقت أصبح ملائما لتحويل النظرة من الفضائح الإدارية إلى الرياضة"، وبقي يصعّد أكثر في تصريحاته، حين قال "لم يكن هذا قرارا سهلا، بل جرى التوصل إليه بعد تفكير عميق وبعد مداولات مطولة مع زملائي في الاتحاد الدولي في الأشهر الأخيرة، الرسالة التي وصلتني مرة بعد أخرى كانت تقول إن الوقت قد حان للتغيير، وإن اللعبة العالمية بحاجة إلى هيئة على مستوى عالمي لتقودها، إنها بحاجة إلى اتحاد دولي خدمي يكون نموذجاً للأخلاق والشفافية والحاكمية الجيدة".

لم يكن الأمير وحيداً في مواجهة بلاتر، بل رافقه مرشحان آخران هما اللاعب البرتغالي الشهير لويس فيغو ورئيس الاتحاد الهولندي لكرة القدم مايكل براغ، لكنهما انسحبا مبكراً قبل بضعة أيام ليبقى الأمير وحيداً في السباق، وقبل يومين من بدء الانتخابات بينما كان الأمير ينتظر ساعات الحسم الأخيرة لمعت بارقة أمل تزعزع عرش بلاتر بعد أن وجهت وزارة العدل الأميركية تهم فساد لشخصيات استغلت منصبها بالحصول على ملايين الدولارات كرشاوى، واقتاد اثنا عشر رجل أمن سويسري دخلوا فندقاً يجتمع فيه أعضاء الفيفا كلاً من جيفري ويب نائب رئيس اللجنة التنفيذية للفيفا، والأوروغوايانى يوجينيو فيغيريدو الذي يشغل منصب نائب الرئيس التنفيذي وهما الشخصيتان المقربتان من بلاتر في قضايا الفساد.

استغلت كبرى وسائل الإعلام الأوروبية الحادثة لتقوية حظوظ بن الحسين الذي يحظى بدعم بلاتيني فعنونت صحيفة ليكيب الفرنسية "أم الفضائح"، بينما وصف الإعلام البريطاني الحادثة بأنها نهاية بلاتر ورشحت الأمير لانتشال الفيفا من أزمته، في حين كان الإعلام الإيطالي الأكثر دعماً لموقف الأمير فكتبت لاغازيتا ديلو سبورت "نظام بلاتر يرتجف"، أما صحيفة لاستامبا فكتبت "استقال البابا بونو السادس عشر، وتخلى ملك إسبانيا عن عرشه، وخسر الرئيس نيكولا ساركوزي الانتخابات، وبلاتر لازال يقاوم"، لكن بلاتر بقي صامداً وكأنه حصل على تطمينات بعدم المساس به.

عودة الأمل للأمير

29 مايو كان يوم الحسم، اليوم الذي سيجرى فيه التصويت، الأمير كان قد قال عندما أعلن ترشحه إن "هناك شعوراً بالخوف بلا شك، وعليّ أن أكون صريحاً في ذلك، والسبب هو أن العديد من الاتحادات الوطنية حول العالم تعتمد إلى حد كبير على تمويل فيفا".

صدق حدس الأمير والتف الحلف المضاد حول بلاتر ومن خلفهم الاتحادات الفقيرة التي أكرمها بلاتر ببناء ملاعب ومنشآت رياضية من مشروع الهدف، رجحت كفة آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية حظوظ بلاتر وحصل الديكتاتور في الجولة الأولى على 133 صوتاً مقابل 73 للأمير، ورفض ابن الحسين الدخول في الجولة الثانية من الانتخابات لينسحب بعد أن وجّه كلمة شكر قال فيها "أشكر الجميع وكانت رحلة جميلة، وأشكر الذين تحلوا بالشجاعة وصوتوا لي".

> ترشحه أمام بلاتر يشعل حربا عنيفة بين الرجلين، الأمر الذي دفع الأمير علي بن الحسين لإطلاق العنان لتصريحات ارتفعت وتيرتها بشدة حين قال «أسعى للفوز برئاسة الاتحاد الدولي لأني أعتقد أن الوقت أصبح ملائما لتحويل النظرة من الفضائح الإدارية إلى الرياضة»

بعد أيام قليلة من انتصاره أعلن بلاتر استقالته من منصبه، وأكدت الفيفا أن جمعية عمومية غير عادية ستعقد بين ديسمبر 2015 ومارس 2016 لانتخاب رئيس جديد، حتى ذلك الحين يبدو الأمير علي بن الحسين الأكثر استعدادا لخوض المنافسات والعودة للواجهة من جديد لكسر القاعدة التي كرستها تجربته، بأن هذا المنصب ليس للعرب.

أيها النقد لا تكن موضوعيا أبدا

هيثم الزبيدي

❏ النقد عمود أساس من أعمدة التكوين الثقافي الفردي والجمعي. من دون نقد، لا يمكن مواصلة أيّ بناء ثقافي لأن أيّ نتاج ثقافي، بأوجهه المتعددة، سيصبح موّالا فرديا. من دون نقد آلت أمور المثقف والثقافة في المنطقة العربية إلى ما هي عليه الآن.

القول بأن النقد يجب أن يكون موضوعيا، لا مجال له هنا. النقد غير الموضوعي ليس نقدا بالأصل، بل هو إما تحامل أو دعاية. الأهمّ أن يكون النقد علميا.

الناقد هو مفتاح هذه العملية المهمة مما يفرض عليه أن يكون متسلّحا بأدوات علمية، بعض منها علمية مجازيا وأخرى علمية لأنها تنتمي حقا إلى ناصية العلوم النظرية والتطبيقية.

المجازي من الأدوات هو التقنيات التي طورها النقاد في ما بينهم لتحليل النصوص والأعمال الثقافية والفنية. ثمة وسائل لتقديم تلك النصوص والأعمال إلى القارئ بعين الناقد بما يجعل فهمها وتأثيرها أكبر وأهم. الخلفيات الفكرية والفلسفية والحياتية مهمة جدا لأنها ترسم صورة أغنى وأكثر تفصيلا. النص والعمل الفني، السينمائي أو التشكيلي أو الموسيقي، لا معنى لهما تجريديا حتى تلك الأعمال التي توصف بالتجريد. قيمة الأشياء تكمن في ما تمثّله من انعكاسات لتلك الخلفيات. المقارنات بالمثيل أو الضدّ هي وسيلة مهمة ثانية للنقد. نحن نقيس أغلب سلوكاتنا الحياتية من باب المقارنات ونستطيع أن نفهم الأشياء أفضل لأننا نقارنها بغيرها.

غير المجازي من الأدوات هو المشكلة. الادّعاء بامتلاك أدوات من العلوم النظرية والتطبيقية يمكن استخدامها في النقد الثقافي أو الكتابة الفكرية قضية خطرة. يفترض البعض أنه بمجرّد معرفته لبعض المعطيات العلمية في حقل تخصصيّ ما، فإن هذا يؤهله للخوض في غمار النقد والفكر.

هذا مطبّ خطير. مبعث الخطر فيه أنه تسبب في قراءات نقدية غير موضوعية بتاتا قدمت فقط لأن قائلها إما متخصص في حقل علمي أو أنه قارئ غير متخصص قلب بعض الصفحات العلمية، واستثارته بعض المفردات والمصطلحات فسعى إلى "تلوين" نصه النقدي بها.

العلوم ليست منطقة رمادية. هناك تكمن الحقائق التي لا تعرف التأويلات الفلسفية أو النقدية. إنها منطقة يمكن وصفها باللون التام البعيد عن التدريجات الرمادية التي تحفل بها القراءات الفلسفية والنقدية.

لا تستطيع أن تستعير من العلوم مصطلحات وتوظفها في النقد لتفسر الأشياء إلا إذا كان هذا صحيحا تماما. الاستعارات العلمية لا تتحمل الدجل.

دجل الاستعارة العلمية قضية حقيقية في الثقافة والنقد. هي قضية لا ترتبط فقط بالدجالين ممن تحفل بهم الفضائيات العربية والذين يقدمون تفسيرات فكرية ودينية وروحانية باستخدام مفردات علمية. مثل هؤلاء يراهنون على حسن نوايا المشاهد وجهله معا. هؤلاء دجّالون مفضوحون.

ثمة مفكرون ونقاد معروفون دخلوا عالم الفكر والنقد من بوابة صحيحة، لكن سرعان ما نفدت معارفهم ورؤاهم فصاروا يبحثون عن أدوات "جديدة" في العلوم المطلقة. هؤلاء خطر حقيقيّ على العملية الفكرية والنقدية لأنهم يستفيدون من مسار بدأ صحيحا ثم انحرف نحو الاستعارات والتأويل وأنصاف الحقائق ليبرّروا أفكارهم "الجديدة".

مثل هؤلاء صاروا يتكاثرون في عالم الفكر والنقد المتداول في اللغة العربية. بعضهم تأثر بشكل كبير بمدرسة فرنسية في التفكير كانت إلى وقت قريب تتقبل مثل هذه الخزعبلات. علينا أن نحذر منهم لكي لا نكرّر الوقوع في مطب تعلمت منه المدرسة الفرنسية درسا بليغا قبل سنوات.

قبل بضعة أعوام، قرر أستاذ للفيزياء في جامعة أميركية أن يختبر متانة مجلة نقدية وفكرية معروفة. بعث لها مقالا طويلا استخدم فيه استعارات وإسقاطات من المفردات العلمية بشكل مثير. تفاعل المحررون مع المقالة ونشروها. بعد أيام كشف الأستاذ الأميركي أن المقالة هراء منمّق وأن لا معنى لها سوى اللعب بالكلمات والمصطلحات التي تبدو علمية.

فتحت الحادثة الباب على عالم مكتظ بالكتّاب ممن يكتبون عبثا، بعض منهم من الأسماء الكبيرة. ضربت المدرسة الفكرية والنقدية الناطقة في العالم الأنجلوساكسوني منافستها في العالم الفرانكوفوني في مقتل عندما تفرغ باحثون متخصصون لاستقصاء العبث الذي يمارسه المثقفون والنقاد في ما لا يفهمونه حقا.

توّج الجهد البحثي بكتاب "مثقفون دجالون" بعنوان ثانوي "كيف ينتهك المثقفون العلوم"، عاملته فرنسا على أنه عملية تصفية حساب مع مثقفيها ونقادها.

لكن الدرس كان بليغا. صار الجميع يحسب الحساب قبل أن يدّعي فهم الشأن الثقافي والفكري النقدي من خلال أدوات علمية لا تمتّ إلى هذا المجال بصلة. البيئة الثقافية ربّت نفسها بنفسها لكي تمنع تكرار مثل هذا العبث.

السعي إلى تأسيس مشاريع فكرية ونقدية ينبغي أن يضع مثل هذه الأمور في الحسبان. يجب أن لا ننشر لأن المعروض أمامنا "يسترضي جهلنا" أو أنه "يبدو علميا متينا". النشر مسؤولية أخلاقية بالأساس لا تحتمل أفاقين ودجّالين. يكفينا ما نراه على شاشات التلفزيون.

* كاتب من العراق مقيم في لندن

* تخطيط: ساي سرحان

القارئ بين المقاربة الجندرية والخطاب المهيمن

لطفية الدليمي

❏ يشكل الكتّاب أعمالهم من تناقضات الوضع البشري وتغيراته واشتغال الخيال وتأثر اللاوعي بالموروث الأسطوري والشعبي ويصنعون من جميع هذه العناصر رؤيتهم الخاصة للعالم وقد لا تبدو هذه الرؤية الإبداعية مترابطة أو منطقية لدى كثير من القراء ممن لديهم نظرة تقليدية مسبقة عن الأشكال الأدبية والفنية فلا يتقبلون أنواع الخطاب الخارجة عن مألوفهم وشروطهم ومن بينها الخطاب النسوي.

تقول سوزانا أونيغا المتخصصة في السرديات ضمن دراستها "مقدمة في علم السرد":

"هناك تعريف للأدب بوصفه نظاما وظيفيا، ومجموعة من الأساليب الفنية تتحدّد قيمتها بفضل أساليب فنية أخرى توضع في تعارض معها مثل: الحيل الفنية لأنواع إبداعية أخرى، وأساليب الماضي والقصة التاريخية، والرؤيا، ولذا فإن عملا أدبيا يتطلب ضمنيا أعرافا وأعمالا مختلفة وأساليب مغايرة وأجناسا متنوّعة وبنى أخرى للمعاني تتجاوز العمل نفسه" ووفق ما تطرحه أونيغا تتحدّد قيمة العمل وجدواه من تجاوزه لأجناس مألوفة وتخطيه عتبات التجنيس المكرسة والأبنية المألوفة.

لا بدّ للكاتبات والكتّاب المغامرين أن يتوفّر لديهم قدر من التمرّد في شخصياتهم ليتسنى لهم تخطّي الأفكار المسبقة وما لم يكن الفنان قادرا على تجاوز القوالب والأطر فلن يتمكن منه شغف الإبداع ولا التوق إلى التجريب في النص والحياة معا، الكاتب المتمرد -لا يلتزم بالضرورة- بأيّ قانون سوى قانون التجريب والخروج على الصيغ السائدة في الكتابة والخطاب الأدبي المهيمن نمطا ولغة وبناء، ولا يقدم على خيار التجاوز سوى الشجعان من الكتّاب والكاتبات الذين ما عادوا يتأثرون بالمعايير المسبقة أو الأفكار السياسية التي اختبروها وتخلّوا عنها مثلما تحصنوا روحيا ضدّ الأحكام العامة، لسبب بسيط وجوهري هو أنهم يكتبون لمتعة الكتابة وخلق المغاير في العمل الأدبي ويرودون آفاق التجربة منعتقين ممّا سبق لحظتهم في بحثهم عن مخرج للمأزق الإنساني، وتمثل الكتابة الروائية ذاتها خروجا من شرنقة الصمت واللامبالاة بالمصير الإنساني، فما عادت الرواية تصويرا ممتعا أو آسيا للواقع، وتمجيدا لأيديولوجيا معينة كما شاء لها الواقعيون بتأكيدهم على الحبكة والمتن الحكائي والخواتيم المفبركة، بل صارت تمثلا لوقائع وتخيلات متشابكة وتعقيدات سيكولوجية وإعادة صياغتها روائيا.

وفي هذا العصر عصر الحروب الجائحة واستلاب الإنسان وظهور جلادين مرعبين من بين بني البشر، وفي زمن الاغتصاب والهيمنة الأيديولوجية والعسكرية والتشدّد، لم تعد روايات الأمس ببنيتها التقليديه ومواعظها الأخلاقية وخطابها الشعبوي ونزعاتها البطريركية متلائمة مع هذا الزمن المتشظي، فأفضى ذلك إلى ظهور الرواية التي يمتزج فيها التأمل بالسرد واستخدام أساليب غير مألوفة، كما ظهرت النصوص الروائية التي تتمثل المقاربة النسوية- الجندرية لمواجهة البطريركية الملازمة لأنساق الحبكة المعروفة، وذلك ما لم يتقبله كثير من القراء الخاضعين لشرط التلقي التقليدي وحتى الكتّاب الذين لايقرّون بوجود خطابات متعددة في الإبداع، تعاملوا مع الروايات المكتوبة بحسّ أنثوي وخطاب جندري، على أنها تقع ضمن الأنساق الاستيهامية الخارجة على منظوماتهم المألوفة التي فرضها الخطاب الذكوري المتسيّد.

ونتيجة لما تعرضت له الحياة الإنسانية ولا تزال تتعرض له من انتهاكات تجاوزت كل الحدود، كان لا بدّ للفن والأدب من الردّ، وانتهاك حدود كانت مفروضة على النص من قبل بعض المنظرين والنقاد والكتّاب أنفسهم، لتتبلور وتتشكل بالتدريج معايير مختلفة للتعاطي مع الأعمال الفنية والنصوص، وفي مقدّمتها ما أفرزته الدراسات الجندرية التي قدّمها النقد النسويّ، وهو يتفحّص خطاب المرأة الإبداعي، ويتقصّى خصوصية ذلك الخطاب إزاء تحدّيات الخطاب البطريركي، وأنساقه المسيطرة على وعي الكتّاب والقرّاء.

* كاتبة من العراق مقيمة في عمان

أن تمشي هناك على تلك الأرض

أحمد برقاوي

❏ كثيرة هي الأحلام التي أيقظتني حين أصل إلى اللحظة التي أكون فيها في فلسطين، وبخاصة بعد رحلتي إلى الحمة ورؤية سمخ من بعيد. حجم المكبوت لا أعرفه بدقة. لكن الأحلام التي أذكرها هي أحلام متعلقة بفلسطين.

فمنذ تلقيت الدعوة وأنا أهجس برؤية فلسطين. ومن خلال وصف والدي "للبوابة" وهي اسم البيت الكبيرة لآل البرقاوي في ذنابة ومخيلتي تحاول أن ترسم صورة للبيت الكبير.

تخيّلت البيت على تلة عالية ذا بوابة كبيرة، وداخلها مجموعة من البيوت الحجرية الكبيرة ثم وجود سور عال. الصورة التي تخيلتها هي كما قلت من وحي وصف أبي.

قبل أن تُفعّل خدمة الإنترنت في سوريا بزمن، طلبت من صديقي الدكتور إياد البرغوثي أن يصوّر لي بيتنا في ذنابة ويرسله إليّ مع أيّ أحد قادم إلى دمشق.

لم تمض أشهر حتى تسلمتَ منه ومن الدكتور الصديق عبدعساف مجموعة من الصور لبيتنا.

كانت فرحتي بالصور كبيرة جدا، كانت الصورة قريبة مما تخيلته لكنها كانت أغنى بكثير، ولقد لفت نظري في الصور بيتنا بشكل خاص حيث مازال صالحا للسكن، وهو مؤلف من طابقين من الحجر، وفن عمارته من العقود المعروفة. وهناك صورة لبيت كبير جدا شبه مهدم ولم أستطع الربط بين الصورتين.

مضت السنون وراح الإنترنت يختصر المسافات، ها هي شاشة الكمبيوتر تريني كل قصور البرقاوي في منطقة طولكرم.

بيت ضخم في كفر اللبد قلعة ضخمة في شوفة قلعة ضخمة في ذنابة.

على شاشة الكومبيوتر تشاهد: بيت نسيم برقاوي، بيت حسين برقاوي، بيت عقاب برقاوي، بيت إبراهيم البرقاوي، قلعة البرقاوي، قصر البرقاوي، قلعة شوفة، إلخ...

أنسخ صورة للقسم الخاص بأبي في البوابة الكبيرة، بيت من طابقين كما قلت وأضعها تحت زجاج طاولتي في قسم الفلسفة وكلما زارني أحد سرعان ما أقول له: انظر هذا بيتنا في فلسطين. أتأمل ما أنا عليه من فرح وانتماء، فرح بالبيت الذي مازال أسمه بيت نسيم برقاوي، والدي. بيت تاريخي، بيت أنا مالكه، تأملي بهذه التجربة الذاتية مع البيت هناك في ذنابة أو في شوفة أو في كفر اللبد يؤكد أمرا كتبت عنه في "أنطولوجيا الذات" حول الذات والبيت، حيث البيت هو الرحم، كان لسان حالي يقول كل البيوت التي سكنتها سواء كنت مالكا أو ليس مالكا ليست بيوت حقيقية، لأنها ليست البيت الأصلي، البيت الأصلي هو البيت الحقيقي لأنه في المكان الحقيقي، فلسطين، وكل البيوت الأخرى أشباح.

أنا أملك بيتا في دمشق العاصمة الأقدم والأجمل، لم أشعر يوما بعلاقة حميمية معه. فباستطاعتي أن أبيعه دون أيّ إحساس بالذنب.

لكني استشطت غضبا عندما قرأت على الإنترنت إعلانا يقول: البيوت التاريخية في فلسطين. بيت نسيم برقاوي مؤلف من طابقين، صالح للسكن يمكن لأيّ مؤسسة فلسطينية تراثية أن تستخدمه.

وسرعان ما كتبت رسالة على الإنترنت هذا بيتي أرجو أن لا يمسّه أحد، أنا عائد لأعيش فيه. علاقتي بالبيت في ذنابة تحمل أكثر من معنى، تحمل معنى أني حين أعود إلى فلسطين سأجد أمامي الرحم الحميم، معنى أني مرتبط بالوطن، فلسطين.

يعني أني أملك المكان الدائم والزمان الدائم في لحظة ما، وبالتالي التعلق بالبيت هو التعلق بفلسطين البيت الأكبر، كم أشعر بالقوة وأنا أتأمل كل يوم بيتي الذي أصبح صورة دائمة على طاولتي، البيت المطلّ على العالم صار المكان الذي أطلّ منه على الوجود.

عندما أردّد لكل زائر: هذا بيتي، فإنما لأؤكد أن هذا بيتي الحقيقي، ليست المسألة اعتدادا بتاريخ من السلطة الذي يمثله هذا البيت والبيوتات الأخرى بل اعتدادا بالجذر العميق، اعتدادا ببيوت تعود لمئات السنين.

في أحد المساءات فتحت محطة تلفزيون فلسطين وشاءت المصادفة أن يكون البرنامج عن قلعة البرقاوي في شوفة، أعرف تاريخ هذه القلعة لكني لا أعرف شكلها إلا عن طريق الإنترنت، لقد اصطحبنا البرنامج إلى القلعة وتاريخها وشيوخها فهي قلعة أحد الجدود الأوائل، قلعة الشيخ ناصر البرقاوي.

لم تمض أيام إلا وكنت أحلم أني أتسلل إلى فلسطين، واقتربت من شارع ضيق متجه إلى القلعة، وانقطع الحلم دون أن أشاهدها.

في يوم الخميس الموافق لـ29 مارس 2012 رن جرس الهاتف صباحا.

دكتور أحمد، صباح الخير، أنا أمل شاهين، مباركة الرحلة إلى فلسطين، ستكون في الثامن من شهر أبريل، والأمور جميعها في غاية الترتيب هنا في سوريا وهناك في فلسطين، في الثامن من أبريل سينطلق الباص من المخيم في الساعة الثالثة صباحا إن شئت الذهاب مع الوفد، أو إذا أردت يمكنك الذهاب بمفردك إلى عمان.

صمتُّ صمتا مريعا ومضى وقت على صمتي قبل أن أنتبه إلى محدثتي:

إلى فلسطين!.. أجبت.

نعم إلى فلسطين.. قالت أمل.

أغلقت الهاتف ورحت في شرود طويل بين مصدّق ومكذب، أتراني فعلا سأكون بعد أيام قليلة على أرض فلسطين، هل سأفتح باب بيتنا وأجلس فيه، بعد إحدى وستين سنة من مولدي في الغربة، سأذهب إلى فلسطين، فلسطين المحتلة من قبل اليهود.

بعد إحدى وستين عاما ونيف سأذهب إلى طولكم، سأذهب في الشهر نفسه الذي ولدت فيه، في أبريل. أية مصادفة جميلة هذه؟

لقد خالجني شعور بالحزن، بالفرح، بالتوتر، بالقلق، بالشك في الحالة نفسها، فأنا بين مصدّق ومكذب.

كان السؤال الأول الذي طرحته على نفسي: هب أني سافرت إلى الضفة الغربية فكيف لي أن أعود منها وأتركها؟

كل همي، الآن، أن أمشي في شوارع رام الله وبيت لحم ونابلس وقلقيلية وجنين والخليل... أن أشرب من ماء فلسطين، وأتنفس هواء فلسطين، هم في واد وأنا في واد آخر. وبعد وقت لم أعد أحسبه مشيت على تلك الأرض، ها أنا أمشي على تلك الأرض.

* كاتب من فلسطين مقيم في الإمارات

* تخطيط: ساي سرحان

تنشر القصيدة بالاتفاق مع مجلة «الجديد» الشهرية الثقافية اللندنية

مراثي هابيل

نوري الجرّاح

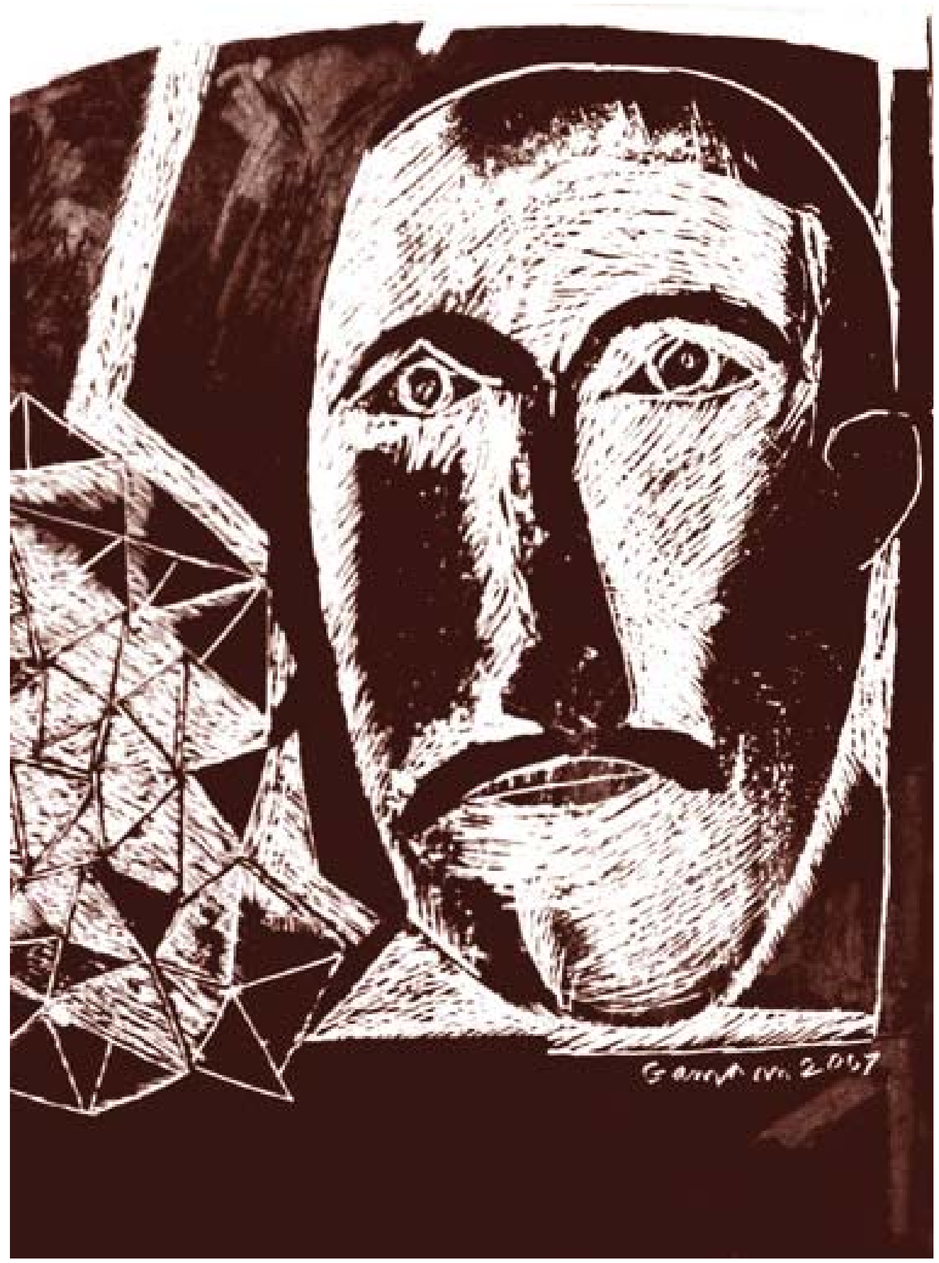

I

لَيسَ شَيئًا واحِدًا،
لَكِنَّهُ الوَحْدَةُ في كُلِّ شَيءٍ،
لَيسَ الأقَلّ،
وَلا القَليل،
لَكِنَّهُ الأكْثَرُ مِنْ شَغَفِ الأعْمَى وفَرَحِ الأسير،
هَذِهِ الوَرْدَةُ الدّامِيَةُ في عُرْوَةِ الرّبيع،
هَذا العِطرُ في الأزْقاضِ،
هَذا الإكْليلُ الصّادِحُ في عُنُقِ الجُدْجُلة.
لَيسَ شَيئًا يَتيمًا،
وَلا شَيئًا غابِرًا،
لَكِنَّهُ البَيْدَمُ واللّيْهَةُ في كُلِّ خُطْوَةٍ عِنْدَ كُلِّ أرْض.
لَيسَ نَهْرًا يابِسًا وَلا سَرابَ طَريق،
لَكِنَّهُ الشَجَرَةُ الحَمْراءُ مَضْروبَةً بالفُؤوس،
وفي بَرْقِ أوْراقِها اجْتَمَعَ الأبْرَصُ والأخْرَسُ
والأعْمَى،
والباكِيَةُ دَهْرًا،
وَغيمَةُ الخارِجينَ مِنَ الكَهْف.

أصْغِ وامْتَدِّي بِكَ،
نَفْسي تَحْضُنُني،
وَلا أهْتَدي إلّا بِتَجْمَتِكَ الضّائِعَة.

أمُوتُ،
وتُعيدُني مِنَ المَوت.

تُمَشّيني في المَدينَةِ وتُتَوَهّيني في الحارات.
هُنا كانَ بَيتي، عَرَفْتُهُ مِنْ حِطامِهِ.
هَذِهِ نافِذَتي،
وهَذا سَريري،
وتِلْكَ كانَتْ كِلْماتــي قَبْلَ أنْ تَكونَ لي غيمَةٌ في
كِتابٍ.

تَأْخُذُني في الجَنازات،
وَتَتْرُكُني عَلى صَخْرَةٍ في طَريق،
وتُوهِمُني أنّني عَلى مَقْعَدٍ في حَديقَة.

تُميتُني وتُحْييني،
وتُلْهِمُني أنّني لَمْ أخْرُجْ وَلَمْ أدْخُلْ.
حَتّــى لَكَأنّــي لَمْ يَكُــنْ لي بَيتٌ وَلا أمْسٌ وَلا
صاحِبٌ وَلا طَريق.

أهْوي عَلى نَفْسي بِفَأْس،
وأرَى لُغَتي لِدَتي تَتَهَدّمُ.
مَعابِدي تَتَسابَني وَتَحْتَرِق.

في الأعْصارِ ذاتِ النَسائِمِ الرَخْصَة،
بَينَما ذِراعُ المَلِكِ في خَصْرِ الجارِيَة،
جاءَ الإعْصارُ،
وأخَذَ المُغَنّي والمَجْنون.

لُغَتي تَتَسابَني،
لُغَتي تَتَشَقّقُ وتُشْفِقُ عَلَيّ،
لكنّ مُدُني المُخْدَرَةَ بالخُشّاخاشِ،
خَرَجَتْ إلى البَساتينِ لِتَنْحَرَ الشَفيقَ لِلضُيوف.

وفي إثرِ النّازِلينَ مِنَ الكَهْف،
وَمَعَهُم جَسَدُ هابيل
وقَدْ
صارَ
أطْوَل،
وَصَلَ صَبِيٌّ دِمَشْــقِيٌّ وَرَمى عَلى الكِثْبانِ وَرْدَتَهُ
المُخْتَرِقَة.
كَيْفَ أكُونُ بارِقَةً وَلا أكُونُ خُطامًا!

II

الآراميّاتُ في الشُرُفاتِ يَغْزِلْنَ النَشيدَ
لِرِجــالٍ هَلَكُوا في الحُــبِّ، ورِجــالٍ هَلَكُوا في
الحَرب،
ورِجالٍ هَلَكُوا، مِنْ قَبْلِهِمْ، في الكَهْف.
دونَ
خَبَط
الشَمْس.

قالَ هابيلُ لإخْوَتِهِ الكَثيرين:
اتْرُكوني ها هُنا في السَهْلِ أصْطَادُ الغَمامَ،
بُرَدى يابِسٌ في الأعْصارِ
نومي،
بُرَدى يُرْسِلُ في نَومي أسْرابَ اليَمامْ.

وقالَ هابيلُ
اتْرُكوني
لأرَى في صَرْخَةِ المِرْآةِ صِبْيانَ دِمَشْقَ،
يَصْعَدونَ
بِشَقائِقِ النُعْمانْ،
وَيُبَلْغِمُونَ الأفْقَ في يَوم.

–آه مَا أقْسَى مَصيري، في دِمَشْقَ،
قالَ هابيلُ لِطائِرِهِ وقَدْ أنْهاهُ عَنْ دَمِهِ السَهْمُ،
ونالَ مِنْهُ الصَمْتُ.

بــا لِلآرامِيّــاتِ فــي صُــورِ الرَمْشــقِيّاتِ، كَمْ
يُثْعِبْنَني،
لَمّا يُخَبِّئْنَ البَنَفْسَجَ في الكَلامْ
يا لَهْنَ،
وَهُنَّ يَرْمِينَ المَساءَ عَلى حَريرِ الرُكْبَة
وِشاحا
وَيُحَيِّــنَ، أوْ يَجْلِسْــنَ، أوْ يَمْشِــينَ فــي خَفَرِ
العَذارى،

يا لِلآرامِيّات،
لَمّــا يُنادِيــنَ، في المَمَرّاتِ، مَنْ سَــبَقَتْ خُطاهُ
مَصيرُهُ
بِهَمْسِ ما خَبّأنَ في أصْواتِهِنّ
مِنْ بَحّةِ الصَبايا،
وَمِمّا جَرَحَ في الصَوتِ الكَمانْ.

يا لِلدَمَشْقِيّات، يا لِلدَمَشْقِيّات،
لَمّا لا يُسْمِعْنَني صَوتي.
وَلا يُبْقِينَ مِنّي
ما

رُبَما
يَبْقى هُنا،
أوْ رُبَما يَفْنى هُناكْ.

III

وَفي السَنَة الخامِسَة،
في آذارَ مِنَ السَنَة الخامِسَة
قالَ لي أمْسي: تَذَكَرْ غَدَنا.
غَدُنا مَوْعِدُنا.
لا تَقْتُلْني كَثيــراً، وَلا تَقْتُلْني أكْثَرَ مِمّا يَعُوزُ
القَتيلْ،
يا
سَيّدَتي
الخامِسَة.

وَاليَومَ قَبْلَ الظُهْر،
بَينَ الشَمْسِ والظِلّ
تُغَيِّرُ الطائِراتُ عَلى سَريرِ الطِفْلِ
لِتُذَكِّرَني بِأنّي لَمْ أمُتْ بَعْدُ.

وَأنّ المَوتَ لَمْ يَقُمْ عَلَيّ ...
وَتُذَكِّرَني بِأنّ الأرْضَ عَطْشى
وَدَمي فَكِرَتُها الأولى
وَمِرْآتي،
وَنَهْرُ الأرْجَوانْ،
وَدَمي سَمائي
والمَكانْ.

وَفي السَنَة الخامِسَة
في آذارَ مِنْ سَنَةٍ خامِسَة،
تَعِبدُ السُنونو إلى الأمْهاتِ خَواتِمَنا الضّائِعَة.
هُنا كانَتْ أسِرّتُنا،
والشَبابيكُ،
وَطَلْعَةُ الصَباح
هُنا مَكْتَباتُنا،
هُنا قَصَصُ الحُبّ،
وَفي هَذِهِ البُيوتِ خَشْخَشَةُ الأساوِرِ في مَعاصِمِ
الأمّهات.
هُنا حائِطٌ لِصُورَةِ الخالِ الصَريعِ في الحَرْب،
هُنا الفاتِحَة،
هُنا الشَمْسُ مائِلَةٌ، والغَيمُ يَسْتَبِقُ،
الألْواح
يَعْوي الحُطامُ عَلى أشْلائِنا وَيَهيمُ الفَراغُ،
هُنا فُلْقَةُ الصَخْر،
صائِحَةٌ
تَتَوَجَّعُ
والسَماءُ فَصٌ مِنْ دِماغِ هابيل.

هُنا بابٌ وَراءَ بابٍ،
والآراميّاتُ في الشُرُفاتِ يَغْزِلْنَ الوِشاحْ.

هُنا كانَتْ أسِرّتُنا،
والشَبابيكُ،
وَطَلْعَةُ الصَباح
هُنا مَكْتَباتُنا،
هُنا قَصَصُ الحُبّ،
وَفي هَذِهِ البُيوتِ خَشْخَشَةُ الأساوِرِ في مَعاصِمِ
الأمّهات.
هُنا حائِطٌ لِصُورَةِ الخالِ الصَريعِ في الحَرْب،
هُنا الفاتِحَة،
هُنا الشَمْسُ مائِلَةٌ، والغَيمُ يَسْتَبِقُ،
هُنا ذِكْرَياتُ الطَريقِ إلى المَدْرَسَة.

IV

الآراميّاتُ في الشُرُفاتِ يَغْزِلْنَ الوِشاحْ
وَفي شَــقّ في حائِط، هُنا، ما طَــوَتْ أصابِعُنا
الصَغيرةُ مِنْ وَرَقْ،
وَخَبّأتْ
في الشَقّ أسْرارَهُا..

لا تَقْتُلْيني كَثيراً وَلا تَقْتُلْيني مِرارا
لَمْ يَعُدْ في جَسَدي شِبْرٌ
يُذْكَرُ
الطَعَنات
بِهِنَّ
أوْ يُذَكِّرُني بِمَنْ كُنْتُ.

جاءَتِ الطّائِراتُ
جاءَتِ الطّائِراتُ
وَنَزَلْنا مِنْ صُوَرِنا المُعَلّقَةِ عَلى حائِطِ البَيت
وارْتَمَينا في المَلابِس،
وَبَكَينا بُخْلَ والخَوْف،
لَمْ نَعْرِفْ وَجْهَ مَنْ كانَ هَذا ولا وَجْهَ مَنْ كانَ ذالْ
وَلَمْ نَتَذَكَرْ
عِنْدَما جاءَتِ الطّائِراتُ،
غَيْرَ إخْوَتِنا في الشَراشِفِ
مَبْلولَةً
بِدَمِ الضَحِكات
وَفِراشاتُ أسْمائِهِم مَقْصوصَةً
تَضْرِبُ البَيت
والذِكْرياتُ رَمادُ اتِيَةٍ،
وَحُطامُ صُوَر.

جاءَتِ الطّائِراتُ
جاءَتِ الطّائِراتُ
فَلْيَمُرَّ الشَهيدُ إلى ظِلِّه،
رُبَمّا تَعْبُرُ الطّائِراتُ
وَتُخيطُ السَحابَةُ بالأبْيَضِ الهَشِّ جُرْحَ السَماءْ.

جاءَتِ الطّائِراتُ،
وَنَزَلْنا
عَلى
دَرَجِ
البَيت
أمْهاتٍ قَليلاً،
رُبَمّا أصْلَحَ الكَسْرَ العَروضيّ في القَصيدَة،
قالَ صَبِيٌّ،
وَمَضى خَلْفَ صَرْخَتِهِ الضّائِعَة.

V

الجَرّافاتُ تَعْمَلُ، الجَرّافاتُ تُعاوِنُ اللّيل،
والأخْدودُ يَنْزَف.
الجِهاتُ تُعيدُ الصَرْخاتِ إلى النَهْر،
بارِدَة.
الذِّئابُ تُرْسِلُ أنْيابَها في لَحْمِ الجَبَل،
والجِراءُ الصَغيرَةُ تَلْعَقُ الشَقوق.

لا شَيء، هُنا، الآنَ، لا شَيء،
سِوى العَلاماتِ
جارِحَة
وَحُطامِ الأجْنِحَةِ الّتي تَرَكَتْها الظِلال.
لاشَيءَ لَهُ صَوتٌ، هُنا، غَيرُ دَمِكَ المُهْرَاقِ
في تُرْبَةِ الوَقْت،
دَمُكَ الصّامِتُ، وَقَدْ جَرى نَهْراً في الصُوَر.

VI

سَأَلَتْ فَتاةٌ مِنْ وَرَاءِ سِتارَة
إنْ كانَ يُمْكِنُ لِلْفَتاةِ أنْ تَظِلَّ نَقِيَّة،
لو لَطَخَ الجُنْدُ مَلابِسَها بِماءِ المَوت،
وَمَزَّقوا الضَفيرَةَ البَيضاءَ
في دَفْتَرِها الطِفْل:
إلهي...
هَلْ تُسامِحُني، إلهي
هَلْ تُعاقِبُني لِأنّي لَمْ أمُتْ عَذْراءَ في بَيتِ أبي؟

وَقالَ هابيلُ لِصُوَرِتِهِ الغَريبَة:
هَــلْ تَرْحَــبُ جَنّــةُ اللــهِ بِصِبْيانٍ بَكَــوا تَحْتَ
المَطارِق؟

وفي شَقِّ المِرْآة،
سَأَلَ الصَبِيُّ اللهَ إنْ كانَ يَراهُ
في غامِضِ الصُورة، أوْ في غَيْشِ الكَلِمَاتْ.

جَــاءَتِ الطّائِراتُ مِنْ جِهَةٍ غَيــرَ تِلْكَ الّتي تَرَكَ
الطِفْلُ في وَرَقِ المَدْرَسَةْ.

قالَتِ البِنْتُ
سَأَرْتَبُ شَكْلَ بَيتي الجَديدْ
هُنا هُنا طائِرٌ في قَفَصْ
وَهُنا سُلَّمٌ خَفّاقَةْ،
وَهُنا، أوْ هُناكَ، حَوضُ ماءٍ لِأسْماكِيَ المُلَوّنَة.

عِنْدَما جاءَتِ الطّائِراتُ
وَنَزَلْنا
عَلى
دَرَجِ
البَيتِ
كانَ اسْمي يَتيماً
وَفي ظِلِّهِ نَمَتِ المِرْثِياتْ.

VII

سَأَكْتُبُ هَذِهِ القَصيدةَ،
مِرارًا
أكْتُبُ الظِلالَ وأكْتُبُ الكَلِماتِ
والخُطامَ الشّاهِقَ في مَرايا الظِلال،
أكْتُبُهُ
لِأتَتَبَّعَ العَلامات
أصِلَ وَاجِدَنِي عَلى مَقْعَدٍ
وَفي يَدَيَّ المَصْوَحَتينِ أزْهارِيَ المُحْتَرِقَة.

VIII

الشَتاءُ الأخيرُ، الطّائِراتُ تُغيرُ في الأبْعَدِ،
الطّائِراتُ تَقْتَلِعُ المَقابِرْ،
المَقابِرُ المَنْبوشَةُ تَلْهَثُ،
الصُوَرُ في العِظامِ الجافَةِ تُضيءُ،
الجَماجِمُ الغَبْراءُ تَتَنَفَّسُ،
نورُ الكَشّافاتِ يَهيمُ عَلى الإسِرّة،
الأطْفــالُ الغائِصُونَ في قُطْــنِ الحَريرِ، دَمُهُم
يُهَيِّجُ الوِلْيمَةَ،
الأحْذِيَةُ الجائِعَةُ تُرْسِلُ التِمْساحَ الأنْيابَ،
دَمُ الكَونِ يَغُمُرُ الأرْضَ،
لَكِنَّ بُخارَ الوِلْيمَةِ يَمْلأُ خَياشيمَ الحُلُوس،
خَياشيمُ تَتَدَلّى مِنْ عُلُوِّ غُرَيب، والقَتَلَةُ جُلوسٌ
بِلا رُؤوس.

IX

أدْخَلْتَهُمُ البَيتَ لِيَغْتَسِلُوا مِنْ شَقاءِ الطَريق
وَيَمْلأوا بالخُبْزِ مَعِداتِهِمُ المُذَعْوِرَة.
ولَمّــا حَطَــتْ عَلى الصُــنونِ الفارِغَةِ فَراشَــةُ
الزَمَن،
وَقَبْلَ أنْ تَتَلَفَّتَ وتَقْرَأَ ما كُتِبَ في اللَوْح
كانَتِ الفُؤوسُ تَفْتَحُ في ظَهْــرِكَ الضّاحِكِ باباً
لِلخُرُوج.

X

السَماءُ الزُرْقَةُ اليَتيمَةُ الأخْتُ المَلْهوفَةُ، ويَدُها
الجَريحَةُ تَنْزِف،
نَظَرْتُها مِنْ آخِرِ المَمْشَــى يَاسَــمينَ تَفَرَّطَ في
شَجَرِ النَوْم،
دَمٌ في اللّيلِ وَدَمٌ بَعْدَ الصَلاةِ عَلَى اللّيل.

الزَيتُونُ يَلْمَعُ عَلى أشْــجارِ الشَمالِ، حَبّاتُهُ دَمٌ
يَتَفَرَّطُ في الأيْدي.
الغَيمــاتُ الصَغيراتُ الشّــارِداتُ يَمْلأنَ الوادي
صُراخًا،
العَرَباتُ تَتَفَسَخُ وَتَهْوي في دَمِ الصُبْح،
وُحُوشُ النَهارِ تَلُمُّهُمْ مُرَقّا مِنْ سَــماءٍ سَــقَطَتْ
في شَبَكَة،
الغَيماتُ الخائِفاتُ يَهْوينَ عَلى حَقْلِ الذُرَة،
والصَبِيّةُ الذينَ هَرَعُوا جِهَةَ الأوْراقِ الخَشِــنَةِ
مَشَحُوا بِدِمائِهِمُ الظِلال،
مَلابِسُهُمُ الفائِحَةُ بِرائِحَةِ الخَوفِ نَزَعَها عَنْهُمُ
مَلائِكَةٌ مُذَعْوِرُونْ
نَزَلُوا مِنْ جَبَلٍ وَتَوارَوا في تُرابٍ يافِعْ.
في اللّيلِ تَدْخَنِي عَلى قُبورِهِم الأشْجارْ
وَتَبْكي قَمَرَها الغارِب.

XI

لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ فُؤادِي كَلامٌ كَثيرْ
لأقُول
كُنْتُ يَتيماً، واللّيلُ في الكُتْبِ وَرْدَةُ اليَتيمْ.
شَقائِقي
فَكْرَتي المُدْمَاةُ
وَلَيلي شُرْفَةٌ في هاوِيَة.

اليَوم، في فاتِحَةِ الغُبارِ
قَرَأتُ وَجْهِيَ مُبَلّلا بالدَم
لَمْ أجِد اسْمي
لَكِنْ نافِذَةً صَغيرةً
كَسَرَتْها الرّيحُ بالبُطاطِس
رَدَدْتي إلى صَوتي،
لَمْ أجِد بَيتي
وَلَكِنّي وَجَدْتُ الرّيحَ والطُرُقاتِ
قَبْضَ رِيح
قَبْضَ رِيح.

رَأيتُ الوُرَيقاتِ الخَفيفاتِ في طَيشِ المَجْرى
والنُورُ رَأيَهُ يَتَخَطَفُ في الظِلال.

نَمْ يا صَغيري نَمْ.
سَأعيدُ دُمَيْتَكَ الصَغيرَةَ مِنْ يَديكَ إلى الدُرابْ.
نَمْ يا صَغيري نَمْ
صَلَيتُ لِلْغائِبِ أنْ يَعُودَ مِنْ غَياهِبِ الغِيابْ،
نَمْ
في حُطامِ البَيتْ
لَمْ يَبْقَ مِنْ غُرَفِ الطُفولَةِ والمُراهَقَةِ العَنيفَة
غَيرُ أصْواتٍ مُحَطَمَة
وَأصْداءُ ظِلال.

قالَ صارِخٌ في السُوق
اقْتُلُوني
اقْتُلُوني
وَلا تَتْرُكوني أرَى مَا أرَى
ثُمَّ اقْتُلُوني
وَلا تَدْفِنُوني في هَواءِ مَنْ قَتَلُوا وَلَمْ يُدْفَنُوا
وَمَــنْ قَتَلوا وَدَفَنوا في صَــراخِ أصْواتِهِمْ، وَلَمْ
تَكُنْ لَهُمْ أسْماءْ.
الأراميّاتُ في يَومِ الشّاميّاتِ يَغْسِلْنَ النَشيدْ.

XX

بِنَاءُ البَيْتِ عَلَى الفَتى وَلا بِنَاءُ الفَتى فِي البَيت
يُطَبِّــقُ السَــقْفُ عَلَــى البِنْت، وَفِــي يَدِهَا إِنَاءُ
الخَوْف،
وَالسَمَاءُ، بِشَفَتَيْنِ تُرَابِيَتَيْنِ
تُقَبِّلُ
جَبِينَ
النَائِم.

قالَ هابيلُ لِصُورَتِهِ القَديمَة
ماتَ قَلْبي
لَمْ يَعُدْ في صَدْرِيَ المَفْتوح
بِالحَجَر
قَلْبٌ خَافِقٌ
لامْرَأة، أوْ شَقيق.
وَلا صَوتٌ يُنادي شارِعاً في أوَلِ الدُنْيا
وَلا نافِذَةٌ في آخِرِ الطَريق.

اليَوم، في فاتِحَةِ الغُبارِ
قَرَأتُ وَجْهِيَ مُبَلّلا بالدَم
لَمْ أجِد اسْمي
لَكِنْ نافِذَةً صَغيرةً
كَسَرَتْها الرّيحُ بالبُطاطِس
رَدَدْتي إلى صَوتي،
لَمْ أجِد بَيتي
وَلَكِنّي وَجَدْتُ الرّيحَ والطُرُقاتِ
قَبْضَ رِيح
قَبْضَ رِيح.

وَقالَ هابيلُ لِنَهْرٍ كانَ يَشْتَغِلُ إلَهاً في دِمَشْق:
في كُلِّ سانِحَة
أدَرِّبُ خَيالــي عَلى مُعاوَدَةِ أطْفالٍ يَمْشُــونَ في
الإسْواق
مَقْطوعي الأيْدي
أحْمِلُ العاهِهُمُ المُلَوّنَةَ وَأجْنِحَتَهُمُ المَشْلولَة،
وَأمْشي وَراءَهُمْ.

اليَوم،
وَأمْس،
وفي كُلِّ ما كانَ غَداً،
أنا وَحْشٌ جَريحٌ يَتَقَدّمُ أطْفالاً بِلا عُيونْ،
أطْفالٌ اقْتُلِعَتْ بِالسَكاكين
عُيونُهُمْ،
وَأنا الوَحْشُ المُرْشِدُ.

وَفــي أوْقاتٍ أخْــرى كُنْتُ أحْمِــلُ الذَخيرَةَ في
صَناديقَ خَشَبِيّة
لِمُقاتِلٍ بِيَدٍ وَحيدَة في حَلَبَ القَديمَة.
يَتيمٌ وُمُهَشَّمٌ وَمُزَجَّجٌ بِحِجارَةِ المَوْت،
أخْرُجُ مِنْ مَخْبَئي وَاقِفٌ لِعَرَبَتِكَ السَوْداء،
أيُّها الزَمَنُ البَشَري..
الكَلِماتُ تَعْضُ شَفَتَيَّ، الكَلِماتُ تُدْمي لِساني.

XXI

يَتَوَقَّفُ القِطارُ وَتَنْهارُ الأبْوَاب،
مَا مِنْ خَلْقٍ هُنا لِيَتَدافَعُوا عَلى الأبْوابْ
عَيْنَايَ هَائِمَتَانِ،
وَحَقيبَتي تُسَقِّفُني،
وَقَبْلَ أنْ أطَأ الرَصيف
قَبْلَ أنْ تَتْرُكَ قَدَمي الصِراطَ المَكْسُور،
وَتَطأ الحَافَة
قَبْلَ أنْ أرَى القِيامَةَ والإسْفَلْتَ يَضْحَكانِ لي،
رأيتُ الرَصيفَ يَميل، وَيَرْتَفِع،
وَكَتِفي جَنَاحَين
يَحْتَرِقان،
لَكِنَّ نَصْلَ المِظَلّة يَغوصُ في خَاصِرَتي،
وَفي خَواءِ سَقْطَتي،
حَقيبَتــي، التي كَدَسْ فيها القُنْبَلَةَ صُحُفَ الأيّامِ
الآلِف،
تَتَطايَرُ في هَواءِ مُمَزَّق
وَعَناوينُها المُتَقادِمَة
تَقْطُرُ
دَمَا.

وَقالَ هابيلُ لِصُورَتِهِ المُعَلّقَةِ في هَواءٍ أسْوَد:
قَدَمي خَافِقَة،
وَنَهَاري عَدَمٌ فَسيحٌ

لندن في مايو/أيار 2015

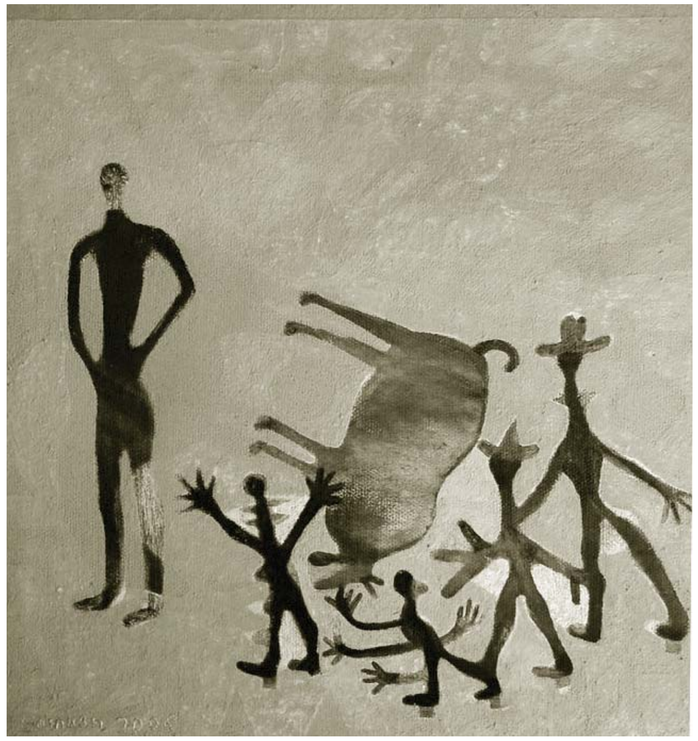

الرسمتان للفنان السوداني حسين جمعان

عاريا كالفولاذ يأتي المساء

جورج سيفيرس شاعر الإغريق في القرن العشرين

كان جورج سيفيرس أول شاعر يوناني ينال جائزة نوبل في الأدب (1963) "لغنائيته الرفيعة المستوحاة من شعور عميق بعالم الثقافة الهيلينيّة". وبعد سنتين من انقلاب العسكر الذين اغتصبوا السلطة في بلاده عام 1967، حيث اشتدّت الرقابة وانتشرت الاعتقالات السياسية والتعذيب، وقف سيفيرس بصلابة ضد النظام البوليسي الجديد. ففي 28 مارس 1969، ألقى خطابا في غاية الأهمية، أذاعته هيئة الإذاعة البريطانيّة، وتم توزيعه على جميع الصحف التي كانت تصدر في أثينا ذلك الزمان، صارخا بأعلى صوته "لا بُدّ لهذي الحالة الشّاذة أن تنتهي". بيد أن القدر لم يمدّ في عمر سيفيرس ليرى نهاية الدكتاتورية العسكرية، فمات بعد خطابه الشهير، ذاك، بنحو سنتين أو أكثر قليلا. وأثناء تشييع جنازته، احتشد اليونانيّون بأعداد غفيرة، رافعين تابوته على الأكتاف، يطوفون به شوارع أثينا، وهم ينشدون لحن ميكس ثيودوراكيس لقصيدته الشهيرة، "نُكران" (والتي منعتها سلطات الانقلاب في ما بعد) لتخلّده الذاكرة اليونانيّة، كبطل شعبيّ، قاوم الطغيان والاستبداد كما يليق بشاعر عظيم.

تحسين الخطيب

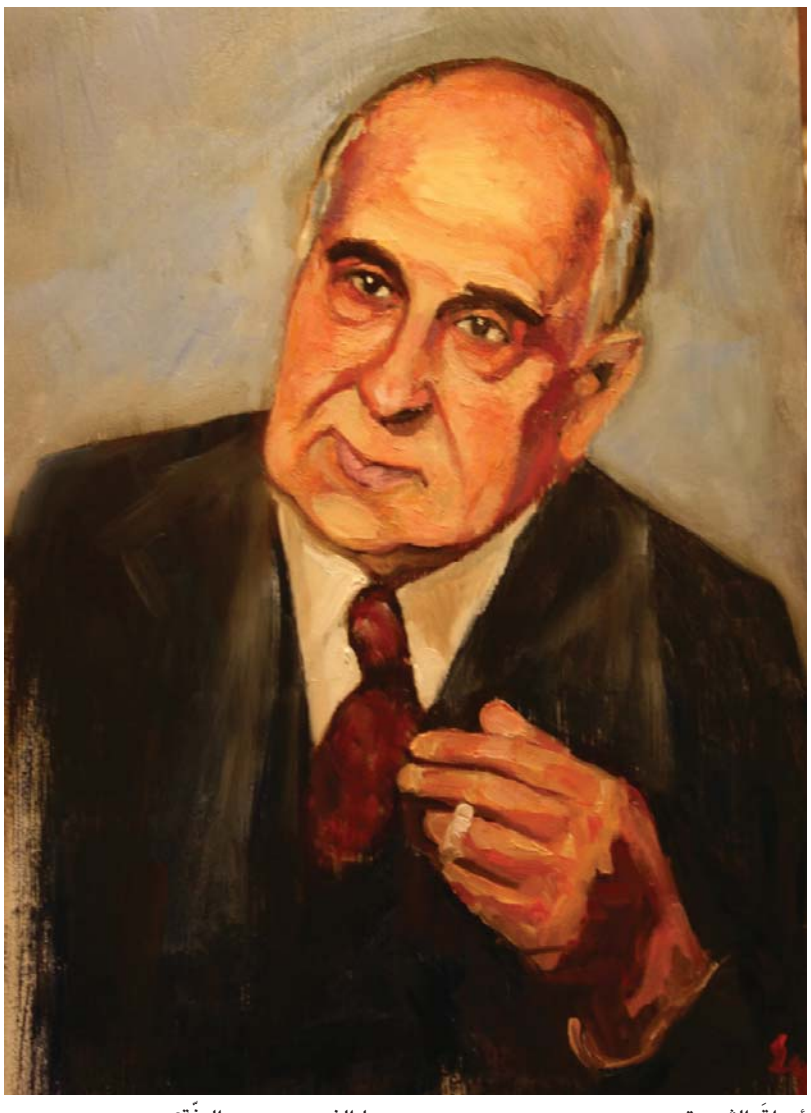

■ حرمان

على الشاطئ القصيِّ
الأبيض كيمامة
عطشنا في الظهيرة؛
ولكنّ الماءَ أجاجٌ.
على الرمل الذهبيِّ
كتبنا اسمها؛
ولمّا هبَّ نسيمُ البحرِ
غابت الكتابةُ.
بأيِّ قلب، بأيِّ روح
بأيِّ رغبة وبأيِّ شغف
عشنا حياتنا؛ يا لها من زلّة!
فبدّلنا حياتنا.
الرفاقُ في حادس
سفهاءُ أكلوا أنعامَ شمسِ هايبريون
فحرمهم من العودة.

■ سهم ناري

ليسَ البحرَ
ولا العالمَ
هذا الضياءُ الأزرقُ
على أطراف أصابعنا.
تحتَ الجفونِ
ألفُ جَسّاس
يحاولونَ أنْ يجدوا السّماءَ
دائخينَ
قرنفلٌ أحمرُ
في الأصيص
ولمّا كتبتُ وقفتِ
أماميَ كالحُبِّ
كانَ أيّلا
أصفرَ كالكبريتِ
وكانَ بُرجًا
من ذهبٍ
خَمسةُ غربانٍ
أحصتْ سنينَها
تشاجرتْ ثم تناثرتْ
كنجمٍ خماسيٍّ
وشَعرُ الحبيبةِ
ابيضَّ كالزنابقِ
وعلى جسدها المعشوقِ
أسفارًا كتبتُ.
لا أستطيعُ العيشَ
مع طواويسَ فحسبُ
ولا أستطيعُ الرحيلَ أبدًا
في عينيْ حوريةِ الماءِ.

■ قافية

أيتها الشفتان، يا حارستيْ حُبّي الذي كانَ
على وشك أن يَغيبَ
أيتها اليَدان، يا أصرتيْ شبابي الذي كانَ
على وشك أن يَرحلَ
يا لونَ وجهٍ ضائع في مكان ما في الطبيعة
يا أشجارُ... ويا طيورُ... ويا أيّها الصّيدُ
أيها الجسدُ، يا الأسودَ في القيظ، ككرمة
أيها الجسدُ، يا فُلكيَ الخصيبَ، إلى أينَ
ترحلُ؟
أهيَ السّاعةُ حينَ يغرقُ الشّفقُ
فأتعبُ من تلمُّس العتمة الحالكة...
(حياتنا في كل يَوم تنقبَضُ).

■ تخليدا لذكرى

كنت الصمتَ المقدّسَ
بيضاءَ كالأرزِ
بيدَ أنّ الرحيلَ الراعشَ
دومًا يعودُ
أخذت الروحَ
النابذةَ الدوّارةَ
التي تتركنا
في حزنٍ وحيدٍ.
وحينَ يأتي اللّيلُ أحدّقُ في الخُضرةِ
عيونِ أصدقائنا المغمَضة.

■ وصف

بعينيها الغائمتينِ تدنو من تلكَ اليدِ
المنحوتة
اليدِ التيَ رفعتِ الدّفةَ
اليدِ التي رفعت القلمَ
اليدِ التي انبسَطت مفتوحةً في الريحِ
وكانَ كلُّ شيءٍ قد هدّدَ صمتها.
ومن شجرِ الصّنوبرِ تنفرُ حركةٌ صوبَ البحرِ
إنها تلعبُ مع أنفاسَ النسيمِ الوادعة
وطودانِ عظيمانِ يعترضانِ سَبيلها
فتحتُ قلبي ثمّ تنفّستُ.
والصوفُ الذهبيُّ ارتعشَ في لجّة البحرِ.
كانَ الجلدُ واللونُ والدفّة لها،
ولها كانت رؤوسُ الجبالِ في الأفقِ، على
كفّي.
فتحتُ قلبي
طافحًا بصورٍ تلاشتْ للتوِّ، مَنِيِّ بروتيوس.
هنا حدّقتُ فيَّ القمرِ
المُخضّب بدم
ذئبةٍ صغيرةَ.

■ هامبستيد (Hampstead)

كطائرٍ بجناحٍ مكسورٍ
رحلَ أعوامًا في الريحِ
كطائرٍ لم يُطقِ
الريحَ والعاصفةَ
يأتي المساءُ.
وعلى العشبِ الأخضرِ
ثلاثةُ آلافٍ من الملائكةِ رقصتْ طيلةَ اليومِ
عاريًا كالفولاذِ
يأتي المساءُ الشاحبُ؛
طوى الثلاثةُ آلافِ ملاكٍ
أجنحتهم وصاروا
كلبًا
منسيًا
يعوي
وحيدًا
ويبحثُ عن سيّده
أو عن المجيءِ الثّاني
أو عن عظمة.
والآنَ أرنو إلى بعضِ السّكونِ
يكفيني كوخٌ على التّلةِ
أو قربَ شاطئِ البحرِ
تكفيني ملاءةٌ مغموسةٌ بالأزرقِ
أمامَ نافذتي
منشورةً هناكَ كالبحرِ
وحتى قرنفلةٌ باطلةٌ
في أصيصي تكفيني
ورقةٌ حمراءُ على سلكٍ معدنيٍّ
كي تستطيعَ الريحُ
كبحَ جماحها بلا كدٍّ
كما تشاءُ.
سيأتي المساءُ
وأصواتُ القطعانِ تدوّي هابطةً إلى الحظيرةِ
سأستلقي لأنامَ
فأنا لا أملكُ شيئًا
ولا حتى شمعةً لأضيءَ
النورَ
لأقرأ.

■ الأحد

حصانانِ ثقيلانِ وعربةٌ بطيئةٌ، هذا أو
شيءٌ آخَرُ
في الشّارعِ خارجَ نافذتي
هذا الضجيجُ.
ستعتمُ عمّا قليلٍ، أرى قَوْصَرةً طافحةً
بتماثيلَ مبتورةٍ تحدّقُ فيَّ.
كم ثقيلةٌ هيَ التّماثيل؟
أوثرُ قطرةَ دمٍ على كأسٍ من الحبرِ.

■ مرثية

الفحمُ في الضباب
كانَ وردًا تجذّرَ في قلبكِ
والرمادُ غطّى وجهكِ
في كلِ صباحٍ.
قاطفةُ ظلالِ السّروات
رحلت قبلَ سنة.
بينَ لَحظتينِ مريرتينِ لم يكَد لكِ وقتٌ
للتنفّس
وبينَ وجهكِ ووجهكِ
هيئةُ طفلٍ رقيقةٌ تلوحُ وتحتجبُ.
في كهوفِ البحرِ
ثمّةَ عطشٌ ثمّةَ حُبٌّ
وثمّةَ نشوةٌ
كالأصدافِ كلُّها قاسيةٌ
تستطيعينَ رفعها في كفّكِ.
في كهوفِ البحرِ
لأيامٍ كاملةٍ نظرتُ في عينيكِ
فلم أعرفكِ ولم أعرفني.
كُفّي تبحثينَ عنِ البحرِ وصوفِ الأمواجِ
بمبّغات الكايكْ
تَحتَ السماءِ نحنُ الأسماكُ والأشجارُ
والطحالبُ.

■ أرض الذي لا يحتوى

تسقطُ اليومَ النقودُ المعدنيّةُ فوقَ المدينةِ
بينَ كلِ مفصلٍ، أرضٌ تنفتحُ
كقطرةٍ على التّرابِ: لقد أزفَ الوقتُ،
ارفعوني.

■ الياسمين

سواءً كانَ الغسقَ
أم الفجرَ
أبَيضٌ دومًا
يظلُ الياسمينُ.

■ خط يدوي

أشرعةٌ على النّيلِ
طيورٌ بلا سقسقةٍ وذات جناحٍ واحدٍ
تفتّشُ صامتةً عنِ الأخرى؛
تحتشدُ في غيابِ السماءِ
تفتّشُ عن جسدِ الصّبا المرخاميِّ؛
ناقشةٌ على الأزرقِ الفاتحِ بحبرٍ خفيٍّ
صرخةً يائسة.

■ حلم

أنامُ وقلبي مستيقظٌ؛
يحدّقُ في النجومِ التي في السماءِ والخوذةِ
وكيف يورقُ الماءُ على الدفّة.

■ أيام يونيو 1941

طلع القمرُ الجديد فوقَ الإسكندريّة
حاملا القمرَ القديم بينَ ذراعيه
فمشينا صوبَ بوابة الشمس
في عتمة القلب، ثلاثة أصدقاء.
مَن يريدُ الاستحمامَ في مياهِ بروتيوسَ
الآنَ؟
بحثنا عن التحوُّلِ في فتوّتنا
برغائبَ شهوانيّةٍ عبثتْ كأسماكٍ كبيرةٍ
في اللجّة التي تضاءلت فجأةً؛
لقد أمنّا بجبروت الجسدِ.
والآنَ صعد القمرُ الجديدِ وهو يحضنُ
القديم والجزيرةَ الجميلةَ النّازفة،
الجزيرةَ الساكنة، الجزيرةَ القويّة، البريئة.
والأجسادُ كأغصانٍ مكسورةٍ
كجذورٍ مجتثّةٍ.
عطشًا
حارسٌ على صهوةِ جوادهِ وقد صارَ رخامًا
عندَ بابِ الشمسِ المعتمِ
لا يعرفُ كيفَ يسألُ شيئًا: يلجأُ
منفيًا في مكانٍ ما في الجوارِ
قربَ قبرِ الإسكندرِ الأكبر.

■ 16 قصيدة هايكو

أسل في الماء
قطرة نبيذ واحدة فحسبُ
فتزول الشّمسُ

*

في السهل
لا برسيمَ بأربعةِ أوراقٍ
أيُّ الثلاثِ مذنبةٌ؟

*

مقاعدُ شاغرةٌ
لقد عادت التماثيلُ
إلى المتحفِ الآخر

*

أهوَ صوتُ
أصدقائنا الميّتينَ
أم الفونوغرافُ؟

*

أصابعها
في الشّال الذي بلونِ البحرِ
أنظر: مرجانٌ

*

كثيرُ التأمّلِ
صدرها الثّقيلُ
في المرآةِ

*

ألبسُ نفسيَ ثانيةً
أوراقَ الشجرةِ
فتثغين

*

الليلُ الريحُ
الفراقُ
يمتدُّ ويموجُ.

*

امرأةٌ عاريةٌ
الرمّانةَ التي فلقتها
كانت طافحةً بالنجومِ

*

والآنَ أرفعُ
فراشةً ميّتةً
بلا أيِّ ماكياج

*

كيف تستطيعُ أن تجمعَ
آلافَ القطعِ الصغيرةِ
لكلِ إنسان؟

*

ما الذي يجري مع الدفّة؟
ينقشُ القاربُ دوائرَ
ولا نورسَ قطّ

*

لا عيونَ لها
والأقاعي التي رفعتها
أكلتْ يديها

*

فُرجةٌ لهذا العمودِ
أترينَ
يا برسيفونه؟

*

العالَمِ يغرقُ
تشبّثْ سوفَ يُخلّيكَ
وحيدًا في الشمسِ

*

تكتبُ
لقد قلَّ الحبرُ
والبحرُ يَجِمُّ ويربوْ

نيجينسكي

تراءى لي أنّ كنتُ أحدّقُ في الفحم المشتعل في موقدي. أمسك في يده علبةً كبيرةً من ثقاب أحمر. أراني إيّاها كما يسحبُ المشعوذونَ بيضةً من أنف شخص في الكرسي المجاور. قدحَ عودًا، أشعلَ النّارَ في العلبة، غابَ خلفَ نار كبيرة، ثم تراءى ثانيةً أمامي. أذكرُ ابتسامتهُ الأرجوانيّةَ وعينيه الكامدتين. ظلَّ أرغنٌ صغيرٌ في الشارعِ يعزفُ النغمةَ ذاتها.

لا أعرفُ كيفَ أصفُ ثيابهُ. خلّاني أتذكّرُ سروةً أرجوانيّةً على الدوام. ثمّ راحت ذراعاهُ تنفصلانِ عن جسده المَمدود، شيئًا فشيئًا، كأنّها الصّليبُ. من أينَ جاءت الطيورُ الكثيرةُ؟ تستطيعُ القولَ إنّه قد خبّأها تحتَ جناحيه. طارتْ خرقاءَ كأنها ضائعةٌ، عنيفةً، خبطت جدرانَ الغرفة الضيّقة وألواحَ النوافذ ثم هوتْ على الأرضِ كأنها مطعونة. شعرتُ قربَ قدميَّ بكومةٍ دافئة من ريش ناعم ونبضٍ متعاظم، نظرتُ إليه على الرغمِ من أنّ دفئًا غريبًا قدْ باغتَ جسدي كأنّ تيّارًا قد سرى فيه. وحينَ فرغَ من رفع ذراعيه، حينَ اجتمعتْ كفّاهُ، فزّ فجأةً،كأنّ زنبركَ ساعةٍ قد نطَّ أمامي. خبطَ السقفَ مدوّيًا مع صوتِ أحدِ الصّنوج، مدَّ ذراعهُ اليمنى، قبضَ على سلكِ المصباح، تحرّكَ قليلًا، ثم استراحَ وراحَ يُشبه بجسَده شكلَ ثمانية على العتمة. دوّخني هذا المَشهدُ فغطّيتُ وجهي بكلتا يديّ. أبقيتُ العتمةَ في جفنيَّ وأنا أسمعُ الأرغنَ الصغيرَ يعزفُ النغمةَ ذاتها ثمّ كفَّ فجأةً. وعلى حينِ غرّةٍ ضربتني ريحٌ صَرصرٌ، فشعرتُ بخدرٍ يسري في قدميّ، وسمعتُ كذلكَ صوتَ مزمارٍ، خافتًا وناعمًا، ثمّ لعقًا متماثلًا وقويًا. فتحتُ عينيَّ، فرأيتهُ ثانيةً يدعسُ بأطرافِ أصابعِ قدميه مساحةً بلوريّةً في منتصفِ الغرفةِ وفي فمه مزمارٌ أخضرُ غريبٌ كانت أصابعهُ تجري عليه كما لو كانت سبعةَ آلافٍ. ثم استعادتِ الطيورُ حياتَها الآنَ على نحوٍ عنيف، طارت عاليًا، ثمّ اختلطت، فشكّلتْ صفًّا متراصًا تستطيعُ ضمّهُ، ثمّ خرجتْ في الليل، عبر النافذةِ التي لا أعرفُ كيفَ حدثَ أن كانت مفتوحةً. وحينَ انتهت الرفرفةُ الأخيرةُ، إلّا رائحةَ القنصِ الخانقةَ، قرّرتُ أن أحدّقَ في وجهه.

لم يكُن ثمّةَ وجهٌ فوقَ الجسدِ الأرجوانيِّ، تستطيعُ القولَ إنّهُ بلا رأس، قناعٌ ذهبيٌّ منحوتٌ، كتلكَ الموجودةِ في القبورِ المايسينيّة، بلحيةٍ مشذّبةٍ تصلُ إلى صدره. حاولتُ النّهوضَ. حتى أنّني لم أقم بالحركةِ الأولى، حينَ صوتٌ جائعٌ، كحشدِ طبولٍ دوّتْ أصواتُها في جنازةٍ، سمّرني في مكانيَ. لقد كانَ قناعًا. ثم تراءى وجهٌ ثانيةً، مثلما رأيتُه أوّلَ مرّةٍ، العينان، الابتسامةُ وشيءٌ شاهدتهُ لأولِ مرّةٍ، الجلدُ الأبيضُ الذي يتدلى من ضفيرتينِ سوداوين يحرسهُ عندَ الأذنين. حاولَ أن يقفزَ، لكنّهُ افتقرَ إلى خفّته الأصليّة. وأظنُّ أيضًا بأنّهُ قد تعثّرَ بكتابٍ سقطَ هناكَ مصادفةً فجثا على ركبة. أستطيعُ الآنَ أن أتقرّاهُ على مهَل، رأيتُ مسامَّ جسده ترشحُ حبّاتِ عرقٍ صافية. شيءٌ كاللّهاث ألمَّ بي. حاولتُ تفسيرَ لمَ بدتْ عيناهُ غريبةً جدًا عنّي. أغمضهما. حاولَ النهوضَ، لا بُدّ أن ذلكَ كانَ في غايةِ الصعوبة لأنّهُ جاهدَ كي يستجمعَ قواهُ، بلا فائدة. وإنّما جثا على ركبتيه معًا. رأيتُ جلدهُ الأبيضَ شاحبًا على نحوِ مفزعٍ، كعاجٍ أصفرَ، شاحبًا كانَ الشعرُ الأسودُ.

وعلى الرغم من أنّني كنتُ أمامَ تبريحٍ، فقد انتابني شعورٌ بأنّني كنتُ أفضل، بأنّني قد فزتُ بشيءٍ ما.

حتى أنّني لم أزفر أنفاسي عميقا حينَ رأيتُه مستلقيًا على الأرض غارقا في الهيكلِ الأخضرِ المُوشّى في سجّادتي.

هل من يدرس الجنون يجب أن يكون مجنونا

المفكر الفرنسي ميشال أونفري يرد على منتقديه العرب في «الجديد»

هناك ارتباط وثيق بين الإسلام السياسي والماركسية اللينينية كلاهما عنيف

ميشال اونفري

❑ نشرت الشهرية الثقافية "الجديد" في عددها "الرابع لشهر ايار/مايو 2015 حوار مطولا مع المفكر الفرنسي ميشال اونفري ومع الحوار نشرت آراء عدد من الكتاب والمفكرين العرب. هم أحمد برقاوي، مرزاق بقطاش، ربوح البشير، ابراهيم سعدي، سلامة كيلة، أزراج عمر.

وقد عادت الجديد ونشرت في عددها السادس الصادر هذا الشهر ردا من ميشال أونفري على بعض نقاده، ننشرها بدورنا بالتعاون مع المجلة.

بعض الذين ناقشوا الحوار، الذي أجرته معي مجلة "الجديد" الثقافية الفكرية، أجمعوا على أن حظ الفلسفة في الحوار كان قليلاً، بل هناك من قال إنها غابت تماما عن الحوار.

وأود من منبر "الجديد" الذي نشر الحوار الذي أجرته معي د. أسماء كوار ونشر النقود التي وجهت إلى بعض الأفكار الواردة في الحوار الرد على نقاط نقلتها لي محاورتي إلى الفرنسية، للإجابة عما أرى من الضروري الرد عليه.

كانت أول نقطة أثارت انتباهي هي تساؤل بعض من نقاشوا الحوار بقولهم: هل يجب على الفيلسوف أن ينشغل بالدين واللاهوت، علما أن آلهة كبار الفلاسفة (أرسطو، كانط، سبينوزا..) كانت آلهة عقلية، ولم تكن لهم علاقة بآلهة الأديان ولا بآلهة الإيمان؟

إذا فهمت جيدا طرحهم، فهم يعاتبونني لاستدعائي علم الدين أكثر مما يعاتبونني على فعلي ذلك فلسفيا. ذلك أنني لم أبتعد عن التحليل الفلسفي سليل فلسفة الأنوار، من خلال ما تتميز به من استعمال العقل، التمسك بمبدأ عدم التناقض، التطور المنهجي، التوضيح بأمثلة، ورفض كل مسعى تصوري عندما لا يكون ذلك مفيدا للعمل الفلسفي والذي يتحول بدوره إلى ممارسة تفتقد لأيّ عمق.. الشرح المدعم بالوقائع المنتمية إلى التاريخ، تحليل المصادر المباشرة، رفض المجادلة العقيمة والتعليق على التعاليق. إذا لم يكن هذا التحليل هو الفلسفة بعينها، فلا أدري، إذن، ما هي حقا! فمعاتبتهم كوني لم أترك للفلسفة حيزا في الحوار وما تطرقت له من مواضيع، بل الذهاب حد القول، إنني لم أتقن الفلسفة يوما، في حين أنني لم أتقن إلا الفلسفة طول حياتي، هو هدر وافتراء. ثم اتهامي بمحدودية معرفتي بالإسلام لا يدل إلا على محدودية معرفة من ادعى ذلك بالدين الإسلامي، وعدم قدرتهم على الرد على ما طرحت من تساؤلات وتقديم الحجج والبراهين على بطلان ما عرضت من النصوص.

إذا كان "التفلسف" هو الانطلاق من مقولة إننا نؤمن بالله، ثم مواصلة الحديث العادي بشأن دور "المحرك الأول" لأرسطو، ودور "الإله والطبيعة" لسبينوزا أو دور "مسلمات العقل التطبيقي الصافي" لكانط، والتي ستكون طريقة قديمة لإعادة ذكر الأسماء القديمة للإله، فإن ذلك، بالفعل، يجعلني لا أجيد الفلسفة. والعمل وفق هذا المنطلق هو حديث عن تاريخ الفلسفة وليس ممارسة الفلسفة أو "التفلسف". وإذا أصبح الأمر كذلك، فإنني أخلي المجال لأساتذة الجامعات، الأكثر كفاءة بمثل هذه المقاربة.

اهتمامي، أنا، يتعلق بالتفلسف وليس الاهتمام بتاريخ كيفيات "التفلسف". كان الأحرى بالذين قالوا بغياب الجانب الفلسفي في قراءتي للدين وبعض مواضيعه، أن يجيبوا فلسفيا، إذن بالتفلسف وليس بصفة الأستاذية في الفلسفة.

أما القول إن إجاباتي لم تظهر الروح الفلسفية في إدراك الوجود لأن روح الفيلسوف تبقى مرجعيته الأولى والأخيرة، ولا حق له، مهما واجه من أوضاع، أن تكون مرجعيته هي الدين لأن انتقاد الدين يقتضي فهم الضمير الديني وأهواءه السياسية، الأخلاقية والاجتماعية. فلماذا يكون الدين ميدانا محظورا على من لا يؤمن به؟ لا يمكن لأحد مؤاخذة "ميشال فوكو" بالادعاء بأنه كان مجنونا عندما ألف كتابه "تاريخ الجنون". كما لا يمكن لأحد أن يفعل الشيء ذاته مع "جون بول سارتر" كونه يهوديا بتأليفه "أفكار حول المسألة اليهودية"، أو أن ماركس، كونه بروليتاريا، لأنه قام بتحليل الاغتراب الرأسمالي في "رأس المال".

إن هذه المؤاخذات التي جاءت في نقاش الحوار منبثقة عن أسلوب واحد ومتشابه، كما كان الشأن بالنسبة إلى المسألة الأولى، وهي حظر النقاش حول ما أقوله: يظنون بأنني لا أملك الشرعية للحديث عن ذلك لأنني أتحدث عن الدين ولست معتنقا له، أو قد لا أعرفه، أو قد أجهل قراءة النص في لغته الأصلية، أو في تطبيقاته الطقوسية.

لكن، من ذا الذي يمكنه القول إن المجنون هو الأليق بالتفكير بشأن الجنون، وأن اليهودي هو الحري بالتفكير في اليهودية، والبروليتاري للتفكير بشأن البروليتاريا؟ أليس حريا بنا أن نفكر بشأن موضوع ما من موقع خارجي، لا تتحكم فيه عوامل معينة، ونكون أقل عرضة للتأثر به؟

أين يكون الإسلام

أما القول بجعلي من الإسلام الراهن موضوعاً للنظر الفلسفي، من خلال تحويل الإسلام إلى دين سياسي مسلّح، وأنني أتعاطى أكثر مع أنماط فاعلة من الدين الإسلامي أو ما يطلق عليه الغرب اسم "الإرهاب" أكثر من التعاطي مع الإسلام في حد ذاته، فإنني أذكر هنا أنني درست، بكل وضوح، الإسلام في حد ذاته واكتفيت أثناء الحوار بذكر القرآن، الأحاديث النبوية للرسول، وحياة محمد، وتاريخ الإسلام، ولا شيء غير ذلك لتجنب، على وجه التحديد، الجدال العقيم، التعاليق وجدال الجدالات وتعاليق التعاليق.

لكن، هنا، أيضا إذا قلتم لي إن القرآن، أحاديث الرسول، والسيرة المحمدية وتاريخ الإسلام لا صلة لها بالإسلام وأن ذلك لا يكفي لفهم الإسلام، فإنني أسألكم ما الذي يمكن استدعاؤه أكثر من ذلك، إذا استبعدنا هذه الدعائم لفهم الإسلام وتجاوزنا جدال الجدالات؟ مرة أخرى، لن يبقى هناك إلا العتب على واقع أنني، لست مسلما، وبالتالي لا أملك الشرعية في التفكير بشأن الإسلام أو الخوض في مسألة من مسائله.

أين، إذن، الإسلام، إذا لم يكن مجسداً في القرآن، وفي الأحاديث، وفي حياة محمد وفي تاريخ الإسلام؟ إذا كان الأمر كذلك، فإن الإسلام، عند ذاك، هو في الخيال المثالي، السماوي، المفاهيمي، الحدسي، وليست له أيّ علاقة مع ما هو عليه في الواقع، من الناحية التاريخية، من الناحية الواقعية ومن الناحية النصية. أما لومي على أنني قد استعنت بمصطلح، معروف في لغة الغرب، غير مبرر تماما، لرفض ما طرحت من حقائق، فكان الأجدر بكم أن تردّوها بالدليل النصي المقنع والمفحم. أما أن تقفوا عند سطحيات المصطلحات، فهذا عذر واه لا يرقى إلى مناقشة علمية لنصوص موجودة. كنت أتمنى أن يذكرني أحدكم بالنص والحجة المقنعة التي ترد "ادعاءاتي" كما تعتقدون.

ما لم أقل

ثم لماذا تعتبرون أن المشكلة التي تتمثل في كوني أدرس النص الديني على أساس موقف بنيوي، ما دمتم غير قادرين على مجادلتي وفق النص الديني وعلى الأساس البنيوي؟

إن إثارة مثل هكذا سؤال، يبرز مرة أخرى، رفض كل ما يأتي من غير المسلمين حتى ولو كان ذلك واقعا. إنني أقبل أن أعاتب على أنني لم أتحدث عما كان يجب أن أتحدث بشأنه، وهو أمر هيّن، لأن ما لم نتطرق له أهم مما تطرقنا إليه. إذن نعم، أنا لم أتطرق إلى الدين الشعبي، علم الدين الإسلامي المسالم، وغيرها من المواضيع، فهل كان يمكنني فعل ذلك دون أن تثار نقطة ما ويثار من حولها السؤال والجدل؟

قد تقولون، أيضا، لماذا لم أتحدث عن عمارة الأندلس والرياضيات والجبر أو "تيمور لنك" الذي هو من أكبر رجالاتكم. فهل تحدثت عن هذه المواضيع حتى تثار مواضيع لم أتطرق إليها. لكن هل ذلك سبب لعدم الرد علميا وبالحجج الدامغة في شأن ما كتبته؟

الإسلام والعنف

وعندما أشرت إلى أن النص القرآني والسيرة النبوية تحمل من التجارب الثورية والعنفية ما يجعل العقل ينبذها، قلتم إن هذا القول يسترعي الوقوف عنده. وقد رد بعض الكتّاب بالقول إن الدين الإسلامي الثوري – العنفي هو ثمرة الاستنقاع التاريخي الذي كان بسبب عناصر معينة. إذ أن المجتمعات الإسلامية والعربية لم تشهد نماذج كالقاعدة وداعش وما شابه ذلك منذ خمسة قرون، رغم أن النص القرآني لا يزال على حاله والتجربة المحمدية كذلك.

أعتقد أن هذا أول طرح أراه يأخذ في الاعتبار ما قلته. إنها حقيقة. ولسبب ما، فإن القرآن لم يتحدث عن الدولة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين، ولكنه في ذلك كله يضع المبادئ التي تتبناها الدولة الإسلامية في القرن الحادي والعشرين. إذن ما الذي يمكننا فعله إزاء تلك المبادئ؟

إن قيادة ومقاتلي "الدولة الإسلامية– داعش" ليسوا أغبياء دون أدنى شك أو أدنى علم أو جاهلين للقرآن، وهو ما تريد الدعاية الغربية إقناعنا به، الدعاية التي لا أقبل بها. إنهم يعرفون النصوص القرآنية جيدا ويجعلون منها منطلقا لفهم ما يقتطعونه من صورا تعطي لهم الحق والشرعية.

إن العنف الثوري للسياق الذي ظهر فيه الرسول والقرآن ليس هو نفسه السياق الراهن، لكن التاريخ هو التاريخ، والنصوص هي النصوص، والأمثلة هي الأمثلة. أجد صعوبة في فهم كيف، في سياق العنف العصري (العنف هو سياق دائم للتاريخ)، أن الهجرة لا تكون كمثال على ما يجب فعله إذا كان السياق عنيفا. الرسول كان محاربا، هو نفسه محارب فاعل، وتاريخه معروف، وقد ذكرت ذلك بنفسي، وسيكون من الصعب عليكم، وشخصية محمد وتاريخه معروفان لدى المسلمين أنفسهم، أن تجعلوا من محمد رجلا يندد بالحرب وعدم قتل عدو الإسلام، هذا الإسلام الذي محمد هو رسوله، لا يمكن أن يكون ديناً يندد بالحرب والقتال لنصرة مبادئه.

مخالفة التاريخ

إذا سلّمت بما جاء في بعض الردود عن مسألة التطرف والإرهاب وأن الإسلام لم يكن إسلاماً سياسيا عنفياً حتى في مرحلة الكفاح ضد الاستعمار الغربي، أو ضد الحركة الصهيونية، وأن الثورة الفلسطينية التي انطلقت عام 1965 ضد حركة عنصرية تتخذ من اليهودية ملاطاً أيديولوجياً، لم تكن هذه الثورة، إسلامية، بل ثورة علمانية تحررية قومية يسارية، رغم وجود النص القرآني، أقول لهم إن كل التاريخ النضالي ضد الاستعمار، في الجزائر، على الأقل، يفنّد هذه المقولة: كان هناك "إسلام سياسي عنيف حتى في الفترة النضالية ضد الاستعمار الغربي"، وهو ما لا ألومكم عليه، لكن لا يمكننا تحوير التاريخ ليتحدث بما ليس فيه.

لإثبات ما أقول، أعود إلى النص الذي نشره "حزب جبهة التحرير الوطني" في ليلة 31 أكتوبر 1954. إنه يشدد على هدف معين وهو "الاستقلال الوطني من خلال إقامة الدولة الجزائرية ذات السيادة، ديمقراطية واجتماعية في إطار المبادئ الإسلامية". وبالنسبة إلى الأهداف الخارجية، تضمّن البيان الإشارة إلى "تحقيق وحدة الشمال أفريقيا في الإطار الطبيعي العربي–الإسلامي". بشأن وسائل النضال، تحدث البيان عن "وفق ما جاءت به المبادئ الثورية وأخذا في الاعتبار الظروف الداخلية والخارجية، فإن مواصلة النضال بكل الوسائل حتى تحقيق هدفنا". "كل الوسائل" ولا تستثني، طبعا، الوسائل العنفية.

فأين الثورة العلمانية التحررية القومية اليسارية التي تتحدثون عنها؟ تمنيت لو أن الحديث عن الثورات التحريرية أخذ منعطفا آخر مستندا إلى التاريخ، وليس بالتجنّي على التاريخ، لأن التاريخ لا ينسى.

دعوني أذكركم، أنه عندما أرادت فرنسا مغادرة الجزائر في 1962 وتولّي "حزب جبهة التحرير الوطني" الحكم، أعلن الإسلام دينا للدولة، العربية لغته الوطنية كما قرر أن قانون الجنسية مؤسس، من الآن فصاعدا، على الأساس الديني لشجرة العائلة إضافة إلى قانون الأسرة الذي يحظر زواج المسلمة من غير المسلم.

الإسلام والماركسية

إن حرب التحرير لم تكن سلمية ودون عنف، والتاريخ شاهد على أن القتل جرى حتى بين المسلمين أنفسهم والذين يكونون، غالبا، من أشد أعدائهم. يسكن قرية ملوزة 303 مسلم هؤلاء أبيدوا عن آخرهم، في 1957 من طرف مسلمي "حزب جبهة التحرير الوطني" بسبب خلاف سياسي مع "الحركة الوطنية الجزائرية"، وفي السنة التي قبلها وقعت عمليات التفجير ضد مقاه في العاصمة الجزائر منها "ميلك بار"، "كافيتيريا"، موقعة عددا كبيرا من الضحايا المدنيين، من بينهم أطفال. وهذا يعني أن الحرب ضد الاستعمار لم تجر أطوارها دون عنف.

> كان الأحرى بالذين قالوا بغياب الجانب الفلسفي في قراءتي للدين وبعض مواضيعه، أن يجيبوا فلسفيا، وليس بصفة الأستاذية في الفلسفة

أنا، هنا، لا ألوم أحدا، ولا أحكم على أحد، بل أكتفي بالإجابة على ملاحظة، لا يمكننا تجاهل الوقائع. هناك ارتباط وثيق بين الإسلام السياسي والماركسية–اللينينة في تلك الفترة، وهي الأيديولوجية التي خلطت الكثير من الأمور ببعضها. من استخدم من؟ التاريخ يبقى للكتابة.

لكن الإسلام والماركسية لم يندد أبدا بالعنف ولم يطالبا باستخدام وسائل غير عنفية، بل دعيا، بوضوح، إلى ذلك. إن الوقائع موجودة والتاريخ أيضا. والشيء نفسه، نجده لدى النضال ضد الصهيونية من طرف الفلسطينيين والذي له علاقة، أيضا، بالسلام. من يمكنه قول إن "حركة فتح" أو "منظمة حزب الله" لا علاقة لهما بالإسلام؟ أو القول بأنهم لائكيون، إن لم يكونوا ملحدين؟

إذا أردنا الشروع في نقاش، يجب على الأقل، إثبات الوقائع– دون الحكم عليها، ناهيك عن التنديد بها.

يكفي، فقط، إثبات الوقائع وعدم إنكار التاريخ. وهو ما يبدو صعبا للغاية.

باريس 28–5–2015

ترجمة: أسماء كوار

> اتهامي بأنني لم أتقن الفلسفة يوما، في حين أنني لم أتقن إلا الفلسفة طول حياتي، هو هدر وافتراء!

ينشر المقال بالاتفاق مع الشهرية الثقافية العربية «الجديد»

سينمائي أيقظ النخبة الفرنسية فأشعلت شرارة ثورة 1968

هنري لانغلوا مؤسس السينماتيك الفرنسية ومفجر الثورة المجهضة

أمير العمري

❏ في التاسع من فبراير 1968 اتخذ أندريه مالرو، وزير الثقافة الفرنسي في حكومة الجنرال شارل ديغول، قرارا مفاجئا ستترتب عليه في ما بعد تداعيات خطيرة، فقد أعلن إقالة "هنري لانغلوا" مدير السينماتيك الفرنسية (دار حفظ الأفلام) التي لعبت دورا كبيرا في ظهور جيل الحركة السينمائية المجددة التي عرفت بـ"الموجة الجديدة" في فرنسا أواخر الخمسينات وأوائل الستينات بل واعتبر سينمائيو تلك الحركة لانغلوا، الأب الروحي، الذي تربوا على يديه، وتعلموا السينما من مشاهدة روائع الأفلام التي كان يعرضها لهم في قاعة "السينماتيك".

كان لانغلوا هو المؤسس الحقيقي للسينماتيك الفرنسية، هو الذي أسسها في الثلاثينيات مع صديقه جورج فرانجو، وأخذ يجوب الكرة الأرضية بحثا عن الأفلام وإنقاذ ما تبقى من أفلام قديمة واستعادتها وترميمها وحفظها في ظروف حفظ مناسبة داخل مقر السينماتيك أو حتى في مخزن بمنزله إلى أن يتم ترميمها، وقد لعب لانغلوا دورا رياديا في غرس فكرة الوعي بتاريخ السينما، فمن دون ذاكرة سينمائية وأرشيف حقيقي يضم أهم الأفلام من الشرق ومن الغرب، ليس من الممكن التأريخ لهذا الفن. وكان لانغلوا هو الذي أنقذ عشرات الأفلام التي تحمل قيمة تاريخية لا تقدر بثمن مثل الفيلم الصامت الأسطوري "نابليون" (1927) للرائد السينمائي الفرنسي، إضافة إلى أفلام أخرى كثيرة في عصر كانت شركات الإنتاج تعتبر الأفلام سلعة "مستهلكة"، وكانت تلقي بها في القمامة بعد أن تنتهي فترة عرضها لكي تصنع غيرها.

وقد كافح لانغلوا أيضا من أجل الإبقاء على السينماتيك حيّة بعد الاحتلال الألماني لباريس وحظر الأفلام الأميركية ونشاط الجمعيات السينمائية. ثم أبقى على السينماتيك وقام بتطويرها بعد التحرير، وجعل من قاعة العرض الخاصة بالسينماتيك التي كانت تتسع لستين مقعدا فقط، قبلة لعشاق الفن السابع من كبار المثقفين الفرنسيين مثل سارتر وسيمون دي بوفوار، ليجير، براك، أندريه جيد، بل وجورج بومبيدو، الذين أصبحوا من المترددين بانتظام على عروض الأفلام الكلاسيكية القديمة التي كان ينظمها لانغلوا.

لانغلوا.. رمز من رموز الثقافة الفرنسية

رجل يتحدى المؤسسة

أصبحت السينماتيك هي لانغلوا، وأصبح لانغلوا هو السينماتيك، ولم يعد المثقفون الفرنسيون من النخبة، يتصورون إمكانية أن ينفصل الاثنان عن بعضهما البعض. كان لانغلوا رجلا نشيطا مليئا بالحماس، وكان يعتبر السينماتيك بيته الحقيقي، ويوليها عنايته القصوى، وكان يكن تقديرا وإعجابا لمجموعة الشباب المتحمسين من نقاد مجلة "كراسات السينما" (كاييه دي سينما) الذين تحولوا في ما بعد ومن واقع إدمانهم التردد على السينماتيك تحت رعاية لانغلوا، إلى مخرجين مرموقين من أمثال جون لوك جودار وآلان رينيه وفرنسوا تريفو ولوي مال وكلود شابرول وأنييس فاردا وإريك روومير.

لكن لانغلوا لم يكن رجلا سهلا، بل كان مقاتلا صلبا ضد التدخل الحكومي الإداري والسياسي في عمله، ولذلك لم يكن وزير الثقافة الفرنسي أندريه مالرو، وهو كاتب وأديب ومثقف، يكن له الكثير من الودّ، بل كان يسعى إلى إقصائه، وقد اتخذ قراره بالفعل في ذلك التاريخ المشؤوم، وعين بديلا له رجلا يدعى بيير باربان كان قد حقق نجاحا في عمله كمدير لمهرجاني تورز وأنيسي، لكن لم تكن أمامه أي فرصة للنجاح في عمله الجديد، فقد جاء ضدّ إرادة المجتمع السينمائي ناشطا في بعض المهرجانات السينمائية، ولم يكن معروفا مثل لانغلوا الذي كان يعتبر بطلا من أبطال الثقافة الفرنسية في حقبة شهدت الكثير من الصراع بين المثقفين التقدميين، والدولة الفرنسية العتيقة وهي تقاوم اندحار عهود السيطرة على مستعمراتها الخارجية في الجزائر وغيرها، وزوال أوهام الإمبراطورية.

ليس معروفا بالضبط طبيعة الصدام المباشر الذي أدّى إلى غضب الوزير على لانغلوا، لكن لانغلوا لم يكن من النوع الذي يمكن أن يقبل بالحلول الوسط، فقد كان مستقلا في تفكيره، متشددا في تمسكه بالأخلاقيات والأهم، أنه كان من الباحثين المتعصبين عن الأفلام، يقوم بتكديسها في بيته، وعندما كانت الغرف تفيض بها كان يضع الفائض منها داخل "البانيو" في حمام شقته الضيقة إلى حين ينقلها ويقوم بتصنيفها في مقر السينماتيك. وكان على استعداد لأن يدافع حتى الموت من أجل حماية أي فيلم يقع في قبضته، كما كان يقف ضدّ منع أي فيلم من العرض، بل يعتبر السينماتيك فضاء حرا خارج سلطة الدولة السياسية، ولم يكن معروفا بالضبط كيف استطاع لانغلوا الحصول على كل ما في حوزته شخصيا من أفلام، يقوم بحفظها ويعتني بها، وكان السينمائيون الفرنسيون يعهدون إليه بنسخ من أفلامهم وهم على يقين من أنه سيقوم بحمايتها حتى النهاية.

> أصبحت السينماتيك هي لانغلوا، وأصبح لانغلوا هو السينماتيك، ولم يعد المثقفون الفرنسيون من النخبة، يتصورون إمكانية أن ينفصل الاثنان عن بعضهما البعض

ظهور مالرو

بعد عودة الجنرال ديغول إلى الرئاسة على إثر انتخابات عام 1959، وتأسيس ما عرف بـ"الجمهورية الخامسة" في فرنسا، قام ديغول بتعيين صديقه القديم مالرو وزيرا للثقافة، وكان مالرو معروفا كأديب مرموق، حصل على الكثير من الجوائز العالمية، وأيضا كضابط شجاع في الجيش الفرنسي حارب ضد النازيين، وكان رمزا للثقافة الفرنسية بشكل عام. وقد أقرّ مالرو خطة لتشجيع صناعة السينما الفرنسية عن طريق منح مساعدات مالية للإنتاج المتميز، وبواسطة هذه المنح والمساعدات التي كانت تقدمها وزارته أمكن ظهور عدد من أهم أفلام الستينات مثل "العام الماضي في مارينباد" لرينيه، و"كليو من 5 إلى 7" لأنييس فاردا، و"شيئان أو ثلاثة أعرفها عنها" لغودار، و"جول وجيم" لتريفو، و"يوميات خادمة" لبونويل، أي أن مالرو كان أيضا "شريكا" -على نحو ما- في التأسيس للموجة الجديدة الفرنسية.

غير أن ما يعرف عن مالرو أنه لم يكن ناجحا في النواحي الإدارية، بل كان يعتمد في تسيير الأمور داخل وزارة الثقافة على مساعديه من أمثال مدير إدارة الفنون بيير مونو الذي قيل إنه نصح مالرو بإقصاء لانغلوا من إدارة السينماتيك. والحقيقة أن لانغلوا نفسه لم يكن إداريا ناجحا، بل كان يعتمد على التحكم الشخصي المباشر وتقريب الموالين له المؤمنين بطريقته وأسلوبه في العمل الذين يقبلون أن يقبض بيده على مقاليد الأمور في السينماتيك، وكانت سريته في ما يتعلق بعمل السينماتيك، سواء بشأن الطرق التي يحصل بها على الأفلام وأين يضعها ورفضه تقديم "كشف حساب" بما ينفقه من أموال السينماتيك، وغير ذلك، من الأسباب التي جعلت مستشاري مالرو في الوزارة، يوحون إليه بأن "لانغلوا" قد أصبح "دولة داخل الدولة"، وأنه ليس من الممكن ترك أمور مؤسسة رسمية تدعمها الدولة، تعتبر رمزا أمام العالم للثقافة السينمائية الفرنسية، في يد رجل واحد، خصوصا لانغلوا، الذي كان يُنظر إليه على أنه رجل بوهيمي، مشعث الشعر، بدين، لا يثق سوى في قدراته وحدها.

وقد بلغ الصدام بين الوزير ولانغلوا ذروته بعد أن قررت الحكومة نقل السينماتيك إلى مقرها الجديد في قصر الشايوه بالقرب من برج إيفل الشهير عام 1963، وتخصيص قاعة عرض أكبر من تلك القديمة في داخله، وتحويل السينماتيك إلى مؤسسة رسمية من مؤسسات الدولة وليست مجرد "بؤرة" لتجمع نخبة من المثقفين. ولكن لانغلوا لم يتجاوب مع تلك النقلة الجديدة، وظل يقاوم توزيع صلاحياته، وإرغامه على الكشف عن مصادره ومقتنياته من الأفلام التي كان يعتبرها كنزه الشخصي. وكانت تلك هي طريقته في النظر إلى الأمور.

غير أن قرار إقالته كان صاعقا، خاصة وأنه تم إخراجه بشكل مهين، فقد تم تغيير أقفال المبنى، لمنع لانغلوا من الدخول، مع الإعلان بشكل غامض، عن الإبقاء على دوره كمستشار، على غرار ما يحدث اليوم في بلادنا عندما ترغب الدولة في التخلص بهدوء من مسؤول كبير يسبب لها الإحراج.

غضب السينمائيين

لكن إقالة لانغلوا لم تمر بهدوء، بل تسببت في إشعال غضب السينمائيين الفرنسيين، فبعد 24 ساعة من إقالته، وقع 24 سينمائيا من بينهم غودار وتريفو وأبيل غانس وروبير بريسون وجون رينوار، عريضة بسحب موافقتهم على عرض أفلامهم داخل ما أطلقوا عليه "الباربينوتيك"، إشارة إلى السينماتيك التي أصبحت تحت رئاسة "بيير باربان". وسرعان ما التحق بهؤلاء سينمائيون من الوزن الثقيل من طراز شارلي شابلن وروبيرتو روسيليني وفريتز لانغ وريتشارد ليستر وكارل درايير وأورسون ويلز وبيري مينزل وجيري لويس. وبعد أربعة أيام أخرى نظم السينمائيون مظاهرة ضمت ثلاثة آلاف شخص في ساحة تروكاديرو أمام قصر الشايوه، اشترك فيها نجوم مثل كاترين دينيف وجان بول بلموندو وسيمون سينوريه وآلان رينيه وجون لوك غودار وفرنسوا تريفو. وقامت الشرطة بتفريقها بالقوة مما أدّى إلى إصابة الكثيرين من بينهم غودار وتريفو وبرنار تافرنييه.

وفي 23 فبراير جمعت إدارة مجلة "كراسات السينما" توقيعات على عريضة احتجاج على إقالة لانغلوا وقع عليها نحو 700 شخص تشمل معظم السينمائيين الفرنسيين وعددا من كبار الكتاب والفنانين، انضم إليهم 100 من السينمائيين والفنانين الأجانب، بينهم أنطونيوني وبرغمان وكيروساوا وساتياجيت راي وبازوليني وأندي وورهول، ولوي بونويل وهيتشكوك وإليا كازان وصمويل بيكيت وترومان كابوت ويوجين يونسكو وبابلو بيكاسو وجان بول بلموندو وبريجيت باردو وكاترين دينيف وجين فوندا وكاترين هيبورن ومارلين ديتريتش وبيتر أوتول وبيتر بروك وتوشيرو ميفون وغلوريا سوانسون، ثم انضمت إليهم الناقدة الأميركية الأشهر بولين كيل، والكاتب نورمان ميللر، والناقد أندرو ساريس، والكاتبة سوزان سونتاغ، وبالطبع المفكر الكبير جون بول سارتر.

اندلاع الثورة

نظمت بعد ذلك عشرات التظاهرات، ووقعت صدامات عديدة مع الشرطة، وأصبح الأمر ينذر بخطر كبير، وتسبب في "فضيحة" دولية لوزارة مالرو وحكومة الجنرال ديغول. وفي 22 أبريل 1968 تراجع مالرو عن قراره بإقالة لانغلوا، لكنه سحب ممثلي الوزارة من مجلس إدارة السينماتيك، وخفض الدعم المالي الذي تحصل عليه من الدولة إلى أدنى مستوى. وهكذا عاد لانغلوا كبطل منتصر يحتفل بافتتاح قاعة جديدة للسينماتيك على الضفة اليسرى لنهر السين في الثاني من مايو 1968، مع إطلاق الصواريخ الملونة. ولكن التمرد كان قد بدأ، وفي اليوم التالي مباشرة، وقعت أولى معارك مايو 1968 في الحي اللاتيني بين الطلبة والشرطة، تبع ذلك هجوم عسكري على مباني جامعة السوربون، وفي العاشر والحادي عشر من مايو تزايدت حدة العنف حيث تمّ إحراق السيارات، كما هاجمت الشرطة حصون المتظاهرين، وتمّ الإعلان رسميا عن إصابة 367 شخصا واعتقال 460 آخرين في يوم واحد هو العاشر من مايو فقط.

وسرعان ما شملت التظاهرات وأعمال العنف عموم فرنسا، وشارك فيها أكثر من عشرة ملايين من الطلاب والعمال، كانوا يتظاهرون ضدّ النظام "البورجوازي" العتيق، والمجتمع "الاستهلاكي" مطالبين بتعديلات جوهرية على نظام التعليم والعلاقة بين العمال وأصحاب العمل. وقد وصلت الاحتجاجات إلى مهرجان كان السينمائي وأدّت إلى إغلاقه في تلك السنة، ثم بلغ الأمر حدّ الثورة التي كادت أن تسقط النظام، قبل أن يتمّ إجهاضها مع إعلان الطوارئ ونزول الجيش إلى الشوارع، ولكنها كلفت ديغول في ما بعد، منصبه، وتحقق الكثير من بعض مطالب الثائرين، والأهمّ أن السينما الفرنسية انتقلت بعدها إلى مرحلة جديدة في تاريخها.

عاد لانغلوا منتصرا إلى بيته في السينماتيك الفرنسية بعد انتصار المثقفين على الدولة

رحلة في متحف الفن والتاريخ

كاسيريس مدينة أسبانية لم يفسدها التمدين

صحيح أن كتب التاريخ تروي قصص الحضارات والإنجازات البشرية على مر الحقبات السابقة، لكن ماذا لو شاهد الإنسان التاريخ أمام عينيه من خلال زيارة المتاحف والآثار القديمة حتى تحفر تلك الحضارات مكانا لها في الذاكرة بطريقة جميلة لا يتشابه فيها كل الزوار رغم احتوائها على نفس المعلومات والتحف والأحجار والتماثيل.

مدينة غربية بحيطان عربية تؤرخ لمجد أندلسي

❑ كاسيريس (أسبانيا) – لا تعد مدينة كاسيريس الأسبانية بالنسبة إلى معظم السياح من الأماكن التي يقبلون على زيارتها، وهذا شيء مؤسف حيث أن هذه المدينة الريفية المنعزلة وهي عاصمة لمقاطعة تحمل نفس الاسم داخل إقليم إكستريمادورا الذي يتمتع بالحكم الذاتي ويقع في المنطقة الغربية من أسبانيا، قد أدرجت في قائمة اليونسكو لمواقع التراث الثقافي العالمي، كما أنها واحدة من أكثر الأماكن في أسبانيا التي تتمتع بالأصالة ولم يفسدها التطور والتمدين.

في هذه البلدة ترك الرومان وراءهم مؤسساتهم كما منحها العرب إرثا من الحصون وأحواض المياه، بينما قامت عائلات النبلاء الأسبانية ببناء أعداد لا تحصى من الأماكن الجميلة. كل ذلك تراكم في مدينة لم يتغير فيها شيء يذكر طوال السنوات. ولا تزال المعالم الثقافية والمباني الباقية في حالة جيدة غير أن الشيء الحقيقي الذي تفتقده المدينة هو أفواج السياح المعتادة، وكونها حظيت بوضع مدينة الثقافة العالمية عام 1986 لم يغير كثيرا من وضعها كموقع جاذب للسياحة. ولا تزال كاسيريس مدينة مهجورة سياحيا إلى حد كبير.

> ترك الرومان في كاسيريس مؤسساتهم كما منحها العرب إرثا من الحصون وأحواض المياه، بينما قامت عائلات النبلاء الأسبانية ببناء أعداد لا تحصى من الأماكن الجميلة

ولا يرجع السبب في ذلك إلى أن المسؤولين المحليين عن السياحة يفتقرون إلى أفكار جيدة حول كيفية اجتذاب الزوار.

ويساعد هؤلاء المسؤولين مجموعة من الأشخاص مثل هيلغا دي ألفير وهي سيدة ألمانية تمتلك قاعة لعرض وبيع القطع الفنية في مدريد. استخدمت دي ألفير عام 2010 جزءا من مجموعتها الفنية لافتتاح مركز للفنون البصرية حمل اسمها، وحتى ذلك الحين كانت كتل الأحجار هي البقايا الثقافية الرئيسية الموجودة في أنحاء كاسيريس، أما الآن فقد اشتهرت قاعة عرض الأعمال الفنية بعرض أعمال مشاهير الفنانين العالميين مثل بابلو بيكاسو والرسام الصيني آي ويوي.

وهذه السيدة التي اشتهرت بجمع القطع الفنية ليست هي الشخص الوحيد الذي يحاول أن يحرك صناعة السياحة في كاسيريس، ففي عام 1994 أنفقت الحكومة المحلية أموالا كثيرة لترميم متحف فوستل بضاحية مالبارتيدا التي تقع بالقرب من المدينة.

وتزدان منطقة المتحف والحديقة المجاورة له بأعمال فنية غير عادية من تصميم الفنان الألماني المولد والمقيم حاليا بمدينة كاسيريس وولف فوستل إلى جانب أعمال الفنان أنطونيو ساورا وسلفادور دالي.

وفتحت مؤسسة مرسيدس كاليس كارلوس بالستيرو قصر دي لوس بيسيرا في عام 2006. ومنذ ذلك الحين أصبح في وسع الزوار المستنيرين أن يحصلوا على متعة مزدوجة لقدرتهم على مشاهدة أحد قصور المدينة من الداخل إلى جانب الاستمتاع بمجموعة القطع الفنية المعروضة في أعلى طابقين.

وهذه فرصة للاستمتاع الفني ذات مستوى عال من المرجح أن توجد في المتاحف ذات الشهرة العالمية مثل متحف برادو وهو المتحف القومي الأسباني الذي يقع في قلب مدريد، وقد اجتذبت هذه المؤسسة بالفعل محبي الفنون من جميع أنحاء أسبانيا لمشاهدة معارض فنية متخصصة في أعمال موريللو ورمبرانت وأندي وارهول.

وتم افتتاح العديد من قاعات عرض وبيع الأعمال الفنية خلال الأعوام الأخيرة، كما تحفل مقاهي الشوارع بفعاليات أدبية مثل القراءة الحية للأعمال الأدبية باللغة الأسبانية التي يقوم بها أعضاء مجموعة من المؤلفين الأسبان.

وتتيح مجموعة كبيرة من المطاعم المحلية مثل مطعم مادرولو أو فندق أتريو ريليس آند تشاتو الجديد الذي يوجد بداخله مطعم حاصل على نجمتين من دليل الطهي العالمي أطعمة عصرية ومبتكرة تقوم على منتجات تمت زراعتها محليا.

ومنذ عامين اشترك فريق يضم نحو عشرة ممثلين مع مجموعة من المرشدين السياحيين بالمدينة لعرض جولات بديلة في كاسيريس.

وأحد هؤلاء الممثلين يدعى فيسنت رودريغيز الذي ارتدى ثياب الشعراء والعرافين في العصور الوسطى بأوروبا، ويقوم بانتظام باصطحاب المجموعات السياحية من ميدان مايور الرئيسي عبر قوس دي لا إستريلا الذي يعد مدخلا من خلال أسوار المدينة إلى متاهة من الأزقة الملتوية الصامتة.

ويخبر فيسنت الزوار بمعلومات عن التحصينات الجبارة للمغاربة التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر وبأبراج بوياكو الحصينة التي اشتق اسمها من الخليفة "أبو يعقوب" الذي استولت جيوشه على المدينة عام 1173.

ويصف فيسنت الصراع الوحشي والدموي لحرب الخلافة القشتالية في القرن الخامس عشر والتي أمرت خلالها الملكة إزابيلا الأولى ملكة قشتالة بأسبانيا بتدمير الأبراج التي شيدها الأتباع الأرستقراط لغريمتها جوهانا إبنة الملك هنري الرابع.

كما يصطحب فيسنت الزوار إلى داخل الأزقة الضيقة بالحي اليهودي القديم لمشاهدة كنيسة سان أنطونيو والتي كانت في السابق معبدا يهوديا، ويبدو في كاسيريس أن ثمة طبقات من التاريخ تكمن وراء كل حجر بل وحتى الأسبان أنفسهم يشعرون بالدهشة الشديدة من الأشياء العجيبة التي يرونها في هذا المكان.

■ للسياح آراء

سيدة بشوات العجائبية مركز الأديرة والكنائس في لبنان

❑ بشوات (بيروت) – يطلقون عليها اسم "سيدة بشوات العجائبية"، لأنها "تشفي المرضى وتصنع العجائب"، وقد تحول مزار العذراء مريم هذا في شرق لبنان إلى نقطة استقطاب لعدد كبير من زوار هذا البلد المتعدد الطوائف والأديان الذي يسعى إلى تطوير السياحة الدينية.

وتقع بلدة بشوات غربي مدينة بعلبك، 16 كيلومترا شمالي غرب بلدة دير الأحمر، على تلة هادئة تزدان بأشجار السنديان، وترتفع عن سطح البحر 1300 متر، وتبعد عن بيروت عبر طريق ضهر البيدر مئة كلم.

وتعود تسمية سيدة بشوات إلى قديس مصري اسمه أنبا بيشواي، سكن ديراً بناه اليعقوبيون مكان الكنيسة القديمة، وفق ما أكد كاهن الرعية الأب سمعان فيلمون.

واشتهرت البلدة بوجود كنيسة للسيدة العذراء، وقد جرى العرف في الشرق أن تزرع شجرة سنديان قرب الكنيسة بالتزامن مع بنائها لتكتب عمرها وتكون رمزاً لها، وقد بيّن الخبراء الزراعيون أن السنديانة المحيطة بالكنيسة في البلدة يتجاوز عمرها الألف عام.

وتنتشر بكثافة الأديرة والكنائس والمزارات المسيحية في بلد يبقى معقلا للمسيحيين في العالم العربي، رغم تضاؤل عدد هؤلاء وتحول المسلمين فيه إلى أكثرية.

وشهدت العديد من العجائب والظهورات، وتحولت بفعل ذلك إلى مزار تاريخي لملايين المؤمنين من المسيحيين في العالم، وآلاف المسلمين الذين وجدوا فيها مركزاً إيمانياً يرجون منه علاجاً من مرض جسماني أو نفساني أو حلاً لقضاياهم.

● **ماري كيروز صاحبة محل بيع تذكارات:** في الماضي، كانت السياحة في منطقة البقاع تقتصر على بعلبك وزحلة. وكنا نحن منسيين تماما. وتوسعت شهرة "سيدة بشوات" المميزة بفستانها الأزرق الغامق المرصع بالنجوم الذهبية، لتشمل كل لبنان وخارجه منذ 2004 حين تحولت إلى "مركز حج" مقصود بعد شهادات عدة راجت حول "عجائب" أتتها وأدت إلى شفاء المرضى.

وتعتبر الأديرة التي عاش فيها رهبان وراهبات أعلنتهم الكنيسة الكاثوليكية قديسين من لبنان، وهم شربل والحريديني ورفقا، من أبرز مراكز الحج المسيحي.

● **المطران سمير مظلوم:** إن وادي قنوبين أو وادي قاديشا في الشمال، المعروف أيضا لدى العامة بـ"وادي القديسين" هو مركز تاريخي مهم جدا بالنسبة إلى مسيحيي الشرق. مسيحيو لبنان يشكلون قوة وملجأ بالنسبة إلى المسيحيين في العالم العربي. الموارنة الأوائل الذين قدموا إلى لبنان من سوريا في القرن الخامس كانوا يختبئون في مغاور الوادي المحفورة في الصخور هربا من الاضطهاد. وكذلك البطاركة الموارنة الذين لعبوا دورا مهما في تاريخ لبنان.

● **غيلبرت الأميركي من أصل لبناني:** الوادي رائع. إنه لبناني بامتياز. يشعر المرء هنا بالانتماء، وليس الوضع كما في الولايات المتحدة. الشعور الديني يستيقظ هنا حيث يمكن سماع صوت جرس الكنيسة والاستمتاع بالطبيعة في الوقت نفسه. وفي لبنان أيضا مراكز حج إسلامية عديدة، بينها مقام الست خولة بنت الحسين الذي يقصده حجاج شيعة، ومقام النبي إيلا في أبلح ومزار النبي شيت في بعلبك (شرق)، وموقع خلوات البياضة للدروز شرق بيروت.

■ أين تذهب

وهران الأساطير والحقائق

❑ وهران (الجزائر) – تقع مدينة وهران في شمال غرب الجزائر وتقبع المدينة فوق سلسلة جبلية تعانق شواطئ المتوسط، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أسطورة يرويها سكان المدينة.

تقول الأسطورة أن اكتشاف المدينة كان في القرن السابع الميلادي على يد تاجر كبير كان متجها بسفينته نحو الأندلس إلا أن سوء الأحوال الجوية منعه من ذلك حيث تعرضت سفينته إلى التدمير بفعل أمواج البحر العاتية، فلم ينج من هذه الحادثة إلا وحده وقذفته الأمواج إلى ساحلها، فوجد شبلين صغيرين بجانب صخرة كبيرة كانت قد سقطت على أمهما فاخذهما ورباهما وعاشوا معا (بحسب الأسطورة) وسميت بوهران نسبة للشبلين الصغيرين (الوهر هو اسم من أسماء الأسد).

وتتميز هذه المدينة بجمالها الفتان ومناظرها الساحرة التي لم تطأها يد الإنسان بعد. فرغم تطور المدينة سنة بعد سنة ورغم التطور الاقتصادي والصناعي إلا أن بعض المناطق البكر لازالت تعاني من الإهمال، فلم تجد من يهتم بها ويحسنها ليجعلها قبلة عالمية للسياحة.

قلعة سانتا كروز تعانق مرسى وهران

ومن أهم الآثار الموجودة في المدينة قلعة –سانتا كروز– وهي عبارة عن قلعة كبيرة تقع في أعلى جبل في المدينة وهو جبل –مرجاجو– بناها الأسبان في القرن الخامس عشر لحماية المدينة.

وهذه القلعة مربوطة مباشرة بالمرسى –الميناء حاليا– عبر أنفاق ومتاهات من الصعب تجاوزها وتشهد هذه القلعة توافدا كبيرا للسياح لمعرفة خباياها وأسرارها الغامضة خاصة في فصل الصيف.

ومن المعالم التاريخية لهذه المدينة قصر الباي حيث يقع هذا القصر الرائع قرب الميناء أي قرب جبل مرجاجو، ويحتوي على معالم تاريخية رائعة فهو عبارة عن قصر وقلعة وحصن في آن واحد.

> قصر الباي من معالم وهران الشامخة يحتوي على آثار تاريخية رائعة فهو عبارة عن قصر وقلعة وحصن في آن واحد

ولمدينة وهران شواطئ رائعة وخلابة أجملها وأشهرها شاطئ مداغ الذي يتميز بطبيعته العذراء، وكل من زار هذا الشاطئ فتن بسحره وجماله.

وينظر إلى شاطئ مداغ على أنه أجمل من شواطئ هاواي والكاريبي، وفي وهران تطورت موسيقى الراي و خرجت إلى العالم، و تدور فيها أحداث رواية ألبير كامو، الوباء (سنة 1947). من أشهر أبنائها الشاب خالد، وبشكل عام تعتبر مدينة وهران عروسا متوسطية فاتنة.

■ مواعيد سياحية

◄ **أوروبا الوجهة المفضلة للإماراتيين**

■ ثلاثة أرباع سكان دولة الإمارات يخططون للسفر إلى الخارج هذا الصيف هرباً من حرارة الطقس، وقد مثلت الدول الأوروبية الوجهة المفضلة لديهم لقضاء عطلاتهم. وتقول استطلاعات إن أكثر من الربع سوف يقصدون أوروبا مرة واحدة على الأقل خلال موسم العطلات بين شهري يونيو وأغسطس.

◄ **ليلة غير تقليدية في منزل فقير في اليابان**

■ نجحت اليابان في استغلال الفقر لترويج السياحة بها، فاستغلت المنازل الصغيرة في الأحياء الشعبية، والتي لا تستوعب أكثر من سرير وبعض أغراض الشخص الساكن بها في مشروع سياحي ضخم نجح في الترويج لسياحتهم بشكل كبير، فهيئت هذه الأماكن لاستقبال السياح وقضاء ليالٍ غير تقليدية بها كنوع من الترفيه.

◄ **الواي فاي مجانا للسياح في الهند**

■ لن يقلق أو يخاف السياح بعد الآن من سحب باقة الإنترنت على هواتفهم الذكية، ولن يحتاجوا إلى الاشتراك في أحد خدمات التجوال باهظة الثمن، بل سيتمكن المستخدمون من التمتع بواي فاي مجاني والتقاط "السيلفي"، بعد أن قررت الحكومة الهندية دعم "تاج محل" بتقنية "الواي فاي"، في محاولة لتنشيط السياحة بالهند وجذب عدد أكبر من السياح لزيارتها.

◄ **اليونان تطمئن السياح**

■ سارعت اليونان التي تكافح لحماية إحدى النقاط المضيئة القليلة في اقتصادها إلى طمأنة السياح بأن عطلاتهم لن تمس بفعل القيود المفروضة لحماية النظام المصرفي المترنح. وكانت الحكومة أمرت البنوك بإغلاق أبوابها، وفرضت قيودا رأسمالية مع اقترابها من التخلف عن سداد الديون وسط مواجهة مع الدائنين الدوليين الذين يمولون اليونان.

◄ **ارتفاع فاتورة خسائر تونس السياحية**

■ توقعت وزيرة السياحة التونسية، أن يخسر اقتصاد بلادها في 2015 مليار دينار، أي أكثر من 515 مليون دولار، بسبب تأثيرات هجوم دموي على فندق بمدينة سوسة، قائلة "ليس بإمكاننا إعطاء رقم محدد حول الخسائر المحتملة، لكن يجب أن نحتسب نقصا بمليار دينار على الأقل في الناتج المحلي الإجمالي لهذا العام".

الإنترنت تجيب عن جميع أسئلة زماننا

دعوة إلى استقلال الفضاء الافتراضي لخدمة الانسانية

مع النمو الهائل في إمكانية الوصول إلى تكنولوجيات الإنترنت خلال السنوات الأخيرة، زادت الفرص لإثراء المعارف والنقاشات، لكن يبقى السؤال المطروح هل ستكون المجتمعات محصنة من قمع الشبكة العنكبوتية من قبل المنظمات والاجهزة الاستخباراتية؟

ضرورة النضال من أجل مبدأ الحرية في الشبكة العنكبوتية كما في الواقع

❏ **لندن**- الإنترنت الطوباوية هي أيديولوجيا تقوم على أساس أن التقدم في العلوم والتكنولوجيا سوف يؤدي في نهاية الأمر إلى إقامة المدينة الفاضلة أو على الأقل المساعدة على تحقيق إحدى قيمها المثالية، لذلك فإن المدينة التكنولوجية الفاضلة هي مجتمع مثالي افتراضي في مستوى القوانين، والحكومة، والظروف الاجتماعية، وينحصر هدف إقامتها على تحقيق الرفاه لجميع مواطنيها باعتماد العلوم والتكنولوجيا المتقدمة التي سوف تسمح بإقامة هذه المعايير المعيشية المثالية في الواقع.

إلا أن صحيفة الغارديان البريطانية اعتبرت، في هذا السياق، أن الإنترنت الطوباوية هي عبارة عن رجل قش وسط البراري الممتدة، معتبرة أن إعلان جون بيري بارلو حول استقلال الفضاء الإلكتروني هو عبارة عن قطعة منمقة من خطاب يتبنى رؤية لمجتمع العقل، بعيدا عن دوافع حكومات العالم الصناعي.

بالمقابل يرى بعض مستخدمي الإنترنت الطوباويين، أن الوقت قد حان لتسليط الضوء على رجل القش، وحرق الحقل بأكمله.

ولا يمكن في هذا الإطار دراسة المسألة برمتها دون المرور على إعلان بارلو المعروف بـ"إعلان استقلال الفضاء السيبرني"، وهو عبارة عن مقال مبكر مؤثر حول قابلية تطبيق (أو غياب) فرض حكومة على عالم الإنترنت الذي يشهد نموا سريعا. وقد كتبه جون بيري بارلو، مؤسس مؤسسة الحدود الإلكترونية، سنة 1996. ولم يكتب بارلو الإعلان لأنه لا يمكن أن يتصور كيف يمكن للدولة أن تفرض سلطتها على الناس من خلال شبكة الإنترنت، بل تمت كتابة الإعلان للرد على سلسلة من غارات عملاء الأف بي أي وعمليات الاستيلاء غير المبررة قانونا على الخدمات العامة للبريد الإلكتروني للأشخاص.

> المقصود بالطوباوية ليس الاعتقاد أن الإنترنت تم تصميمها للتمتع بجميع الحقوق ، بل يكون الناس طوباويين لأنهم مرعوبون من مسألة المراقبة والتتبع على الإنترنت

الإعلان ليس بيان لحقيقة ثابتة، إنه دعوة لحمل السلاح -وهو بمثابة وصف لما ينبغي الاستعداد إليه- وليس ما يمكن أن يحدث تلقائيا.

لكن إعلان بارلو لم يكتمل، فقد كان الإعلان جزءا من مشروع سياسي واسع، والذي تعهد بإتمامه كل من بارلو، وجون غيلمور، وميتش كابور، الذين أسسوا مؤسسة إلكترونيك فرونتيار فاونديشن، وهي منظمة للحريات المدنية التي بلغت 25 سنة هذا العام. وكانت مهمة المؤسسة استخدام القانون، والسياسة، والرموز والمعايير للتأكيد على أن الحريات التي كانت تشغل البشر في عالم ما قبل الإنترنت يجب أن تبقى على حالها حتى وإن انتقلوا إلى العالم الافتراضي.

ويعمل الناس لصالح هذه المنظمات، فقط لأنهم الطوباويون. والمقصود بالطوباوية هنا ليس الاعتقاد أن الإنترنت تم تصميمها للتمتع بجميع الحقوق دون أدنى مشكل، بل يكون الناس طوباويين لأنهم مرعوبون من مسألة المراقبة والتتبع على الإنترنت، فالعمل سويا من أجل تغيير الإنترنت وتحديد الشكل الذي ستصبح عليه، يعتبر من أكثر الأمور طوباوية.

وهناك العديد من المعارك الأكثر أهمية من الصراع حول كيفية تنظيم شبكة الإنترنت، مثل المساواة في العرق أو التمييز بين الجنسين أو الميول الجنسية، وغيرها من الهموم المعاصرة التي هي أهم بكثير من الصراع على قواعد الشبكة العنكبوتية. إلا أنه لا يمكن إغفال أن شبكة الإنترنت أصبحت الجهاز العصبي للقرن الحادي والعشرين، فهي تكمن في الأسلاك المعلقة وفي الأجهزة التي تصحب الناس في تنقلاتهم، بل إنها موجودة في الأجهزة المزروعة في أجسام البشر. إنها موجودة في نسيج الخدمات الحكومية، ونظم الحرب والقتال، وفي منظمات المجتمع المدني، في الشركات الكبرى والمنظمات الاجتماعية للمراهقين وتجارة الباعة المتجولين في الأسواق. إذا كيف يمكن للفرد الانتصار أو الهزيمة في معاركه العصرية التي عددناها سابقا دون إنترنت حرة ونزيهة ومفتوحة.

الإنترنت ليست المعركة الأهم، لكنها الأكثر تأسيسا. وتبقى أكثر الأسئلة الملحة اليوم من نوع كيف يمكننا إنقاذ الكوكب من أزمة المناخ؟ وماذا نفعل لمشكلة إزدراء النساء، والتمييز العنصري والعنف الذي تمارسه الشرطة، والخوف من المثليين؟ وكيف نتحقق من مراقبة الإعلام واتساع سلطة الدولة؟ وكيف يمكننا إسقاط الأنظمة الاستبدادية، والتعاطي مع حقوق الإنسان دون أن يتسبب ذلك في الفوضى والمأساة؟

وأي اقتراح إصلاح لهذه المسائل دون استخدام الإنترنت، يكون مقترحا غير جاد بالمرة. وإذا رغب الناس في تحرير الإنترنت لاستخدامها في كل هذه المعارك، فسيجدون أنفسهم أمام ربع قرن من نضال المستخدمين الطوباويين للإنترنت.

وهذا ما فعله طباويو الإنترنت، لقد اختلقوا مناقشة معيارية حول مخاطر الإنترنت "الشريرة" وقوة الإنترنت الجيدة. وهذا أمر ضروري، لكنه غير كاف، لتحديد مشاكل الشبكة.

تصفح أمازون باستخدام الصوت يهدد أبل سيري

❏ **واشنطن** - أصدر موقع أمازون لمراقبة الصوت، نظام أليكسا، وهو عبارة عن نظام للتحكم الصوتي وتشجيع جميع المشتركين من الهواة لإدراجه في مشاريعهم القادمة.

ويعتبر أليكسا منافسا لأبل سيري، ومايكروسوفتكورتانا، وغوغل ناو، والذي كان في السابق متاحا فقط في تطبيق توجيه الأوامر الصوتية لأمازون، ولكن انتشار ذلك على نطاق أوسع يمكن أن نراه في نظام أمازون كيندل، والحاسوب اللوحي ومنتجات أخرى.

وتأمل الأمازون أن تتمكن من إغراء المطورين لاستخدام أليكسا ضمن تطبيقاتهم.

وكشف موقع أمازون أنه بالفعل استثمر مبلغا لم يكشف عنه في سبع شركات، التي تستخدم أيضا تطبيقات حول الطبخ، وأدوات اللياقة البدنية، واللعب، ونظام المراقبة المنزلية، ووحدة تحكم في باب المرآب والتحكم في السيارة عن طريق الصوت، وكلها تتم بواسطة تطبيق أليكسا.

ولكن أمازون لا يأمل في استمالة الشركات والمطورين التجاريين فحسب، ولكن القراصنة والهواة أيضا.

وقال جريج هارت نائب رئيس خدمات صدى الصوت ونظام أليكسا في موقع أمازون "إننا نقدم عدة مهارات أليكسا، بحيث تكون متاحة لأي مطور، أوصانع، أو هاو يريد أن يخترع نيابة عن المستهلكين، وخلق مهارات وقدرات جديدة".

واصطف عدد من الشركات البارزة للحصول على هذا التطبيق من ذلك شركة أميركا أون لاين، وستوب هوب، وغليمبسي. وبالنسبة لموقع أمازون، كلما ازداد عدة مستخدمي نظام أليكسا، كلما كان ذلك أفضل للحصول على المزيد من القدرات التي سوف يكسبها.

وسوف تنتفع منتجات أمازون منتجات أمازون الخاصة أكثر من أي طرف. وسوف يكون صدى صوت المتكلم (إيكو سبيكر) قد كسب المزيد من الروابط إلى المزيد من التطبيقات والخدمات التي يستخدمها أمازون لمحاولة تنزيلها إلى إنترنت الأشياء المتصلة بالمنزل. وتتبع أمازون نهجا مختلفا عن معظم شركات التكنولوجيا التي تحاول إدراج أنظمتها للتحكم في الصوت إلى العالم الجديد من إنترنت الأشياء. على سبيل المثال، تتيح أبل للمستخدمين التحكم في أجهزة المنزل المرتبطة بالإنترنت عن طريق استخدام تقنية سيري، ولكن عن طريق أي فون، أو آي باد.

بالنسبة لأمازون، يكمن مستقبل نظام أليكسا في إنترنت الأشياء، ولكن من المرجح أن يتم إدراجه في أجهزة الحاسوب اللوحي، والهواتف الذكية وأجهزة القراءة الإلكترونية، تماما مثل سيري.

الأنظمة البديلة تحررك من قيود أندرويد

❏ **برلين** - على الرغم من الوظائف والمزايا العديدة التي يوفرها نظام تشغيل غوغل أندرويد، إلا أنه ينطوي على عيب، يتمثل في عدم توافر ميزة سحب الحقوق من التطبيقات. فإذا رغب المستخدم في تنزيل أحد التطبيقات، فإما أن يقبل بشكل كامل جميع الحقوق، التي يطلبها التطبيق، أو يتخلى عن تنزيل التطبيق على الإطلاق.

ويمكن للمستخدم التحرر من هذه القيود عن طريق تثبيت أحد أنظمة التشغيل البديلة لنظام أندرويد "كاستم رام" على الهاتف الذكي أو الجهاز اللوحي المزود بنظام غوغل.

وبالإضافة إلى ذلك، تعمل أنظمة التشغيل البديلة لأندرويد على حل أي مشكلة بسبب عدم توافر تحديثات أندرويد للهاتف الذكي الخاص بالمستخدم. كما يمكن الحد من قدرة تطبيقات غوغل، التي يتعذر إزالتها في نظام أندرويد العادي، في جمع بيانات المستخدم.

وتتوفر أنظمة مجانية يمكن تثبيتها على مختلف الأجهزة الجوالة.ينصح الخبراء باستعمال نظام تشغيل بديل واحد فقط، حتى بالنسبة للمبتدئين، ألا وهو نظام تشغيل "سيانوغين مود" المتوافق والمستقر للغاية، ويتوافر هذا النظام لسلسلة كاملة من أجهزة أندرويد.

وعندما يرغب المستخدم في معرفة ما إذا كان موديل هاتفه الذكي موجود ضمن الأجهزة، التي يدعمها نظام التشغيل البديل "سيانوغين مود (سي ام)"، فإنه يتعين عليه البحث بدقة، نظرا لأنه يجب أن يتطابق اسم نوع الموديل تماما.ويستفيد المستخدمون الجدد من نظام "سيانوغين مود" المناسب للاستخدامات اليومية من المنتدى النشط والفعال والمستندات الواسعة في موسوعة ويكي الخاصة به، بالإضافة إلى الكثير من الإرشادات والتعليمات على شبكة الإنترنت. بالإضافة إلى توافق تصميم واجهة المستخدم مع التصميم المعتاد لشركة غوغل، إلا أنه يمكن تخصيصها بدرجة كبيرة لتتواءم مع رغبات واحتياجات المستخدم.

وعلى الرغم من أن عملية تثبيت نظام "سيانوغين مود" تتم حاليا بمنتهى السهولة، إلا أن الأمر لا يخلو من بعض المخاطر، حيث يؤدي تثبيت نظام التشغيل البديل إلى إلغاء حقوق الضمان.

ولذلك فإنه يُفضل إجراء عملية التغيير على الأجهزة القديمة، التي لم يعد يتوافر لها أية تحديثات. ويقوم نظام "سيانوجين مود" بجمع إحصائيات المستخدم مع إخفاء الهوية، وهو ما يتيح إمكانية تعطيله دون مشاكل.

جديد التكنولوجيا

❏ شركة "مايكرو فيوتشر" تطلق تطبيقا جديدا لنظام التشغيل أندرويد، يحمل اسم "اختبارات السياقة"، ويهدف لمساعدة المستخدمين على تعلم قيادة السيارات دون معلم. وأوضحت الشركة أن التطبيق الجديد المجاني يتيح للمستخدمين اختبار ومراجعة المعلومات دون الحاجة لكتب أو ملفات، في أي وقت وأي مكان دون إنترنت. حيث يحتوي تطبيق "اختبارات السياقة" على 9 نماذج أسئلة لنوع الرخصة الخصوصي، و 4 نماذج أسئلة لنوع الرخصة الشحن، ونموذج لنوع الرخصة العمومي.

❏ شركة تطوير برمجيات مغربية تطلق تطبيقا جديدا لنظام التشغيل أندرويد يتيح للمستخدمين التحدث مع الروبوت الذكي "ايفا" على نحو طبيعي وسلسل، وذلك على غرار فيلم "إكس مشينا". وأوضحت شركة "سايو"، أن التطبيق يستعمل تقنية الذكاء الاصطناعي للتفاعل مع المتحاور على نحو متطور مما يمنح المستخدم انطباعا وكأنه يحاور إنسانا آخر. و يحمل التطبيق اسم "تشات روبوت ايفا"، ويوفر للمستخدم إمكانية الخوض في عدة مواضيع، في مجالات الفلسفة، والعلم، والاجتماع، "وكأنك تتحدث إلى صديقك".

❏ أبل تطلق رسميا تحديث جديد لنظام "أو إس إكس" لأجهزة ماك، ويحمل التحديث رقم الإصدار 10.10.4، والذي يقوم بتحسينات في الأداء، ويصلح بعض الأخطاء. ويحسن التحديث من دقة شبكات الإنترنت، ويحسن كذلك من دقة أداء أداة "ميغرايشن اسيستنت" التي تساعد على نقل البيانات من حاسوب آخر، سواء كان يعمل بنظام "أو إس إكس" أو نظام ويندوز، ويعالج خطأ كان يمنع بعض الشاشات الخارجية من العمل بشكل جيد.

❏ خمسة فرنسيين مكفوفين يجتازون كليا او جزئيا منطقة فوج شرق فرنسا من دون اي مساعدة بشرية تقريبا مستعينين بعصاهم البيضاء وبجهاز مبتكر عامل بنظام التموضع العالمي (جي بي اس) من شأنه السماح في المستقبل بتحسين الحياة اليومية لملايين المصابين باعاقات بصرية حول العالم. ويحمل الهاتف الذكي المستخدم كجهاز "جي بي اس" داخل جيب على الصدر، كما يعطي ارشادات مستمرة لحامله عن المنعطفات والمفارق على الطريق.

❏ مايكروسوفت تعلن أن مستخدمي نظام التشغيل ويندوز 7 و8 يمكنهم تحديث حواسبهم إلى الإصدار 10 من نظام التشغيل المتوقع طرحه نهاية شهر تموز/يوليو مجاناً. وبعد أن يتم إطلاق نظام مايكروسوفت ويندوز 10 في 29 تموز/يوليو الجاري سيضطر المستخدم إلى مواصلة العمل بالنسخة التجريبية ، وعليه أن يقبل مثلاً بتسجيل الأخطاء وإرسالها إلى شركة مايكروسوفت. وأوضحت الشركة الأميركية أن النسخة التجريبية المعنية قد تشتمل على أخطاء في بعض الأحيان، كما أنها لا تعمل بشكل مستقر، كما هو متوقع.

رياضة التاي تشي حركات خفيفة ترفع اللياقة وتليّن التيبس العضلي

نشاط يتناسب مع كل الأعمار والكثير من الحالات الصحية المضطربة

تعد رياضة التاي تشـي من الرياضات الخفيفة التي تجمع بين لياقة الأعضاء وليونتها وبين التأمل والاسـترخاء، وهي جملة من التمارين العضلية التي تهدف لتخليص الجسد من الشد بشكل مشابه لتمارين الأيروبيك. وقد بدأت كنوع من الرياضات القتالية أصلا ثم تطورت كنظام لتحسين القدرات الجسدية والعقلية معا.

❑ **لندن** – تتلخص تمارين التاي تشي في سلسلة من الحركات البطيئة والهادئة وبين تقنيات معينة من التنفس ووقت من التأمل، الذي يسمى أحيانا التأمل الحركي.

ويقول المدربون أن ممارسة التاي تشي لا تستدعي تمتع الجسم بلياقة عالية لأن تمارينه بسيطة وتناسب كل الأعمار وهي تعتبر مثالية لكبار السن الذين يريدون زيادة مستويات نشاطهم بشكل لطيف وتدريجي. بالإضافة إلى ذلك، فإن العديد من حركات التاي تشي يمكن أن يتكيف معها حتى الأشخاص الذين يعانون من الإعاقة، بما في ذلك الذين يستخدمون الكراسي المتحركة.

وتعتبر تمارين هذه الرياضة منخفضة التأثير، مما يعني أنه ليس هناك ضغط كبير على العظام والمفاصل وبإمكان معظم الناس القيام بها.

وهناك بعض الأدلة على أن التاي تشي يمكن أن تحسن حركة الكاحل والفخذ والركبة لدى الأشخاص المصابين بالتهاب المفاصل الروماتيزمي. ومن غير المرجح أن يسبب هذا النشاط أي إصابات في حال القيام به بشكل صحيح.

> تمارين التاي تشي تزيد فعالية النشاط البدني لدى المرضى الذين يعانون من قصور مزمن في القلب

وتتفرع التاي تشي إلى عدة أنماط، مثل اليانغ والتشن والوو. ويقوم بعض المدربين في كثير من الأحيان بممارسة مزيج من الأساليب كلها في نفس الحصة الرياضية. وتكمن الاختلافات الرئيسية بين مختلف أساليب التاي تشي في سرعة الحركة وطريقة ثبات الجسم في وضعية معينة.

ويتم الانتقال بسلاسة من أسلوب إلى آخر وتنتهي العديد من الحركات بثني الركبتين في وضع القرفصاء.

وأظهرت الدراسات أن ممارسة التاي تشي تحفز سريان طاقة الجسم مما يشعر الشخص بحالة أفضل من الحيوية والنشاط وتحسن الحالة المزاجية.

وتساعد سلسلة التمارين في تحسن القوة العضلية والحركة والتوازن وليونة الجسم وتخفيف الألم والتيبس وتقليل التعرض للسقطات وتؤدي إلى حالة أفضل من التركيز والهدوء بشكل عام.

وأثبتت البحوث التي أجراها معهد أوريغون أن من مارسوا التمارين لمدة 6 أشهر كانت لديهم تحسنات في القدرة العضلية والتوازن ضعف أولئك الذين لم يقوموا بها. وتوصل الباحثون إلى أن التاي تشي خفض إلى حد كبير من الخوف من السقوط لدى كبار السن والذي يعزى لتحسن عضلات وأعصاب الكاحل وأسفل القدم. كما أصبح للممارسين القدرة على القيام بأنشطة معتدلة أو قاسية دون مشاكل.

وأكدت التقارير أن المواظبة على هذه الرياضة طوال ثلاثة أشهر ساعد كثيرا على التخلص من التيبس بالمفاصل.

وحسب الإحصاءات حسنت التاي تشي من نوعية النوم ومدته وقللت من مشاكله واضطراباته.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الرياضة هي فن من الفنون القتالية القديمة المشهورة في الثقافة الصينية ويعود إلى ما يزيد عن 2000 عاما ثم أصبح لاحقا إحدى أكثر الألعاب شعبية في الصين، ومنها انتقلت إلى العالم ابتداء من القرن العشرين.

تمارين التاي تشي مستوحاة من حركات الطيور والحيوانات

ويسمح التاي تشي بتقوية العضلات وزيادة ليونة المفاصل وتخفيف الضغط، ولم يعد يستعمل لمجابهة الأعداء.

ويشار إلى أن اسم الرياضة يعني باللغة الصينية "القوة العليا المطلقة". وفي الثقافة الصينية ارتبط مفهوم القوة العليا المطلقة بمفهوم ين يانغ الذي يقول إن المرء يمكنه أن يرى ازدواجية ديناميكية في كل الأشياء المحيطة به مثل أن يرى الإيجابي والسلبي والنور والظلام.

ويقوم هذا الفن على حركات دائرية لطيفة يرافقها تنفس عميق.

ويهدف التاي تشي كغيره من أنواع الطب الصيني إلى تحفيز سريان الدم لتحسين الصحة.

ويعلّم هذا الفن في بعض المراكز الطبية والرياضية أو لدى المدربين المتمرنين.

وخلصت دراسة أميركية حديثة إلى أن ممارسة رياضة الـ"تاي تشي" تساعد على التفكير بطريقة أكثر صفاء. وينصح الباحثون المشرفون على الدراسة كبار السن بممارسة هذه الرياضة الصينية التقليدية لما تعود به من فائدة تسهم في إطالة العمر.

ولم تقتصر النتائج على ذلك فحسب إذ يؤكد الباحثون في جامعة جنوب فلوريدا أن ممارسة تمارين تاي تشي 3 مرات في الأسبوع تزيد من حجم المخ. وجاءت هذه الدراسة لتعزز نتائج دراسات سابقة أكدت أن رياضة الـ"تاي تشي" التي تعتبر مزيجا من الحركات البطيئة والانسيابية تحد من التوتر وتؤدي إلى الاسترخاء والراحة النفسية واستعادة التوازن الروحي، كما أنها تقوي عضلات الجسم وتشكل عامل وقاية من ارتفاع ضغط الدم والحماية من أمراض القلب. بالإضافة إلى ذلك فإنها تزيد من ليونة المفاصل وتقوي جهاز المناعة وتسهم في أداء أفضل للرئتين، وتنظم التنفس، وتوفر وقاية جيدة للدورة الدموية.

ويذكر أن حركات التاي تشي مستوحاة من حركة الطيور والحيوانات، ولهذا فإن شعار معلمي هذا الفن في الغرب "كن قويا كالدب، سريعا كالظبي، سريع الحركة كالقرد، ورشيقا كطائر الكركي". ويقول معلم التاي تشي دتلف كلوسو من معهد وشو في دوسلدورف "إن التركيز ليس على العضلات أو القوة بل على الروح والقلب وعلى الطاقة الداخلية التي تحرك أجسادنا". وطبقا للفلسفة الصينية فإن التاي تشي يجعل طاقة الجسد تفيض ويعيد الانسجام بين الجسد والطبيعة من حوله.

ويقول كلوسو إن الطب الغربي أثبت الآثار الصحية الإيجابية للتاي تشي. ويشرح كلوسو هذه الآثار بالتفصيل فيقول "إن ممارسة التاي تشي تؤدي إلى تنظيم عملية الضخ إلى القلب وذلك عن طريق تغيرات إيقاعية في منطقة المعدة. أما التنفس المنتظم فله تأثير إيجابي على الجهاز العصبي المركزي. ويساعد هذا الفن على شد عضلات الرقبة والأرداف".

وفي الآونة الأخيرة ازداد عدد شركات التأمين التي أصبحت تعي الآثار الإيجابية للتاي تشي حتى أصبحت توصي به عملاءها. وفي ألمانيا يساهم عدد من شركات التأمين في دفع مصاريف دورات تدريب التاي تشي لعملائها. ويساعد التاي تشي على تدريب الجسد على كيفية الاسترخاء. وخلال الدورة التدريبية يتعلم الناس عدم الاستجابة إلى المصاعب التي تواجههم في الحياة بالمقاومة ولكن النظر إليها أولا بوعي وتفهم ثم الاستجابة.

يقول كلوسو "إذا ما عشنا حياتنا بعناد وبعقلية صلبة فسوف نفقد القدرة على السباحة مع التيار".

وتعتمد التاي تشي كأحد أساليب العلاجات الصينية وهي تقوم على استقامة العمود الفقري مع مستوى الرأس والمعدة عند المريض في اعتدال وتجري الحركات باسترخاء يقظ وبعقل نشط وحاضر.

> ممارسة هذه الرياضة تتطلب الصبر والقدرة على التباسط والتأقلم والتغيير، وتقوم على عقيدة إعادة التوازن لطاقة الحياة

ويوجد شكلان لهذه التمارين الأول يتكون من 40 حركة لا تتكرر وتستغرق من 5 إلى 10 دقائق أما التمرين الثاني فطويل ويتكون من 100 تمرين يستغرق من 20 إلى 40 دقيقة ويتكرر بطريقة تعكس إيقاع الحياة بتوازن بين ما هو نفسي وما هو جسدي.

ويعتبر التاي شي شوان فنا مركبا يتطلب الصبر والقدرة على التباسط والتأقلم والتغيير، ويقوم على عقيدة إعادة التوازن لطاقة الحياة ففي حالات التوعك العقلي أو العاطفي يحدث جريان أسرع أو أبطأ من المطلوب لهذه الطاقة في اقنيتها داخل الجسد وأحيانا تتراكم هذه الطاقة في جزء أكثر من البقية في الرأس مثلا أو الصدر أو البطن أو حتى القدمين ويتكون الثقل في هذا الجزء مما يترتب عليه نوع من الخلل ويحس الإنسان بالمرض.

وإذا كان وراء كل حركة صينية حكمة فإن وراء فن التاي شي شوان أسطورة ترجع للقرن الحادي عشر عندما راح المفكر الطاوي (نسبة للديانة والفلسفة الطاوية) شانغ سان فينغ يبحث عن طريقة لتطوير الروح بعيدا عن مخاضات المعاناة والقوة وبينما كان يشاهد عقعقا من نوع الغربان يطارد أفعى تسعى على الأرض لاحظ باندهاش حركة الأفعى البطيئة والمستمرة وهي تراوغ بمهاجمها. فأصبحت هذه الدائرية الناعمة أساسا لشكل جديد من رياضة التاي والتي تسعى إلى امتلاك جسد الإنسان لنفسه.

ويشار إلى أن تمارين التاي تشي تزيد فعالية التمارين البدنية لدى المرضى الذين يعانون من قصور مزمن في القلب.

وأخضع الباحثون 50 شخصا ممن يعانون من قصور مزمن في القلب لممارسة تمارين التاي تشي لمدة ساعة مرتين أسبوعيا على مدى 12 أسبوعا، وفي مقابل هؤلاء المرضى تابع فريق آخر مؤلف من 50 مريضا آخر يعانون من قصور مزمن في القلب أيضا التمارين التي يوصى بها عادة والتي تقضي بالمشي لمدة ست دقائق مرتين أسبوعيا.

وعند الانتهاء من الدراسة، لم يسجل أي فرق بين الفريقين، إلا أن المشاركين في الدراسة الذين تابعوا التمارين المستوحاة من فن التاي تشي أحرزوا تحسنا أكبر في ما يتعلق بنوعية الحياة والعافية.

وأبدى هؤلاء المشاركون ثقة أكبر في ممارسة بعض التمارين المرتبطة بالتاي تشي بأنفسهم، حسب ما لاحظ الباحثون.

وقالت الأستاذة في كلية الطب بجامعة هارفارد والدكتورة غلوريا بيه "إن تمارين التاي تشي ليست خطيرة، وهي تستطيع تحسين مزاج ونوعية حياة المرضى الواهنين الذين يعانون من قصور مزمن في القلب".

ولفتت الدراسة إلى أن المصابين بقصور مزمن في القلب يعتبرون أنهم أضعف من أن يتمكنوا من القيام بتمارين رياضية. ولغاية أواخر ثمانينات القرن الماضي، كانت التوصية الطبية بتفادي الجهد الجسدي، حسب ما ذكرت الدراسة. وأشار الباحثون إلى أن النتائج الأولية لهذه الدراسة تدعو إلى الاعتقاد بأن تمارين تاي تشي قد تفيد مرضى من أمثال هؤلاء، ولكن هذه النتائج لم يتم التأكد منها في دراسات سريرية.

الباذنجان المشوي يزيد الإحساس بالشبع ويخفض الوزن

❑ **برلين** – أكدت الدراسات العلمية أن تناول الباذنجان المشوي أو المطبوخ على البخار، وإن كان بكميات كبيرة، لا يكسب الجسم المزيد من الوزن لأنه قليل السعرات ويبعث على الإحساس بالشبع.

ومعظم الفوائد الغذائية المكتسبة من الباذنجان تكون موجودة أساسا في قشرته المليئة بالألياف والبوتاسيوم والمغنيسيوم ومضادات الأكسدة.

> الباذنجان الأسود على وجه الخصوص غني أكثر بالفيتامينات ويحتوي على نسب أكبر من المركبات المفيدة مثل الزنك والبوتاسيوم

ويحتوي كوب واحد من الباذنجان النيئ على 20 سعرة حرارية، 0.8 غرام من البروتين، 4.82 غرامات من الكربوهيدرات، 0.15 غرام من الدهون و2.5 غرامات من الألياف الغذائية. وبالتالي يلبي الكوب الواحد 10 بالمئة من احتياجات الألياف اليومية، 5 بالمئة من البوتاسيوم، 3 بالمئة من فيتامين سي، و5 بالمئة من فيتامين بي 6، و1 و2 بالمئة من الحديد والمغنيسيوم.

ومن المعروف أن الألياف الغذائية عموما تعتبر من العوامل الهامة في التحكم في الوزن وفقدانه. هذه المركبات تزيد من الشبع والحد من الشهية، فهي تجعلك تشعر بالشبع لفترة أطول، وبالتالي تخفض السعرات الحرارية بشكل عام.

ويذكر أن تناول الباذنجان يحرق الدهون بسبب أليافه التي تحتوي على مادة البكتين التي تلعب دورا في حرق الدهون الطبيعية في الجهاز الهضمي. ولكن من الأفضل ألا يتم تناوله عن طريق تحميره في الزيت لأن ذلك يفقده فائدته وقيمته الغذائية.

وكشفت دراسة حديثة أن قشرة الباذنجان تحتوي على أحد أنواع المواد المضادة للأكسدة التي تحمي خلايا المخ من التلف والالتهابات البكتيرية.

وأكدت الدراسة أن الباذنجان يعد مصدرا مهما للألياف ما يساعد على عدم الإصابة بالإمساك والتهاب القولون والبواسير.

وأضافت الدراسة أن الباذنجان غني بفيتامينات بي وبعض المعادن المهمة والفوسفور وحمض الفوليك ما يقلل خطر الإصابة بأمراض القلب التاجية ويساعد في تخفيف الورم والنزيف والدوسنتاريا. كما يساعد البوتاسيوم الموجود في الباذنجان على ضبط نسبة الأملاح بالدم، إضافة إلى أنه يعمل على ترطيب الجسم. وأظهرت الأبحاث الطبية أن الباذنجان مفيد في علاج تصلب الشرايين والوقاية منه، ويمكن تناوله مطبوخا مع الطعام أو على شكل مخللات أو مقبلات. وهو قادر على إعاقة انتقال الكولسترول من المعدة إلى الشرايين، ويخفض من نسبة الدهون.

ويحتوي الباذنجان على نسبة عالية من المواد المكافحة للسرطان، والصبغات الداكنة تعمل على منع التأكسد.

ويؤكد خبراء التغذية أنه يساعد في منع حدوث أمراض القلب، ويحافظ على المسالك البولية، كما يعمل على تقوية الذاكرة.

والباذنجان الأسود على وجه الخصوص غني ببعض المركبات المفيدة مثل الزنك والبوتاسيوم وأنسب طرق تناوله لتحقيق أقصى استفادة هي أكله مسلوقا ومضافا إليه الملح والليمون، أما إذا تم قليه في الزيت فإنه يحدث تحلل للمواد والعناصر المفيدة الموجودة به ويفقد قيمته الغذائية بشكل كبير.

المجتمعات العربية المُهمشة للمرأة لا يمكن أن تنجح في مقاومة الإرهاب

الأم المتعلمة حصن منيع يحمي الأبناء من الأفكار المتطرفة

الإرهاب اليوم مرض خطير وفتاك من حيث سرعة الانتشار وغياب العلاج، وتجري الآن في مختلف دول العالم بحوث ودراسات متقدمة لإيجاد سبل مقاومته والقضاء عليه غير أنه يبدو من الأنجع هنا تطبيق نظرية الوقاية خير من العلاج. لذلك وجب التركيز أولا على وضع استراتيجيات لطرق الوقاية من داء الإرهاب وذلك بالاعتماد على أكثر العناصر الاجتماعية فعالية في تحصين الأجيال منه وهي المرأة.

سماح بن عبادة

الأم المثقفة يمكن أن تنقذ ابنها من التطرف وتزرع داخله أفكارا نيرة ومبادئ وأخلاقا طيبة

معادلات وحسابات كثيرة تضمها استراتيجيات مقاومة الإرهاب العالمية والعربية، غير أن المتأمل فيها يلاحظ ضعفها وعدم جدواها حتى الآن على أرض الواقع. تشترك هذه الاستراتيجيات في العديد من التوجهات الكبرى وأهمها الأمن والاعتماد على وسائل الإعلام في توعية المراهقين والشباب كما تشترك في أن أغلبها أسقطت من حساباتها رقما هاما يتمثل في دور المرأة في هذا المجال بما أنها تظل الأقرب للأطفال والمراهقين وحتى للشباب.

هوية المجتمعات وثقافتها وتربيتها تنطلق من النواة الأولى وهي الأسرة وتلعب المرأة الدور الأهم والأكبر في ذلك لكونها الأم التي تربي أبناءها على مبادئ وأخلاق وعادات معينة تتماشى مع دينها ومع مجتمعها ومع نسق تطور الحياة. ورغم أن للأب دوره الهام هو الآخر في ذلك غير أن الملاحظ وخاصة في المجتمعات العربية أن مسؤوليات العناية وتربية الأبناء غالبا ما تضطلع بها النساء أكثر من الرجال.

"الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق" هكذا يصف الشاعر المصري حافظ إبراهيم الأم فإذا كانت هي المدرسة التي يتلقى منها الطفل تعليمه منذ نعومة أظافره فمن الواجب أن تتوفر فيها كل الشروط لتؤدي مهمتها التعليمية على أكمل وجه ولتتوفر على شروط تعليم راق يجب أن تكون في محيط سليم يؤمن بدورها وبحقوقها وبقيمتها في الحياة. فكيف يمكن أن نطلب من الأم النجاح في دورها كأم دون أن نوفر لها أدنى شروط النجاح؟

الأسرة والمجتمع يمثلان البيئة الحاضنة للأم -المدرسة-، ويمثلان العاملين الأساسيين المؤثرين في نجاحها في تربية وتعليم تلاميذها -أبنائها- فإذا وُجدت الأم في بيئة توفر لها حقوقها وتعترف لها بنضالها وبدورها وتنصفها في جميع قضاياها من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وإذا وجدت مناخا عائليا مليئا بالتفاهم والتفهم والاحترام بعيدا عن العنف والظلم فإنها ستنجح في تعليم أبنائها أفضل السلوكات والأخلاق وستنشئهم على الاحترام وحب الآخر والتسامح.

كما ستعلمهم مبادئ الدين الصحيحة وتوفر لهم ثقافة دينية وسطية تحميهم من أفكار التطرف والتشدد، لكن ذلك يشترط أن تكون قادرة على التمييز بمستوى ها الفكري والثقافي بين الرسائل الدينية السليمة و ا لصحيحة وبين الرسائل الدينية التي تضمر التطرف والتشدد وتحرض على العنف والتكفير والإرهاب.

فكيف للأم التي تقع هي نفسها في شراك التطرف والمغالطات الدينية التي يمكن أن توصلها إلى الانخراط في الإرهاب أن تحمي ابنها من الإرهاب وتحصنه من الأفكار المتطرفة؟

> كيف للمرأة التي تقع ضحية التطرف والمغالطات الدينية أن تحمي ابنها من الإرهاب وتحصنه من الأفكار المتطرفة

الأم داخل الأسرة والمرأة في المجتمع في مختلف مواقعها وفي أدوارها كامرأة عاملة خاصة في قطاع التعليم الذي يشغل أكبر عدد من النساء في العالم العربي، تظل أكثر أفراد المجتمع والعائلة احتكاكا بالطفل وتظل أكثر القادرين على رسم ملامح شخصيته وتكوينه وأخلاقه وتعليمه، وإن أردناها أن تكون ذلك الحصن المنيع الذي يؤمن الأجيال الصاعدة من الإرهاب ويحميها من الأفكار المشوهة للدين فيجب أن نجعلها حصنا شامخا بمكاسبه منيعا بحقوقه وعلمه وثقافته.

القيام بهذا الدور التربوي والتعليمي التثقيفي يتطلب أن تتمتع المرأة في حد ذاتها بمستوى ثقافي وتعليمي معين يخول لها الإلمام بتفاصيل الأمور ويمكنها من الفهم الصحيح للواقع حيث تكون قادرة على التمييز بين التطرف والتشدد لتنتقي الأفكار الصحيحة من المغلوطة وتمررها لأبنائها ولتوعّيهم بحيثيات ومخاطر التشدد والإرهاب. فالمرأة في الأسرة تعد عمادها خاصة في الوطن العربي حتى أنها أحيانا تتقمص دور الأب من جانب تنشئة الطفل واستيعابه في كل مراحل نضجه كونه أكثر احتكاكا بوالدته فيتلقى منها الكثير من الخصال. لذلك يجب أن تكون هي القدوة والنواة في الأسرة، كما يتعين أن تلعب هذا الدور في عائلتها الموسعة وفي عملها خاصة إن اشتغلت في المؤسسات التربوية.

أهمية دور المرأة في الأسرة وفي المجتمع تجعل البعض يوجه اللوم أولا وأساسا لها في ما يتعلق بتربية الأطفال وسلوكهم فتكون أول من يحاسب وأول من يتهم بالتقصير رغم أنها الأكثر عطاء وتضحية في سبيل تربية الأبناء لدرجة أنها تنسى ذاتها أمام حجم المسؤوليات التي تتحملها تجاه أسرتها. وتتعرض المرأة العاملة لأضعاف هذه الملامة حيث ترجع مشاكل الأبناء وحتى فشلهم في الدراسة أو انحرافهم أو استقطابهم من قبل عصابات الإرهابيين إلى غياب الأم عن بيتها وتقصيرها في رعاية أبنائها بسبب انشغالها بالعمل.

فهي تلام على ما يؤول إليه حال الأبناء في سن المراهقة وفي مرحلة الشباب خاصة من قبل الأسرة والمحيط الذي يرفض عمل المرأة خارج المنزل، وعندما يكون هناك تقصير ما أو خطأ في تسيير شؤون الأسرة ويتعرض الأبناء إلى مخاطر الانحراف والإرهاب تحاسب المرأة وتلام وتتهم في حين يعفى الرجل من ذلك.

أما إذا تعلق الأمر بالسيطرة وبفرض الوجود وباتخاذ القرارات الهامة في حياة العائلة فتهمش المرأة ويصبح الرجل المتحكم في العائلة بلا منازع.

غياب العدالة والمساواة هذا حتى داخل الأسرة نفسها يقدم صورة مصغرة لغياب العدالة الاجتماعية في التعامل مع الوالدين وفي تحميل المسؤوليات العائلية لكلا الطرفين. هذا التهميش يضاف إليه تهميش سياسي واقتصادي بما فيه الحرمان من أبسط الحقوق خاصة في المجتمعات العربية كالحق في التعليم والعمل وأحيانا في الرعاية الصحية الجيدة.. يخلق عديد المشاكل والضغوط التي تزيد وضع الأم تأزما وتجعلها أحيانا تعاني متاعب صحية ونفسية ربما تقف وراء تقصيرها أحيانا في القيام بدورها كأم مثالية.

عندما نقارن وضع المرأة والأم في الأسر العربية بما تلقاه من معاملة من العائلة والمجتمع ومما حققته من مكاسب وحقوق من جهة، وبين ما هي مطالبة به من واجبات أسرية واجتماعية ووطنية، تأتي على رأسها حماية أبنائها من التطرف الديني وبالتالي تحصين الأجيال القادمة من الإرهاب وحماية والأوطان من مخاطره من جهة ثانية. نتبين اختلالا في التوازن بين حقوق وواجبات الأم. فكيف نطالبها بأداء مهمة مثل مقاومة الإرهاب دون أن نوفر لها ظروفا وبيئة وإمكانيات فكرية وثقافية ومادية ومعنوية تساعدها على ذلك؟ وكيف لأم أمية أو ذات مستوى تعليمي ضعيف أو معزولة عن المجتمع وعن تطور التقنيات الحديثة وتطور العالم أن تفهم ماهية الإرهاب وتحمي منه أبناءها؟

> القيام بدور تربوي وتعليمي يتطلب أن تتمتع المرأة في حد ذاتها بمستوى ثقافي وتعليمي معين يخول لها الإلمام بتفاصيل الأمور ويمكنها من الفهم الصحيح للواقع

مقاومة الإرهاب هي إستراتيجية حكومية تتطلب تشريك مختلف أفراد الأسرة والمجتمع وهي ليست مهمة خاصة بالأمهات، فالتربية عمل أسري ومجتمعي ومدرسي لذلك وجب أن يتعاون الجميع في ذلك خاصة في ظل الانتشار السريع والواسع للفكر المتطرف المروج للجرائم الإرهابية تحت غطاء الدين وعدم اقتصاره على العرب أو على فئة عمرية أو فئة اجتماعية بعينها أو جنس معين. هذا إلى جانب ما بلغه الإرهابيون من تطور وتقدم تقني خاصة في تقنيات الاستقطاب للمراهقين والشباب حيث أصبحت الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي طريقهم السهل للوصول إلى داخل غرف نوم المستهدفين وإلى عقولهم ووجدانهم.

هذا التطور في طرق الاستقطاب يتطلب حرصا ومتابعة وعناية مضاعفة من الأم حيث وجب عليها مراقبة أبنائها حتى في تواصلهم مع الآخر عبر الانترنت وأيضا في الانتباه إلى ما يمكن أن يطرأ من تغيرات على سلوكهم ومظهرهم داخل المنزل وخارجه وهو ما يتطلب أن تكون المرأة متعلمة لتتمكن من الاطلاع على استعمالات الأبناء لمختلف مواقع التواصل عبر الهاتف أو الحاسوب كما يتطلب منها تفرغا وتوازنا نفسيا يجعلها تركز جهودها على أبنائها وتواكبهم في كل مراحل حياتهم وتكون مرشدهم نحو الصواب والأم والصديق والمعلمة.

> إذا وجدت المرأة في بيئة توفر لها حقوقها وتعترف بدورها في المجتمع، فإنها ستنجح في تعليم وتربية أبنائها على احترام الإختلاف

فالمرأة بمختلف هذه الأدوار في حياة الأسرة عنصر تربية وإصلاح قوي وعنصر تقويم وتأثير خاصة تجاه أبنائها لذلك وجب الاهتمام بها ومساعدتها في أداء واجبات الأمومة المناطة بعهدتها خاصة من قبل الزوج. وعلى الدولة والمجتمع أن يعيان قيمتها وعظمة دورها في مقاومة وتحصين الشباب من الإرهاب، لذلك يجب تهيئتها وتوجيهها الوجهة السليمة نحو هذا الدور وهذه المسؤولية لتتحقق الفائدة لها ولعائلتها ومنها للمجتمع والدولة.

ولعل أول وأكثر سبل التهيئة هو محو الأمية ورفع الجهل والظلم واللامساواة عن النساء، فالأم المتعلمة ذات الشخصية المثقفة يمكن أن تنقذ ابنها من التطرف وتزرع داخله أفكارا نيرة ومبادئ وأخلاق طيبة لا أفكارا متطرفة متخلفة تقوده وتقود محيطه نحو الهلاك.

هكذا يمكن اعتبار رهان محو الأمية عند النساء أولى مراحل تجنيد وتسليح الأمهات بالعلم لمقاومة الإرهاب والظلامية.

التربية على التسامح وحب الآخر عمل أسري ومجتمعي ومدرسي

صالونات التجميل عيادات افتراضية لحل مشاكل النساء

خبير تجميل: تسريحة الزبونة تكشف لي طبيعتها الشخصية

عملية تجميل المرأة في مصر كانت تقوم بها في الماضي سيدة يطلق عليها "الماشطة" تقوم بفرد الشعر وتمشيطه، ومع الاحتلال الإنكليزي والانفتاح على الآخر جاءت فكرة إنشاء صالونات التجميل التي كانت تتردد عليها سيدات الطبقة الثرية.

شيرين الديداموني

حالة الاسترخاء التي تتملك المرأة عند تصفيف شعرها تجعلها تخرج مكنونات صدرها

□ "لدي شعور أن زوجي لم يعد يحبني، بالرغم من مرور عامين فقط على زواجنا، فقد أصبح يتغيب عن المنزل كثيرا، ويتشاجر لأتفه الأسباب، والأغلب أنه يعرف امرأة أخرى". مشكلة جديدة تواجهها سيدة ثلاثينية، وبسبب حيرتها في حل طلاسمها قررت أن تلجأ للمساعدة، لكن المفارقة أنها لم تلتمس المساعدة عند طبيب أو صديقة، إنما اختارت من بين كل من حولها مصفف الشعر الخاص بها لتبوح له بأسرارها وتطلب رأيه في كيفية حلها.

تجاوب ميخائيل، (مصفف شعر وصاحب صالون للتجميل في القاهرة) مع السيدة وغيرها من المترددات عليه، وكشف لـ"العرب" عن نوع جديد من علاقات الثقة تدور داخل تلك الصالونات حولتها أحيانا إلى ما يشبه العيادات النفسية، حيث لا تسلم فيها الزبونة رأسها فقط لمصفف شعرها وإنما تأتمنه على ما في داخل رأسها من مشاكل وأسرار.

مصفف الشعر بدوره تجاوب مع زبونته بإخلاص واضح، فقام بتهدئة روعها، قبل أن يطرح عليها "نيو لوك" لتغيير شكلها، كما طلب منها الاهتمام بغذائها لأنها أصبحت نحيفة أكثر من اللزوم، قبل أن يختتم نصائحه لها بألا تستسلم لفكرة أن زوجها يعرف أخرى، فهي زوجته وبينهما قصة حب، وسوف تتمكن من إعادته إليها، إذا أجادت التصرف، "فمشاعر الرجل كالزرع تحتاج للري من حين لآخر كي لا تذبل وتموت".

"قد أكون طبيبا نفسيا، لكنني أحب أن اعتبر نفسي أخا أو صديقا وأحيانا مستشارا أسريا لزبوناتي"، هكذا وصف ميخائيل ماهية علاقته بالسيدات المترددات على صالونه، مضيفا لـ"العرب" أنه بشكل عام لا يحب الحديث عن أسرار الزبائن، لكنه تحدث عن مشكلة الزبونة لأنها روت مشكلتها بصوت مرتفع سمعته مراسلة "العرب"، موضحا أن

> الزواج والغيرة والحسد محاور أحاديث السيدات في صالونات الأحياء الشعبية بينما سيدات الطبقة المخملية يبحن بتفاصيل علاقتهن الخاصة مع أزواجهن

أزمتها تكمن في اعتبار زوجها ملكية خاصة لها، وأنه لا يمكن أن يتغير بعد الزواج، رغم إهمالها لمظهرها.

هبة أدهم إحدى المترددات على الصالون، شرحت لذات المصدر أن الكوافير ليس فقط مكانا لتصفيف الشعر وعمل الباديكير والمانيكير، بل أيضا مكانا للثرثرة والإفصاح عما يجيش بصدرها من هموم ومشاكل، مؤكدة أنها قد لا تبوح بأسرارها الشخصية لصديقاتها، بينما تقوم بذلك مع مصفف شعرها الذي تقضي عنده أربع ساعات أسبوعيا، ولم يستحوذ على ثقتها إلا بعد فترة طويلة من التعامل ارتاحت خلالها إليه نفسيا، وتأكدت أنه "شخص أمين لا يفشي أسرار الأخريات".

نهر حسين (محاسبة في بنك) لا تتفق مع هبة في الرأي، قالت لـ"العرب" إن الثقة بالنسبة لها أن تترك له التعامل مع شعرها ومظهرها، لكن كشف أسرار حياتها الشخصية، تصرف لا يصدر عن امرأة عاقلة، لأن البيوت لها حرماتها وأسرارها التي لا يجب أن يطلع عليها الغرباء.

هناء شعلان (باحثة اجتماعية)، كانت تعتقد أن الفتيات في سن المراهقة من يقدمن على ذلك، لكنها اكتشفت فيما بعد أن غالبية سيدات الصالونات يعشن فترة مراهقة، واصفة المرأة التي تقدم على ذلك بأنها تعاني من الفراغ العاطفي والصمت الزوجي، لذلك تجد ضالتها المفقودة في خبير التجميل.

الصالونات أنشأت خصيصا للأثرياء، كما يقول وائل (خبير تجميل) الذي فرضت عليه الظروف أن يتعامل مع سيدات أحد الأحياء الفقيرة عندما كان يمتلك صالونا فيه، ثم يتحول للتعامل مع سيدات الطبقة الراقية، بعد أن أكرمه الله وباع صالونه الفقير ليمتلك واحدا في حي راق.

رصد وائل، الفارق بين مشاكل السيدات في الأحياء الراقية والشعبية، فقال: الزواج والطلاق والغيرة والحسد كانت الأحاديث المتبادلة في الحي الشعبي، لكن سيدات الطبقة المخملية أكثر جرأة في الكلام، حتى أنه كان في البداية يشعر بالحرج عندما تشكو له إحدى زبوناته من فتور علاقتها الحميمة بزوجها، وتسأله عن إجابة لأسئلة تدور بعقلها، لكن خجله لم يمنعه من إبداء رأيه وإسداء النصائح، وإظهار حرصه على متابعة التطورات.

الصورة الكبيرة لوائل وزوجته في مدخل الصالون، أثارت تساؤلا أجاب عليه بابتسامة متذكرا الموقف العصيب الذي وقع فيه، بسبب ارتياح السيدات له، فقد كانت زوجته تجلس في الصالون لتصفيف شعرها، عندما بدأت زبونة في قص مشاكلها عليه، وسمعت زوجته ما روته الزبونة عن أدق التفاصيل بينها وزوجها وارتياحها للصالون وله، الأمر الذي أثار غيرتها وأدى إلى شجار كاد ينتهي بالطلاق، ومن يومها يضع تلك الصورة لكي تتعرف زبوناته على زوجته ويكن أكثر حذرا في الكلام أثناء وجودها.

النميمة في صالونات التجميل، ملخص لتجارب وخبرات نسائية من الممكن الاستفادة منها على المدى البعيد، كما قالت لـ"العرب" سماح (مهندسة كمبيوتر)، فدراستها الصعبة أبعدتها عما يدور بالحياة من مشاكل، لكنها وجدت ضالتها في الصالون الذي تتردد عليه، فالأسرار النسائية التي تخرج من الزبونة تحت يدي مصفف الشعر تكسبها أفكارا حياتية تأخرت في الحصول عليها.

جيهان (صاحبة مصنع) وزبونة دائمة لدى صالونات التجميل عاصرت معه مراحل مختلفة، ففي مرحلة ما قبل الزواج كانت تسأل مصفف شعرها عن كيفية اختيار شريك الحياة، وفي فترة الخطوبة كان يعلمها كيف تفك شفرة خطيبها، وبعد الزواج علمها كيف تحافظ على زوجها وجعل منها امرأة متجددة الشكل، أما الآن فهو يسعى لتزويج ابنتها لأحد أبناء زبوناته.

المرايا الملصقة بجوانب الصالون وسقفه هي لاكتشاف شخصية الزبونة كما يوضح ميلاد جرجس (مصفف شعر) الذي حولته سنواته العشر في المهنة إلى خبير بطبيعة شخصيات الزبائن، ويعرف بمجرد النظر إلى أي منهن، ما إذا كانت متحفظة من عدمه، وهل سيكون بينهما صداقة مستقبلية أم أن العلاقة لن تتعدى تصفيف الشعر؟

خبرة ميلاد جعلته يعرف أيضا شخصية الزبونة من تسريحة الشعر التي تطلبها، ويترتب عليه نوع النصيحة التي سيقدمها لها، فمن تختار جمع الشعر كله للخلف في شكل ذيل حصان تملك شخصية قوية لا تريد إخفاء شكلها وراء شعرها، ومن تفضل تصفيف شعرها طوال الوقت يعرف أنها شخصية قائدة لا تابعة، ومحبة للنظام، أما إذا طلبت الزبونة ترك شعرها على طبيعته فهو يتعامل معها كشخصية جريئة، أما من تفضل تسريحة "الكعكة" كما يقول ميلاد فهي امرأة محبة للظهور ولفت الأنظار من خلال إظهار رقبتها.

وأوضحت نادرة أسامة أستاذة الطب النفسي لـ"العرب" أن صالونات التجميل تحولت إلى نواد اجتماعية، ففيها تتعارف السيدات وتتبادل خبراتهن الحياتية، وهذا أحد أنواع العلاج في العيادات النفسية، لما تقدمه من دعم نفسي، إلى جانب المحاولات الجادة التي يبذلها مصفف الشعر أو المحيطين به لحل مشكلات الزبونات أو مؤازرتهن نفسيا، فحالة الاسترخاء التي تتملك المرأة عند تصفيف شعرها تجعلها تخرج مكنونات صدرها الموجودة في اللاشعور، لكنها ليست بديلة عن الجلسات النفسية، إنما تدعمها أو تكملها في بعض الأحيان.

نساء بقلوب ميتة

هيفاء بيطار

□ من خلال عملي لسنوات طويلة كطبيبة عيون، لاحظت -بدون أي تحيّز- أن قدرة المرأة على الحب والحنان والتحمل تفوق كثيرا قدرة الرجل، وتأكدت من تلك الحقيقة حين بدأت أهتم بقصص المعاقين وخاصة حين كنت إحدى الطبيبات في لجنة المعاقين، وهي لجنة تقيّم وضعهم وتحدد طبيعة العمل الذي يمكن أن يمارسوه، أو عدم قدرتهم على ممارسة أي عمل.

ومن خلال عملي في لجنة المعاقين وعملي طبيبة عيون لاحظت أن هؤلاء المعاقين يعيشون ويستمرون في الحياة يوما بعد يوم، وقادرون على الابتسام والأمل بقوة حب قلب كبير، هو قلب أم.

لاحظت -وخاصة في حالات الإعاقة الشديدة- أن كل الأسرة، بما فيهم الأب، يتمنون الموت للمعوق، أو يتمنون نفيه وإقصاءه في مصحة، كي ينعمون بحياة ليس فيها ما ينغص عليهم رفاهية أنانيتهم.

وهذا ما دفعني إلى كتابة العديد من قصص هؤلاء المعاقين وأهمها برأيي قصة (يكفي أن يحبك قلب واحد لتعيش) وهو قلب الأم بالتأكيد...

أسترسل بهذا الكلام لأنني أتساءل ببساطة شديدة، وبسذاجة شديدة ربما، لو أن النساء يحكمن العالم ويوجهن سياساته، أما كانت القسوة والوحشية أقل!

لكنني حين أتمعن في وجوه سيدات في مراكز قرار حساسة، مثل هيلاري كلينتون وتسيبي ليفني وأنجلا ميركل وميشيل أوباما وكونداليزا رايس وغيرهن، حين أتمعن في وجوههن كما لو أنني أنقّب في أعماقهن، متمنية لو يملكن قلب أم، كقلب أم بسيطة وفقيرة تتعبد حبا وخدمة لابنها المعاق، ولا تتذمر ولا تحس بتعب بل تستمد قدرتها اللانهائية على الحب والعطاء من قلب الله.. من كل قوى الخير والرأفة الموجودة في العالم..

لا أجد قلب أم للأسف في أعماق السيدات النجمات اللاتي يزرننا في بيوتنا كل يوم ويتكلمن ببرود وعجرفة وهن بكامل أناقتهن ووجوههن الشمعية..

وغالبا ما تكون الشاشة منقسمة إلى نصفين، نصف يعرض صورا مروعة لمجازر يدفع ثمنها الأطفال والنساء، ونصف يعرض صورة إحدى السيدات النجمات في السياسة وهي تتحدث متبنية تماما سياسة المصالح الخاصة بدولتها، مغيبة تماما قلبها كأم، وراضية أن يكون قلبها مجرد مضخة دم.

ولازلت أستفز في كل مرة أجد إحدى السيدات ذوات المناصب الحساسة يتكلمن، تصيبني حالة من التنبه الشديد فأركز كل انتباهي وأحاسيسي على وجوههن الشمعية وأتساءل، لماذا لا يتمردن على سياسة لا أخلاقية وظالمة، ومدمرة لسعادة وأمان ملايين من الأطفال والنساء، والأسر التي لا تحلم إلا بعيش آمن!

ألا يفترض بهن أن يشعرن أن أطفال العالم أطفالهن؟! كيف قبلن المساومة على دورهن الأساسي والجوهري في الحياة، وهو الحب بلا حدود، لأن الحب أساسه العدالة والرأفة والحنو، ليس على الإنسان فحسب بل على كل الكائنات.. أن تكون المرأة أماً يعني أن تكون أماً كونية .. تنظر وتتعامل بعين المحبة والحنان لكل من حولها.

لكن للأسف لم أجد أي دور لطاقة الحب الهائلة المختزنة في قلب الأمهات والنساء اللاتي يتسلمن مناصب سياسية حساسة، لقد ارتضين أن ترهن قلوبهن لمصالح الرأسمالية العالمية المتحكمة بالبلاد والعباد، ارتضين أن يسخرن من أقوى قوة في الكون، قوة قلب محب، قلب أم.

وارتضين أن يكن كعارضات الأزياء يلبسن الملابس الفاخرة والإكسسوارات الجميلة وأن ينتشين بالأضواء ويتكلمن كما يلقنهن أسيادهن تماما..

وكم أحس بالخزي حين أجد العديد من الصحف تجري مقابلات مع تلك السيدات ويكون قسم كبير من المقابلة عن عاداتهن الشخصية، ومن يختار لهن ملابسهن، وماذا يأكلن ويشربن.. ومن مصمم الأزياء المفضل لديهن ..

ولا أستثني طبعا زوجات رؤساء الدول اللاتي بدورهن يمارسن دورا استعراضيا زائفا في دعم شعوب أذلها القهر والاستبداد والظلم، فنرى زوجة إحدى الرؤساء تلبس آخر صيحات شانيل أو كريستيان ديور، وتحتضن بحذر طفل فقير أو مصاب بشظية أدخلته خانة المعاقين، والسيدة مفرطة الأناقة، والزوجة المصون للحاكم تطبع قبلة يهوذا على خد الطفل البائس..

للأسف هؤلاء النساء اللاتي يتمتعن بالمناصب والنفوذ ارتضين أن يكن مستأجرات ومجرد موظفات عند قوى لا تعرف للإنسانية معنى، ولا تقيم لابتسامة طفل أي قيمة، ولا يهمها إحلال السلام والطمأنينة في العالم..

نساء ارتضين أن يتنازلن عن أكبر قوة مشرّفة في الكون، قوة قلب محب، قوة قلب أم.. وأن يقبلن أن يكن خادمات في سياسة ترضى أن تكون ممارسات أسيادها أسوأ من ممارسات حيوان.

طبق اليوم

الكبسة السعودية

المكونات:

- كيلوغرام لحم ضأن
- 4 أكواب أرز، منقوع إلى حين الطبخ
- 3 حبات بصل مفرومة
- 400 غرام صلصة طماطم
- 2 حبات فلفل أخضر حار مفروم (اختياري)
- 3 حبات جزر متوسطة الحجم و مبشورة
- ملعقة صغيرة من مبروش قشرة الليمون
- ربع كوب زيت نباتي

بهارات الكبسة:

- ربع كيلوغرام قرفة ناعمة
- ربع كيلوغرام هال مطحون
- ربع كيلوغرام خولنجان مطحون
- 2 ملاعق كبيرة قرنفل مطحون

طريقة الإعداد:

- تحضير بهارات الكبسة: تخلط البهارات جميعها جيدا في صحن، يؤخذ مقدار ملعقة كبيرة من الخليط ويوضع الباقي جانبا لاستعماله لاحقا.
- تحضير الكبسة: يوضع الزيت والبصل على النار ويقلب إلى أن يصفر لونه، ثم يضاف إليه اللحم ويقلب جيدا ثم يترك لمدة 5 دقائق لينضج قليلا.
- توضع ملعقة صغيرة من بهارات البخاري، ومعجون الطماطم فوق اللحمة ثم تقلب جيدا يضاف إليها الجزر المبشور وبرش الليمون الحامض وماء، يترك اللحم على النار إلى أن ينضج.
- عند النضج، يجب أن تكون الصلصة كثيفة قليلا، ثم تتبل بالملح ويضفى الأرز، يضاف إليها دون تحريك وتترك ليتبخر الماء، ثم يحرك الأرز وتطفئ النار ثم يغطى القدر ويترك الأرز ليتشرب ماءه وينضج على البخار، ثم تقدم الكبسة.

موضة

قفاطين تمزج بين عبق التاريخ والحداثة

□ أطلق مصمم الأزياء وليد عط الله مجموعة استثنائية من القفاطين تتماشى مع أجواء شهر رمضان، وأكد خبراء الموضة أن هذه المجموعة تعد الأبرز لهذا الموسم مما تحمله من تفاصيل غنية تنبض بالأناقة والنعومة، حيث تمزج بين عبق التاريخ والحداثة في التصميم مما يجعلها تصلح لجميع المناسبات سواء أكانت حفلات أم للاستخدام اليومي.

استخدم عط الله في هذه المجموعة أجود أنواع الأقمشة من بينها الشيفون، الحرير، والجبير دمجا معهم تطريزات فريدة من الأحجار الكريمة والنادرة. واتجه عط الله في خياراته إلى الألوان الصيفية المفعمة بالحيوية كالأزرق، الفيروزي البرتقالي، الأبيض، والنيون حيث تم توظيفهم بشكل احترافي يعكس بصمة المصمم المميزة، كما مزج وليد عط الله الأشكال الزخرفية الإسلامية من أحجار وأشكال بألوان عصرية تناسب روح المرأة العربية.

وأكد المختصون أنه بإمكان المرأة أن ترتدي القفطان نهارا مع شعر مسدول، وحذاء رياضي وحقيبة نهارية. كما يمكنها أن تتألق ليلا مرتدية القفطان مع حذاء كلاسيكي وحقيبة ليلية ليعطي إطلالة مختلفة تماما.

روابط الأولتراس المصرية شغب في الملاعب وصلاحيات خارجها

عضو أولتراس أهلاوي: الفكرة بدأت بحثا عن الحرية وتحولت إلى خطر

ظهر الأولتراس لأول مرة في مباراة بين النادي الأهلي المصري ونادي إنبي، وهو مجموعة من مشجعي النادي الأهلي المصري، تأسست عام 2007 تحديدا في شهر أبريل على يد مجموعة من محبيه.

عماد أنور

□ خلال السنوات التي تلت ثورة 25 يناير 2011 تحولت روابط أولتراس المصرية من التشجيع الكروي إلى التورط في الأحداث السياسية، واتهمها كثيرون بأنها تنفذ أجندات خاصة بجماعة الإخوان المسلمين التي اخترقت أكبر رابطتين في مصر، وهما أولتراس أهلاوي، ورابطة الوايت النايتس الزملكاوية.

كذلك تورطت الرابطتان في العديد من أحداث الخروج على القانون، سواء بالهجوم المستمر على الشرطة المصرية والاحتكاك بقواتها داخل الملاعب وخارجها، أو محاولة الاعتداء على المستشار مرتضى منصور رئيس نادي الزمالك الذي يرفض الاعتراف بهم.

لكن الخروج على القانون امتد إلى روابط أندية أخرى مثل أولتراس النادي المصري في مدينة بورسعيد الساحلية، والذي تورط بعض أعضائه في حادث الاعتداء على جمهور الأهلي الذي راح ضحيته 74 من مشجعي النادي القاهري، بينما قضت محكمة مصرية قبل أيام بإعدام 11 شخصا من مشجعي النادي المصري.

خروج الأمر عن طور الرياضة، يراه أحد أعضاء أولتراس الأهلي طبيعيا في ظل ما كشف عنه في حديث خاص لـ"العرب"، من الصراعات التي تميز العلاقة بين أولتراس الأندية المتنافسة خصوصا بين الأهلي والزمالك.

العلاقة بين أولتراس الأهلي والزمالك كانت أشبه بممارسات قطّاع الطرق، حيث كانت كل جماعة تتعمد الإجهاز على أي فرد من الجماعة الأخرى في حالة وجوده منفردا، وسلبه متعلقاته الشخصية، أما إذا كان يرتدي القميص الخاص بالرابطة، يأمرونه بخلع قميصه والعودة إلى منزله بدونه.

بعد ذلك يقوم أفراد من الأولتراس المعتدي بالاتصال بقائد المجموعة المنافسة وإخباره بما حدث، ومطالبته بالحضور لاستلام الضحية، إلا أن ذلك لا يحدث، ما يزيد الأمر تعقيدا، حيث تعمد المجموعة الأخرى للاستعداد للثأر لزميلها، وتدور الدائرة دون نهاية وفق سياسة حرب العصابات.

كان عام 2007 هو البداية الحقيقية لولادة أشهر روابط الأولتراس وأكثرها عددا، (أولتراس أهلاوي) المنتمية إلى النادي الأهلي، والأخرى (الوايت نايتس) والمنتمية إلى الزمالك، وبطبيعة الحال فإن الرابطتين هما الأكثر انتشارا بفضل قاعدة القطبين الجماهيرية والتي تمتد في بعض ربوع الوطن العربي.

مجموعات حسب المناطق

تنقسم روابط الأولتراس إلى مجموعات حسب المناطق السكنية، ويعين قائد لكل منطقة، يكون مسؤولا عن تجميع مجموعته في يوم المباراة والاتفاق على (الدخلات)، فضلا عن الهتافات الاستفزازية لمشجعي الفريق المنافس، وتشهد المناطق الشعبية مثل هذه الأحداث الساخنة.

وكشف المصدر عن أنه وزملاؤه كانوا يتعمدون النزول إلى الشوارع والبحث عن أي عضو من الفصيل الآخر، "لتثبيته وتوقيفه" وهو ما يعني سلبه هاتفه المحمول أو ما يحمله من مال، الأمر الذي أدى إلى خروج القيادات الأصلية التي تنتمي لمستويات اجتماعية مرموقة من الرابطة وإعلان عدم مسؤوليتها عما يحدث.

ولم يقتصر الأمر على قيام أعضاء الأولتراس بهذه الأفعال في مناطقهم السكنية فقط، بل أمتد إلى المدن التي يسافرون إليها خلف فريقهم، خاصة من الأعضاء الجدد من الشباب صغير السن، الذين يشعر بالزعامة جراء القيام بهذه الأفعال غير عابئين بما تفعله من زيادة حالة الاحتقان في الشارع المصري. قال عضو أولتراس أهلاوي لـ"العرب"، إن بعض شباب أولتراس الأهلي، كانوا خلال توجههم إلى الملعب في بعض المدن مثل الإسكندرية أو بورسعيد، يتعمدوا الوقوف أمام أحد الأكشاك والحصول على زجاجات المياه الغازية والعصائر وغيرها من الأطعمة الخفيفة دون دفع الحساب، ما يثير غضب الباعة ومن هنا تنشب المشاجرة، كل تلك الأحداث كانت بوادر لمعارك كبيرة أسفرت عن سفك الدماء، خاصة مع عدم قدرة القيادات الكبرى على إحكام سيطرتها على الصغار.

وجدير بالذكر أن مجزرة ملعب بورسعيد الشهيرة في فبراير 2012، بدأت بنفس طريقة الأولتراس في الخروج عن النص حيث قام بعض شباب أولتراس أهلاوي برفع لافتة تهين شعب بورسعيد، كتب عليها (بلد البالة ما جبتش رجالة)، في إشارة إلى أهالي المدينة الباسلة الشهيرة بالتجارة في الملابس والتي يطلق عليها اسم (البالة).

كما تورطت بعض قيادات الشرطة المصرية في المجزرة عبر عدم السيطرة على مهمة "البلطجية" في سفك دماء عدد من أعضاء أولتراس أهلاوي، الذين كانوا يتعمدون توجيه الإهانات والسباب للشرطة، بهتافات وأناشيد كانت تعد خصيصا لذلك، لكن الأمور خرجت من قبضة الأمن، وازدادت الأحداث سوءا على غير المتوقع، وكان الدرس قاسيا.

عداء دائم

اتسمت العلاقة بين الأمن وروابط الأولتراس بالعداء الدائم، ولم تفلح القيادات الشرطية أو حكماء السياسة في مصر في احتواء هؤلاء الشباب، خاصة مع عدم في أن أعضاء الأولتراس كانوا يبحثون عن الحرية على طريقتهم الخاصة، فكانوا يتمسكون باصطحاب الصواريخ والشماريخ إلى المدرجات، حيث يعتبرونها من وسائل التعبير عن النصر، فضلا عن كونها وسيلة للضغط على لاعبي الفرق المنافسة، إلا أن إلقاء تلك الشماريخ داخل الملعب كان يثير المخاوف من حدوث إصابات للاعبين أو الجماهير، وهو ما كان يرفضه الأمن تماما. داخل المدرجات كانت دائما الأمور تخرج عن طور الروح الرياضية، حتى وصلت المسألة إلى إشعال النار في أحد مشجعي نادي الزمالك، من قبل جماهير الأهلي خلال مباراة لكرة اليد جمعت بين الفريقين.

تكرار الحوادث وإصرار روابط الأولتراس على تحدي القانون دفع البعض لاتهامها بتلقي تمويل من أجل زعزعة استقرار الدولة المصرية، وهو ما ينفيه عضو أولتراس أهلاوي الذي تحدث مع "العرب" متجاوزا التزام أعضاء الرابطة بعدم الحديث للإعلام.

قال العضو إن الرابطة تنفق على نفسها من خلال تجارتها الداخلية مثل بيع القمصان الخاصة بها إلى الأعضاء، حيث يصل سعر القميص الواحد إلى 200 جنيه (نحو 30 دولار)، فضلا عن بيع الأسطوانات الخاصة بأغاني وأناشيد الرابطة.

الملاحظ أن علاقة أعضاء رابطة الأولتراس لا تقتصر على الملاعب إنما تمتد خارجها لتنشأ بينهم علاقة اجتماعية مليئة بالود، حيث يواظب بعضهم على زيارة أهالي ضحايا مذبحة بورسعيد، وجلب الهدايا إلى الأمهات في المناسبات الخاصة، وأحياء ذكرى ذويهم، فضلا عن مساعداتهم في أي أمور أسرية أخرى ومحاولة تعويض غياب الابن الذي راح ضحية مباراة لكرة القدم.

أولتراس أهلاوي: هو مجموعة من مشجعي النادي الأهلي المصري، تأسست عام 2007 تحديدا في شهر أبريل على يد مجموعة من مشجعيه.

الفكرة بدأت في مكان ما في الزمالك حيث كان يجلس بعض الأصدقاء يشاهدون كليبات وصور للأولتراس العالمي، ويحلمون باليوم الذي يصبح لمصر أولتراس كبقية دول العالم، وقرروا أن تكون البداية لأول دخلة في تاريخ مصر عن طريقهم وبالفعل بدء التخطيط لدخلة الستة واحد من هذا التاريخ. ظهر الأولتراس لأول مرة في مباراة بين النادي الأهلي المصري ونادي إنبي، وتم تعليق "بانرهم" الأول في هذه المباراة، و قد عانى الأولتراس من اعتراض الأمن على تعليق "البانر" لكن استطاعوا في النهاية تعليقه.

ويتضمن أولتراس أهلاوي أعضاء من خريجي الكليات والعمال والشباب من كل فئات المجتمع المصري. شعارهم "Together Forever" وتم وضع 74 على الشعار تخليدا لذكراهم للأبد، في إشارة إلى الرابطة القوية بين الأعضاء. شعارات أخرى موجودة مثل "We Are Egypt" و"أعظم ناد في الكون"، وغيرهما. للمجموعة تاريخ كبير من الصدام مع الأمن المصري، حيث حدثت العديد من الواقعات بين الأمن والمجموعة.

الأولتراس (Ultras) هي كلمة لاتينية تعني المتعصبين، وتظهر في صورة من مشجعي الفرق الرياضية والمعروفة بانتمائها وولائها الشديد لفرقها وتتواجد بشكل أكبر بين محبي الرياضة في أوروبا وأميركا الجنوبية وحديثا في دول شمال أفريقيا.

أول فرقة أولتراس تم تكوينها عام 1940 بالبرازيل وعرفت باسم "Torcida"، ثم انتقلت الظاهرة إلى أوروبا وبالضبط إلى يوغوسلافيا ثم كرواتيا وبالتحديد جمهور "Hajduk Split" والذي كان أول من أدخل هذا النوع.

وتميل هذه المجموعات إلى استخدام الألعاب النارية أو "الشماريخ" كما يطلق عليها في دول شمال أفريقيا، وأيضا القيام بالغناء وترديد الهتافات الحماسية لدعم فرقها، كما تقوم بتوجيه الرسائل إلى اللاعبين.

وتقوم هذه المجموعات بعمل دخلات خاصة في المباريات الهامة، وكل ذلك يضفي بهجة وحماسا على المباريات الرياضية وخاصة في كرة القدم.

> روابط الأولتراس تنقسم إلى مجموعات حسب المناطق السكنية، ويعين قائد لكل منطقة، يكون مسؤولا عن تجميع مجموعته في يوم المباراة والاتفاق على (الدخلات)، فضلا عن الهتافات الاستفزازية لمشجعي الفريق المنافس

> العلاقة بين الأمن وروابط الأولتراس اتسمت بالعداء الدائم، ولم تفلح القيادات الشرطية أو حكماء السياسة في مصر في احتواء هؤلاء الشباب، خاصة وأن تصرفات بعض رجال الأمن كانت تزيد من حالة الالتهاب

بيرو تحرز برونزية كوبا أميركا للمرة الثانية على التوالي

باراغواي تنهزم بهدفين دون رد وتكتفي بالمركز الرابع

توج منتخب بيرو لكرة القدم جهوده في بطولة كأس أمم أميركا الجنوبية (كوبا أميركا) المقامة حاليا في تشيلي، بإحراز المركز الثالث للبطولة إثر فوزه الثمين 2/ صفر على منتخب باراغواي مساء أمس الأول الجمعة (صباح أمس السبت بتوقيت غرينتش) في مباراة تحديد المركز الثالث.

خوسيه باولو غيريرو يسجل هدف الاطمئنان لبيرو دقيقة قبل نهاية المقابلة

□ **كونسيسيون (تشيلي) – حافظ منتخب بيرو بفوزه أمس الأول الجمعة على نظيره الباراغوايانى 2/صفر على المركز الثالث الذي أحرزه في النسخة الماضية عام 2011 بالأرجنتين، فيما حل منتخب باراغواي في المركز الرابع.**

وانتهى الشوط الأول من المباراة بالتعادل السلبي بعدما اصطدمت محاولات بيرو الهجومية بالدفاع الصلد لباراغواي، والرقابة المحكمة على المهاجم البيروفي الخطير خوسيه باولو غيريرو.

وفي الشوط الثاني، سجل أندري كاريو هدف التقدم لمنتخب بيرو في الدقيقة 48، ثم سجل خوسيه باولو جيريرو هدف الاطمئنان لبيرو في الدقيقة 89 من هذه المباراة التي شهدت غياب عدد من اللاعبين الأساسيين والبارزين عن التشكيلة الأساسية لكل من الفريقين. ورفع غيريرو بهذا رصيده إلى أربعة أهداف ليقتسم صدارة هدافي النسخة الحالية مؤقتا مع إدواردو فارغاس نجم تشيلي.

كما رفع غيريرو رصيده إلى 25 هدفا في مبارياته الدولية مع منتخب بيرو، وبات على بعد هدف واحد من معادلة الرقم القياسي لعدد الأهداف التي يسجلها أيّ لاعب مع هذا الفريق في المباريات الدولية، والمسجل باسم تيوفيلو كوبياس برصيد 26 هدفا.

ودخل الفريقان في أجواء المباراة مباشرة، حيث ظهرت المحاولات الهجومية لمنتخب بيرو من الدقيقة الأولى، كما انحصر اللعب في الدقائق الأولى في نصف ملعب باراغواي، ولكن دون خطورة حقيقية في ظل التنظيم الدفاعي للاعبي باراغواي.

وكانت أول فرصة حقيقية على المرمى في الدقيقة السابعة عندما شق يوردي ريينا لاعب بيرو طريقه بانطلاقة سريعة من وسط الملعب، حتى وصل حدود منطقة الجزاء وسدد الكرة قوية، ولكن الحارس تصدى لها ببراعة وأخرجها لركنية لم تستغل جيدا.

ولعب البيروفي خوان فارغاس ضربة حرة بجوار راية الركنية في الدقيقة 13، ولكن الكرة مرت فوق العارضة فيما توقع لاعبو باراغواي أن يلعب فارغاس الكرة عرضية.

بمرور الوقت، تخلى منتخب باراغواي عن تحفظه الدفاعي وحاول مبادلة منافسه الهجمات، ولكن ظلت السيطرة الهجومية لمنتخب بيرو وإن لم ينجح في تشكيل خطورة حقيقية على مرمى باراغواي. ومع بداية الشوط الثاني، تبادل الفريقان الهجمات، ولكن منتخب بيرو لم ينتظر كثيرا حيث هز الشباك في الدقيقة 48.

وجاء الهدف إثر ضربة ركنية لعبها كريستيان كويفا وقابلها غيريرو بضربة رأس ارتدت من رأس أحد المدافعين، وتهيأت أمام أندري كاريو الذي سددها زاحفة مباشرة من حدود منطقة الجزاء، لتسكن المرمى على يسار الحارس.

وأثار الهدف حفيظة منتخب باراغواي الذي سعى للرد، مما أتاح الفرصة أمام فريق بيرو لتشكيل مزيد من الخطورة وكاد كويفا يلقن دفاع باراغواي درسا قاسيا في الدقيقة 52، ولكن تمريرته العرضية بعد تلاعبه بالدفاع خرجت إلى ضربة مرمى.

وفي الدقيقة التالية، سدد البيروفي فارغاس كرة صاروخية من خارج منطقة الجزاء، ولكنها مرت فوق المقص الأيسر لمرمى باراغواي.

وتلاعب كاريو بدفاع باراغواي في الدقيقة 56، ثم مرر الكرة لغيريرو على حدود المنطقة حيث سددها الأخير صاروخية، ولكنها ارتطمت بأحد المدافعين وخرجت لركنية لم تستغل بالشكل المطلوب. وسدد يوتون كرة مباغتة من مسافة بعيدة في الدقيقة 61، ولكن خوستو فيار حارس مرمى باراغواي أمسك الكرة بثبات. ورغم حاجة منتخب باراغواي لتسجيل هدف التعادل، ظلت محاولات بيرو هي الأكثر والأخطر.

وشهدت الدقيقة 67 أخطر فرصة لباراغواي إثر هجمة سريعة وتمريرة من روميرو ركض نحوها إدغار بينيتيز وحاول إكمالها داخل المرمى وهو في حلق المرمى، ولكن المدافع كارلوس إسكويز ضغط عليه في الوقت المناسب لترتطم الكرة بالقائمة وتضيع الفرصة. ومع ذلك أبى غيريرو أن يخرج من المباراة دون أن يترك بصمته، حيث سجل الهدف الثاني لفريق بيرو في الدقيقة 89، لينتهي اللقاء بفوز بيرو 2/صفر.

> **غيريرو يرفع رصيده إلى 25 هدفا في مبارياته الدولية مع منتخب بيرو، وبات على بعد هدف واحد من معادلة الرقم القياسي الذي يمتلكه تيوفيلو كوبياس برصيد 26 هدفا**

راموس يتحدى الرئيس

مراد البرهومي

❑ **سيرجيو راموس هذا اللاعب الذي يعد من أفضل المدافعين في أسبانيا أبدى رغبته الجامحة في إنهاء تجربة عشر سنوات من المجد والألقاب والشهرة والنجومية وكذلك القيادة مع ريال مدريد، والسبب في ذلك قد يكون أنه لم يعد يشعر بقدر من الاحترام والتبجيل من قبل إدارة النادي الملكي.**

هذا هو الخبر الرئيسي الذي يسود طيلة الفترة الماضية في أغلب الصحف والقنوات التلفزيونية المحلية، فراموس لا يعتبر لاعبا عاديا في الريال والمنتخب الأسباني فحسب، بل هو من أبرز لاعبي جيله وأحد صانعي نجاحات ريال مدريد وقائده نحو التتويج الموسم قبل الماضي بكأس دوري أبطال أوروبا.

وهو أيضا أحد نجوم ورموز الكتيبة الأسبانية المتوجة بكأس أوروبا للأمم في مناسبتين وكأس العالم، فلماذا اختار الآن الإعلان عن رغبته في الخروج من البيت الملكي رغم أن كل الظروف تبدو مواتية كي يكون لوحده القائد الجديد للفريق، ورغم أنه مازال أحد أبرز الركائز التي تشكل عماد القلعة البيضاء؟

الإجابة عن هذا السؤال تبدو منذ الوهلة الأولى مرتبطة بالمال، حيث شعر المدافع الذهبي للريال أنه لا يحظى بنفس الاهتمام والتقدير من الناحية المالية مقارنة ببقية زملائه في الفريق، رغم أنه يدافع عن ألوان "الميرنغي" منذ ما يزيد عن عشر سنوات، فراموس قام بعملية حسابية بسيطة وجد خلالها أنه لا يحصل على نصف ما يغنمه بعض اللاعبين الآخرين في النادي، ما جعله يفكر جديا منذ منتصف الموسم المنقضي في عدم تجديد عقده الذي يربطه بالريال لموسمين قادمين.

خلال الموسم المنقضي أيضا حدثت الكثير من الأمور، حيث أصاب الإحباط الجميع بعد فشل الفريق في الحصول على لقب، بل خرج الريال خالي الوفاض من جميع المسابقات وهو ما دفع إدارة النادي إلى التخلي عن المدرب كارلو أنشيلوتي رغم تمسك كل اللاعبين والجماهير به، خروج كارلو بتلك الطريقة أصاب أغلب اللاعبين بالدهشة والخوف من مصير مشابه..

ويبدو أن راموس استوعب جيدا قاعدة أساسية تؤكد أنه لا أمان ولا اطمئنان في جنبات البيت الملكي، فاليوم يضحك لك الجميع ويحملونك على الأعناق وغدا يشتمونك ويدفعوك إلى الخروج من الشبابيك الخلفية في صورة عدم تمكن الفريق من الفوز بالألقاب.

ويبدو أن ما حصل لراؤول سابقا ويحصل لكاسياس حاليا دفع براموس إلى الإعلان عن رغبته في الخروج معززا مكرما، قبل أن يتم إجباره مستقبلا على المغادرة بطريقة لا تليق برموز ونجوم الريال.

لقد استوعب سيرجيو الدرس، ولم يعد راغبا في مواصلة التجربة في نفس الظروف والمعطيات، لذلك اختار أن يستغل قيمته التسويقية العالية ورغبة عديد الأندية في التعاقد معه، كي يعلنها صراحة بأنه يود التغيير وإنهاء تجربة السنوات العشر في القريب العاجل.

وفي مثل هذه الظروف وصلت لراموس وإدارة الريال عدة عروض أهمها وأبرزها على الإطلاق من مانشستر يونايتد، الذي أبدى استعداده لدفع أي مبلغ يطلبه اللاعب والمهم الحصول على توقيعه، قبل أن يدخل بايرن ميونيخ على الخط ويبدي بدوره اهتمامه بضم صانع فرح الريال في نهائي دوري أبطال أوروبا الموسم قبل الماضي، بعد تمكنه من تعديل النتيجة في الدقيقة 90 من تلك المباراة الشهيرة ضد أتليتيكو مدريد.

لذلك بات اهتمام راموس مركزا على كيفية الخروج بطريقة لائقة من الريال، رغم أنه يشعر بالتوازي مع ذلك بمرارة كبيرة للغاية، لأنه قد يودع قريبا هذا البيت الكبير الذي قدمه للعالم وعاش فيه أحلى اللحظات والتتويجات.

سيكون على راموس أن يختار العرض المناسب له ماديا ورياضيا، إذ أنه مازال في أوج العطاء وبمقدوره اللعب لخمس سنوات أخرى على أقل تقدير بنفس المستوى بما أنه لم يتجاوز بعد 29 سنة، ولهذا السبب أيضا فإنه نجح إلى حد الآن في وضع نفسه في مكان جيد للمفاوضات، ووضع بالمقابل مسؤولي ناديه في موقف حرج للغاية، بما أنه أكد لهم أنه يستحق مكانة أفضل واهتماما أكبر من قبلهم، راموس تحدى الجميع بمن في ذلك رئيس القلعة البيضاء فلورنتينو بيريز.

نعم، لقد تحدى راموس الرئيس بيريز وكأنه أراد أن يقول له "لا يمكنك أن تصنع فريقا قويا دون أن تعتمد على رموز وقدماء النادي، بالأمس طردت راؤول واليوم قد تطرد كاسياس والدور المقبل لا يجب أن يكون عليّ".

ولعل الإعلان الأخير لراموس بأنه لم يعد راغبا في أن يواصل التجربة، وتأكيده في عدة مناسبات أنه يريد الخروج من بيت "الطاعة" الذي يتحكم فيه الرئيس بيريز، يعطي الدليل على أن البيت الملكي متصدع ما لم ينجح هذا الرئيس سريعا في رأب الصدع.. هذا الأمر قد لا يكون إلاّ عبر مصالحة راموس وتمكينه من امتيازات جديدة تجعله يكف عن التفكير في الخروج ويعلن انتهاء التحدي.

* كاتب صحفي تونسي

هاميلتون يتطلع إلى الفوز على أرضه مجددا

❑ **سيلفرستون (بريطانيا) – يتطلع البريطاني لويس هاميلتون حامل لقب بطولة العالم لسباقات سيارات فورمولا 1، إلى إيقاف زحف زميله الألماني في مرسيدس نيكو روزبرغ خلال سباق جائزة بريطانيا الكبرى اليوم الأحد.**

واعترف هاميلتون بأنه قد يقبل فوز سائق آخر بلقب بطولة العالم وليس روزبرغ، بصرف النظر عن مصالح الفريق.

وقال هاميلتون الأسبوع الماضي "إنه أمر صعب، نحن نشكل فريقا، ومهمة كلينا تتمثل في حصد نقاط البطولة، ولكن على المستوى الشخصي كل منا يرغب في الفوز، لذا نريد أن يهزم كل منا الآخر.. من المفترض أن أقول إنني إذا لم أفز، فإنني أتمنى لزميلي الفوز، ولكن الأمر ليس كذلك".

وقلص روزبرغ فارق النقاط الذي يفصله عن هاميلتون في صدارة الترتيب العام لفئة السائقين إلى عشر نقاط فقط، بعد فوزه بثلاثة من أصل آخر أربعة سباقات، ويتمنى السائق الألماني مواصلة مسيرته المبهرة على مضمار سيلفرستون البالغ طوله 5.891 كيلومترا.

ويعيش روزبرغ حالة من المعنويات المرتفعة بعد تفوقه على هاميلتون في سباق النمسا قبل أسبوعين. وقال روزبرغ "من الرائع الفوز مجددا، أشعر بأنني مستعد للمنافسة بكل قوتي على المضمار الذي أستمتع به حقا".

وأضاف "الجماهير مذهلة حقا في هذا السباق، ودائما الأجواء رائعة، أدرك بالفعل أنّ لديهم السائق المفضل هاميلتون، ولكن أتمنى أن نحظى بمنافسة جيدة". وفاز روزبرغ بلقب سباق جائزة بريطانيا الكبرى في 2013، ولكن هاميلتون توج بلقب السباق في العامين اللذين حصد خلالهما لقب بطولة العالم في 2008 و2014.

وفاز هاميلتون بثلاثة من أول أربعة سباقات في الموسم، بجانب لقب سباق جائزة كندا الكبرى في الوقت الذي سجل فيه روزبرغ العلامة الكاملة في أوروبا بعدما حصد ألقاب سباقات أسبانيا وموناكو والنمسا.

ويأمل هاميلتون في التتويج بلقب سباق جائزة بريطانيا الكبرى بنفس طريقة العام الماضي، رغم أن فوزه جاء فقط نتيجة تعرض سيارة روزبرغ لخلل في المكابح.

وقال هاميلتون "لا يمكنني أن أصف الشعور الذي كنت عليه العام الماضي، رفع الكأس مجددا في حضور حشد من الجماهير هو أمر أتطلع إليه دائما". وتابع "الحظ يحالفني كثيرا في وجود جماهير مساندة لي في جميع أنحاء العالم، ولكن الفوز في وطنك له مذاق مختلف".

ويسجل فريق مرسيدس نتائج مذهلة في الموسم الحالي بعدما صعد الثنائي هاميلتون وروزبرغ إلى منصات التتويج في جميع السباقات الثمانية الأولى من الموسم.

ويتفوق مرسيدس بفارق 136 نقطة عن فيراري في صدارة الترتيب العام لفئة الفرق (الصانعين)، كما يحتل الألماني سيباستيان فيتيل سائق فيراري المركز الثالث في الترتيب العام لفئة السائقين بفارق 49 نقطة خلف هاميلتون.

العرب الأسبوعي
alarab.co.uk

انسيبشونيزم: بماذا تحلم كمبيوترات غوغل وأي كوابيس ترى

أطلقت شركة غوغل تقنية جديدة تمكّن مستعمليها من معالجة الصور بالاعتماد على تدريب شبكات عصبية صناعية تمكن مستخدميها من إنتاج صور كابوسية رهيبة.

كابوس حقيقي

❏ **كاليفورنيا** – فتحت شركة غوغل تقنيتها الجديدة "انسيبشونيزم" أمام المستخدمين مما يمكنهم من إنتاج صور هي أشبه بصور الأحلام التي يراها الإنسان.

وكانت غوغل قد وزعت صورا غرائبية أنتجتها كمبيوترات مختبرات البحث لديها وتعمل ببرامج تحاكي آليات الدمج بين الصور التي يلجأ إليها العقل وعادة ما ترتبط بالأحلام والكوابيس.

ويعمل "انسيبشونيزم" من خلال برامج الذكاء الصناعي التي تحاكي العصيبات الدماغية وطريقة معالجتها للصور، وهي تقنية تبدأ ببرنامج مكتوب ومعرف ولكنه يتطور بشكل غير مسيطر عليه بمرور الوقت ومع تعامله مع صور أكثر وأعقد.

وصفت الصحافة تقنية "انسيبشونيزم" بأنها فرصة لزراعة الأحلام والاستهلالات العقلية في ذاكرة الكمبيوتر.

ويرى متحمسون في التقنية أنها المرة الأولى التي يستطيع فيها الإنسان مشاهدة ما يحلم به الكمبيوتر لو ترك حرا في تكوين "انطباعاته" من خلال دمج الصور ومعالجتها.

وذهب آخرون إلى أنها وسيلة صناعية مذهلة لإنتاج الكوابيس، وأنها قد تكون مقدمة لمشاهد قد لا تخطر في خيال البشر بالأصل.

وتعمل تقنية "انسيبشونيزم" على تدريب الشبكة العصبية الاصطناعية عبر حثها على "مشاهدة" الملايين من الأمثلة التدريبية وتدريجيا ضبط معايير الشبكة ضمن أطار انطباعي مقبول وليس فوضويا بالكامل حتى تقدم التصنيفات المرجوة.

وتتألف الشبكة عادة من 10 إلى 30 مستويات متتابعة من الخلايا العصبية الاصطناعية، وتتم تغذية كل صورة في مستويات متداخلة إلى مستوى تال، إلى أن يتم التوصل في نهاية المطاف إلى المستوى النهائي أو ما يسمى طبقة الإخراج النهائي، وتمثل هذه الطبقة النهائية "جواب" أو انطباع الشبكة العصبية على الصور التي "شاهدتها".

وتتمثل إحدى تحديات الشبكات العصبية في فهم ما يجري بالضبط في كل طبقة، إذ من الواضح أن التدريب يجعل الفرد يدرك أن كل طبقة ترتفع إلى مستوى أعلى من الصورة، حيث تظهر بعض مقتطفاتها في الطبقة التي تليها، إلى أن تمكّن الطبقة النهائية الناظر من اتخاذ قراره بشأن ما يظهر في الصورة.

ومثال ذلك أن الطبقة الأولى تبدو ربما كحواف أو زوايا، والطبقات المتوسطة تترجم السمات الأساسية للبحث عن أشكال أو مكونات شاملة، مثل باب أو ورقة، أما الطبقات القليلة الأخيرة فتجمع تلك التفسيرات كاملة وتقوم بتفعيل الخلايا العصبية للاستجابة إلى الأمور المعقدة مثل صور مبان أو أشجار بأكملها.

وعملية تطبيق هذه التقنية مرارا يعطي للمستخدم عددا من الانطباعات الجديدة، ويمكّنه من استكشاف مجموعة من الأشياء لم يكن يعرفها حول الشبكة العصبية. كما تمكّنه من فهم وتصور كيف تكون الشبكات العصبية قادرة على القيام بمهام التصنيف الصعبة، وتحسين بنية الشبكة، وتحقق ما تلقته الشبكة العصبية من تكوين أثناء عملية التدريب.

شهرة أم كلثوم تبلغ كوكب عطارد

❏ **القاهرة** – قرر الاتحاد الدولي للفلك إطلاق اسم أم كلثوم على فوهة بركانية من فوهات كوكب عطارد تخليدا لذكراها، وذلك بعدما اعتمد الاتحاد نتيجة المسابقة الدولية التي أسفرت عن فوز خمسة أسماء عالمية، من بينها اسم كوكب الشرق أم كلثوم لإطلاقها على فوهات بركانية ونيزكية موجودة على سطح هذا الكوكب، مما يعد تخليدا لاسم مصر إلى الأبد في الفضاء.

وقال أشرف لطيف تادرس رئيس قسم الفلك بالمعهد القومي للبحوث الفلكية والجيوفيزيقية إن فريق التواصل الاجتماعي والتوعية الإعلامية لرحلة "ماسنجر"، أعلن عن هذه المسابقة في شهر يناير الماضي بمناسبة انتهاء مهمة عمل تلك المركبة الفضائية التي تحطمت فوق سطح كوكب عطارد في 30 أبريل الماضي، محدثة فجوة قطرها 16 مترا عند اصطدامها بسطحه، بعدما التقطت آلاف الصور لهذا الكوكب الأقرب من الشمس.

وأشار إلى أن اختيار اسم أم كلثوم جاء بناء على ترشيح ستة أشخاص حول العالم من السعودية وسويسرا وأربعة من الولايات المتحدة الأميركية من بينهم طفل مصري مغترب، هو يحيى حسونة بالمرحلة الابتدائية، نجل خالد محمد حسونة المدير المساعد لإدارة البحوث والتعليم والتنمية الدولية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بجامعة فرجينيا، والمقيم بالولايات المتحدة.

وأوضح أن الفائزين الخمسة هم أم كلثوم المصرية، والعازف الأيرلندي تورلو أو كارولان، والمصور الفوتوغرافي الأميركي يوسف كرش، والكاتبة الشاعرة السومارية أنهدوانا، والرسام المكسيكي ريفيرا، لافتا إلى أن شروط المسابقة تمثلت في أن يكون المرشح فنانا أو موسيقيا أو كاتبا مشهورا لمدة تزيد عن خمسين عاما، وأن يكون قد توفي منذ ثلاثة سنوات على الأقل.

وذكر أن المركبة "ماسنجر" التي تزن ما يزيد عن نصف طن، تم إطلاقها في 3 أغسطس عام 2004، ووصلت إلى كوكب عطارد في 18 مارس عام 2011، حيث استغرقت الرحلة نحو سبعة أعوام قطعت خلالها مسافة 8 مليارات كيلومتر، والتقطت عدة آلاف من الصور التفصيلية لهذا الكوكب، مما ساعد كثيرا في تفسير الحقائق العلمية المتعلقة بهذا الكوكب.

«متى تتزوجين» أغلى لوحة تعرض في مدريد

❏ **مدريد** – عرضت اللوحة "نافيا فايبويبو" أو "متى ستتزوجين" التي تردد أنها أغلى لوحة بيعت حتى الآن، والتي رسمها الفنان الفرنسي بول غوغان المنتمي لفن ما بعد الانطباعية، في متحف رينا صوفيا بمدريد الجمعة.

وكانت اللوحة الزيتية التي رسمت عام 1892 وتجسد فتاتين من تاهيتي قد بيعت في وقت سابق من هذا العام من جانب صندوق عائلة رودلوف ستايشيلين.

وقالت صحيفة "نيويورك تايمز" نقلا عن مصادر في عالم الفن إن قطريا دفع نحو 300 مليون دولار مقابل هذا العمل.

وصنفت لوحة "لاعبو الورق" للفنان بول سيزان في وقت سابق على أنها أغلى لوحة بيعت حيث بلغ سعرها المعلن 250 مليون دولار.

وتحدث رودي ستايشيلين، وهو جامع فنون ومتحدث باسم الصندوق يوم الجمعة لدى الكشف عن لوحة "نافيا فايبويبو" في متحف مدريد لكن تجنب الكشف عن السعر.

وكانت هذه اللوحة عرضت في السابق في بازل. وتنضم في مدريد إلى نحو 60 قطعة فنية أخرى في معرض يستمر حتى منتصف سبتمبر.

صباح العرب

محمد علي إبراهيم

كوميديا إخوانية

❏ لا أعرف إن كان هذا المقال يدخل في باب النميمة المحرمة في نهار الصيام، أم أنه مجرد كوميديا مسموح بها، على أيّ حال محمد سلطان شاب إخواني مفتول العضلات قوي كالثور كان مسجونا في مصر 499 يوما، لاتهامه بالاشتراك في إدارة عمليات رابعة الإرهابية عام 2013 ومسؤوليته عن قتل المدنيين والضباط في التحريض عليهم.

المهم أنه دخل في إضراب عن الطعام، وقالت الصحف العالمية إنه معرض للموت وأفرجت عنه مصر كما قيل في البداية لظروفه الصحية، لكن اتضح أن الإفراج تم بطلب من الولايات المتحدة التي يحمل جنسيتها! القانون المصري يعفيك من العقاب إذا كنت متمتعا بجنسية أخرى، وترحل إلى بلدك الثاني باستثناء تهم الجاسوسية والخيانة، المهم أن محمد سلطان خرج من مصر على كرسي متحرك لأنه لا يستطيع الوقوف!

وبمجرد وصوله لمطار جون كنيدي بنيويورك نهض "كالرجل الأخضر" من على كرسيّه المتحرك الذي صعد به الطائرة، وقبّل الأرض الأميركية وتناول حلوى "الدونتس" الشهيرة التي كانت أول طلب له، علها تنسيه الفول والطعمية.. أعلن محمد سلطان بفخر شديد تنازله عن الجنسية المصرية.

بعده بأيام تمّ الإفراج عن مذيع الجزيرة أحمد منصور في ألمانيا والذي تم احتجازه في برلين بناء على طلب الأنتربول المصري، لقيامه بتعذيب ضابط مصري في اعتصام رابعة.. ثم أفرجت السلطات عنه لأنه يحمل جواز سفر بريطانيا واعتذرت وزارة الداخلية الألمانية له، وسمحت بعقد مؤتمر صحفي يهاجم ويشتم فيه مصر ورئيسها!

ويبدو أن الجنسية المصرية أصبحت شبهة لحاملها، أنا أتخيل أن من يتنازل عن جنسيته فهو يتنازل عن شرفه وكبريائه، المهم أن مصر فيها من المضحكات ما يساوي المبكيات.. فالدولة أفرجت عن الذين تظاهروا في مسيرات الإخوان العنيفة التي حطمت مصر، ولم تطلق سراح الذين تظاهروا سلميا أمام الاتحادية! مع أن الفريقين خرقا قانون التظاهر.

كان الأولى الإفراج عن الذين لم يرتكبوا أعمال عنف، وللأسف فهم الجميع العفو عن الإخوان على أنه تطييب خاطر لهم، بعد أحكام المؤبد والإعدام الصادرة ضد قياداتهم.

بالنسبة إليّ، الأكثر جدلا ومتعة في المشاهدة كانوا أعضاء الجماعة أنفسهم، وهم منقسمون بين جبهة مؤيدة للتنازل عن الجنسية المصرية، وقد اكتشفنا أن معظمهم لديهم جنسيات أخرى، وبين جبهة أخرى ترفض التنازل وتفضل السجن لأنه يقربهم من الجنة!

وكأن التنازل هو المنفذ والمفر من العقاب والحبس في السجون المصرية، ولكن الطريف هو العفو الرئاسي والذي يؤكد أن مجرد قبولهم به، هو في حد ذاته اعتراف بالسيسي كرئيس شرعي للبلاد من حقه أن يأمر ويحكم و.. يعفو..

ويجب عليهم الاعتراف والإعلان الآن بأن السيسي – رئيسي، وهو ما ظلوا يرفضونه ويشككون في شرعيته ليلا ونهارا، ولكنه الآن أصبح واقعا بالنسبة إليهم لمجرد أنه عفا عن الكثير من أبنائهم.